



مملكة البحرين

جامعة البحرين

كلية الآداب

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

الدراسات العليا

التذليل في سور الحواميم

دراسة بلاغية

بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

إعداد الطالب: غازي جاسم مهدي آل مشهد

الرقم الجامعي: ٢٠٠١٩٦٣٥

إشراف أ.د: أحمد محمد علي

العام الجامعي: ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ م



بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى والديَّ اللذين قدما لي الدعم المعنوي في هذه الرحلة الدراسية.

والشكر إلى من شاطرتني حياتي في كل ظرف... ووقفت بجانبى في كل وقت... وأعانتنى في رحلتي العلمية... أعني زوجي وأم أولادى...

وأشكر الدكتور أحمد محمد على لإشرافه على هذه الدراسة.

وأشكر أساتذتى الذين أفدت منهن كثيرا في رحلتي إلى الماجستير.

وأشكر كل من ساهم في دعمى ومساعدتى بأي مقدار كان.

أسأل الله تعالى لي وللجميع التوفيق في الدنيا والآخرة.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين، أما بعد؛ فالدراسة التي بين أيدينا تتناول موضوعاً بلاغياً، وهو التذييل مصدر ذليل، والذيل لغة هو: ((آخر كل شيء))^١.

وهذه الدراسة تتناول التذييل في سور الحواميم، وهي: سورة غافر، وسورة فصلت، وسورة الشورى، وسورة الزخرف، وسورة الدخان، وسورة الجاثية، وسورة الأحقاف، ولذا سميت هذه الدراسة بـ: ((التذييل في سور الحواميم - دراسة بلاغية)).

واخترت سور الحواميم؛ لأن فيها تذييلات كثيرة^٢ مناسبة لموضوع الدراسة، وللروايات التي نزلت في فضلها وشرفها، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني الرءات إلى الطواسين مكان الإنجيل، وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل، ما قرأهن نبي قبلي))^٣، كما أنها تنضم تحت عنوان واحد وهو "الحواميم".

والتذييل مصطلح ظهر في كتب البلاغة في وقت مبكر، فقد عُرف أول ما عُرف في القرن الرابع الهجري، - في حدود علمي - وربما جاءت أقدم إشارة إلى التذييل عند أبي أحمد الحسن ابن عبد الله العسكري [ت ٣٨٢هـ]، وأبي هلال العسكري [ت ٣٩٥هـ]، وأقدم تعريف للتذييل وصلنا، هو تعريف أبي هلال العسكري، حينما قال: ((فأما التذييل

1 لسان العرب، مادة ذي ل.

2 ولقد أشار الدكتور الدجيلج إلى ذلك بقوله: ((وقد لفت انتباهي كثرة ورود أمثلة التذييل في سور ((حم)) وبخاصة في سورتي غافر والشورى)) . بلاغة القرآن الكريم في سور حم. ص ٦٤٧.

3 الأساس في التفسير. المجلد التاسع. ص ٤٩٢٩.

فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه، وهو ضد الإشارة والتعريض^١.

ثم إن التذييل مر بمراحل زمنية تطور فيها تعريفه، وكذلك وظيفته وأنواعه، وفي هذه الدراسة لاحظت آراء مختلفة، حاولت للممة أطرافها، وخلال ذلك بحثت علاقات التذييل مع غيره من المصطلحات الأخرى، والتداخل بينها وبين التذييل، وهو ما لم يجتمع في دراسة من قبل - في حدود علمي -.

ولقد وقفت على دراستين في هذا الموضوع؛ إحداهما بعنوان: ((بلاغة التذييل في سورتي البقرة وآل عمران))، والأخرى بعنوان: ((التذييل ومواقعه في القرآن الكريم))، وتبين لي أن هناك كثيرا من الجوانب لم تتطرق إليها أي من الدراستين، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة؛ إذ حاولت أن أعطيها بعض حقها في التحليل المعتمد على النظرة التاريخية والتطبيق البلاغي، فأفدت من البلاغيين القدامى من خلال تحليل كلامهم، وناقشت وعارضت بعضهم مستدلا على ما أقول، وأعتقد أن ذلك يضيف شيئا جديدا على موضوع التذييل، فمثلا مما حاولت إبرازه ما تميز به ابن أبي الإصبع المصري كالتفريق بين التذييل وبين بعض المصطلحات البلاغية الأخرى، أو كانهضه بذكر حديث شريف، ومن الجديد الذي حاولت إبرازه، بعض المصطلحات التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره.

إضافة إلى ذلك فقد حاولت تقديم شيء جديد - كما أحسبه - من خلال ذكر بعض مقامات التذييل؛ إذ لم أعلم أن أحدا قد كتب فيها، وتوسعت في التطبيق البلاغي على سور الحواميم بأسلوب جديد، ولقد أفدت من نظرية النظم في كتاب دلائل الإعجاز للإمام الجرجاني، ومن كتاب من بلاغة القرآن للدكتور أحمد أحمد بدوي؛ من أسلوبه في تناول القضايا البلاغية.

1 كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص ٣٧٣.

ولقد اتبعت في هذه الدراسة منهجين؛ أما الأول فهو النظرة التاريخية لتتبع ظاهرة التذييل في الدراسات البلاغية، لأقف على تطور التذييل في فترات زمنية مختلفة وتحليل ما تداخل معه من مصطلحات، وأما المنهج الثاني فهو الوصفي، وتكمن أهمية هذا المنهج في كون الدراسة مرتبطة بسور من القرآن الكريم، ويتطلب ذلك تتبع التذييلات وإحصاءها ووصفها وتحليلها بلاغياً، في ضوء علم المعاني، وفي ضوء علم البيان، وتناولت قسماً ثالثاً في البديع، مع العلم أن بعض التذييلات التي تُدرس في علم المعاني أو البديع قد تُدرس في علم البيان، وما يدرس في البديع أو البيان، قد يدرس في علم المعاني... وهكذا.

ولقد أفدت في الدراسة من كثير من البلاغيين والمفسرين، ومن لفت نظري من هؤلاء، ابن أبي الإصبع المصري، وابن عاشور، والشوكاني؛ فابن أبي الإصبع المصري سبق إلى بيان الفرق بين التذييل وبين غيره من المصطلحات، وقد اقتفى أثره بعض البلاغيين كشراح التلخيص، وابن عاشور أضاف مصطلحات جديدة في هذا المضمار، وأما الشوكاني فقد أضاف مسألة غاية في الأهمية، وهي مسألة الواو الاستثنائية حينما قال: ((...بجىء البيان بالواو غير معروف ولا مألوف، والأولى جعل ما بعد الواو تذيلاً أو حالاً))¹.

وقد جاءت هذه الدراسة في:

مقدمة، وتمهيد، و ثلاثة فصول، وخاتمة، وفهرس للموضوعات.

تناولت في التمهيد الدراسات السابقة للتذييل، وهي دراستان خاصتان بالتذييل، وثالثة خاصة بالتعقيب، ولكن لها فائدة، لا سيما في مجال التطبيق.

وأما الفصل الأول فبحث فيه مفهوم التذييل وتطور مصطلحه، إضافة إلى ما تداخل معه من مصطلحات، وحاولت تفسير هذه الظاهرة، إلى أن وصلت إلى مرحلة استقلاله، وأيضاً ذكرت علاقته بالإطناب من خلال التفريق بينه وبين بعض المصطلحات الداخلة في

1 فتح القدير، ج ١، ص ١٣٠.

الإطناب، وبعدها ناقشت مواضع التذييل؛ في المقاطع أو الحشو، وما في ذلك من خلاف، وفي مبحث آخر ذكرت أمثلة عدّة في مقاماته.

وفي الفصل الثاني ناقشت مسألتين: الأولى: نوعا التذييل، والثانية: وظائفه، ومن ذلك كله استخلصت مواصفات التذييل.

وأما الفصل الثالث فقد درست فيه جملة التذييل في سور الحواميم دراسة بلاغية، وهذا الفصل أحصيت فيه مواضع التذييل في سور الحواميم وقدمت له بيان منهجي في الإحصاء ثم أبديت ملاحظات على التذييلات التي ذكرها المفسرون، وحاولت ذكر ما لم يذكروه، ثم تناولت مباحث ثلاثة تتناول تذييلات سور الحواميم :

المبحث الأول: النظم.

المبحث الثاني: الصورة.

المبحث الثالث: التحسين.

ثم الخاتمة التي تضمنت النتائج والتوصيات.

وقد بذلت في هذا البحث أقصى طاقتي وجهدي، فإن أصبت فبفضل من الله، وإن أخطأت، فأرجو ألا أحرم أجر المجتهد المخطئ.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

غازي جاسم آل مشهد.

تمهيد: التذييل في الدراسات الحديثة

سبقتني إلى دراسة التذييل - حسب علمي - ثلاث دراسات هي:

رسالة ماجستير بعنوان: "التذييل ومواقعه في القرآن الكريم" لـ علي محمد أحمد العطار.
رسالة ماجستير بعنوان: "بلاغة التذييل في سورتي البقرة وآل عمران" لـ نجلاء كودي.
كتاب "أسلوب التعقيب في القرآن الكريم"، للدكتور محمد كريم الكواز.

أولاً: "التذييل ومواقعه في القرآن الكريم" لـ علي محمد أحمد العطار.
لقد نوقشت هذه الرسالة عام ١٤٠٦هـ، في جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية
بالقاهرة، قسم البلاغة والنقد.

ومن الجدير بالذكر أن الباحث اختار موضوعاً بلاغياً مهماً، ولم أجد من سبقه إليه،
واشتملت دراسته على مقدمة وفصول ثلاثة، ضمت عشرين مبحثاً، ثم ختمت بالنتائج التي
توصل إليها. وقد كان الباحث كثير التحليل، ولكن هذا التحليل داخله شيء من التسرع في
بعض الأحيان؛ فالباحث - فيما بدا لي - كان مضطرباً - أحياناً - في مواضع رئيسة في
البحث.

أما في الفصل الأول؛ فقد تحدث في المبحث الأول عن التذييل لغة وأطال فيه بلا طائل^١ ولو
جعل الإطالة في تعريفات التذييل اصطلاحاً عند البلاغيين، ومناقشة ما فيها من اختلاف،
واستخلاص التعريف المناسب منها لكان أحرى، ولكنه لم يتطرق إلى هذا الموضوع.

ثم تحدث عن الالتفات، وفيه رأى أن التذييل بدأ في أحضان الالتفات عند قدامة، ومما
دعاه إلى ذلك أن الأمثلة ((الصالحة للتذييل قد تكررت مع الالتفات))^٢ إضافة إلى أن تعريف

١ التذييل ومواقعه في القرآن الكريم، يُنظر ص٤؛ إلى ص٦.

٢ السابق، ص٨.

الالتفات قريب من التذييل^١، ولو بحث تداخل المصطلحات في بداياتها، لكان له رأي آخر، ولما رفض نظرة قدامة للالتفات التي تربطه بالاعتراض، وسنلاحظ هذا الارتباط الوثيق فيما سيأتي^٢.

أما في المبحث الثاني، فتناول فيه موضوع "الاستشهاد أو الاحتجاج" ورأى الباحث أنه من صحيح التذييل، وعلل ذلك بانطباق الأمثلة على العنوانين - أي الاستشهاد والتذييل - وقد استشهد بقول العسكري: ((وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكد بمعنى آخر يجرى مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته))^٣.

ورأى مغاير لما ذهب إليه الباحث في أن هذا الاستشهاد - وإن كان يتداخل مع التذييل - له خصوصية تميزه عن التذييل.

وفي المبحث الثاني من الفصل الثاني، عندما ذكر مسألة "عناية المفسرين بأثر الجملة المذيلة ووقعها على الحس" ضرب مثالا لتفسير لا يُعد من الدرجة الأولى في عنايته بذكر مصطلح التذييل وبلاغته صراحة وهو "في ظلال القرآن"؛ إذ لم يذكر لفظ التذييل، وقد أطل في الحديث عن التذييل من خلاله، وكانت هناك تفاسير أخرى لها عناية كبيرة بهذا المصطلح والتعليق عليه، يمكن الإفادة منها في موضوع البحث.

وناقشت قول الباحث: ((لا أريد أن أقول قولاً صريحاً بأن التذييل ينتسب إلى الإطناب، لأن مقياس الإيجاز والإطناب في الكلام أمر اعتباري لا يتقيد بعدد الألفاظ وطول الجمل))^٤، إذ رأيت أنه لا يريد الإقرار بحقيقة رجوع التذييل إلى الإطناب، والحق أن التذييل

1 السابق يُنظر ص ٢٠-٢١.

2 هذه الدراسة ص ٢٣.

3 التذييل ومواقفه في القرآن الكريم، ص ٢٧.

4 السابق، ص ٥٥.

من الإطناب، وأما كلامه عن الأمر الاعتباري الذي ذكره فإنه وارد في مكان آخر، فالتذييل إذا نُظر إليه من حيث علاقته بما قبله إطناب، سواء أطلال الكلام أم قصر، وأما الاعتبارية فتكون إذا نُظر إلى جملة التذييل مستقلة غير مرتبطة بما قبلها، وحينها يقال: الكلام إطناب أو إيجاز.

وفي المبحث الرابع داخل الباحث بين التذييل والفاصلة حين جعلهما شيئاً واحداً، وهذا الرأي أخذه من أحد الباحثين^١ ومما قال صاحب الرسالة مُجَمِّلاً رأي ذلك الباحث: ((إن العلماء مع كونهم يعرفون الفاصلة بـ كلمة آخر الآية... أو كلمة آخر الجملة فهم عند الاستشهاد لها يوردون ما يدل على كونهم يلحظون الجملة بكاملها، وينظرون إلى المعنى كله))^٢.

وقد اعتمد الباحث على هذه النظرة مع أنها لا تقوم على استدلال قوي، ومما أراه صحيحاً، هو أن العلماء عرّفوا الفاصلة بأنها كلمة آخر الآية، وعندما جاؤوا بالأمثلة عليها افترضوا تطبيق التعريف عليها، أي أنها الكلمة في آخر الآية، لا أن يُدعى أنها الجملة كاملة، فكان حرياً بالباحث عدم مخالفة جمهور العلماء بالاعتماد على رأي يحتاج إلى كثير من التمحيص.

أما المبحث الخامس، فقد بدأه الباحث بقوله: ((من خصائص جملة التذييل أنها كلام تام))^٣، وهذا صحيح، ولكن ليس من أولويات البحث في التذييل، فمسألة تمام الكلام في موضوع التذييل الوارد لدى علماء البلاغة، ينصبُّ في أن التذييل يأتي بعد كلام تام وهذا هو المهم في البحث لكي تأتي جملة التذييل استئنافية.

1 أحال الرأي إلى كتاب نظرات في الأسلوب البديعي للدكتور محمد شادي.

2 التذييل ومواقفه في القرآن الكريم، ص ٧٥.

3 السابق، ص ٨١.

وفي المبحث السادس، ناقشت الباحث مرة أخرى عندما قال: ((عُد التذييل لونا بديعيا، وذكره أصحاب البديعيات... ثم استقر في الإطناب من علم المعاني))^١، فقد غفل عن أن كلمة البديع - سابقا - لم يكن يُقصد بها ما يصطلح عليه اليوم بعلم البديع، إنما كانت مرادفة للبلاغة ولذا فالبديع بهذا المعنى ليس قسيما لعلم المعاني، بخلاف ما ذهب إليه الباحث.

أما المبحث السابع، فعنوانه: أبواب بلاغية ترجع إلى التذييل، ومما قاله الباحث: ((هذه الأسماء تؤدي معنى واحدا عند علماء البلاغة، الذي سماه أبو هلال "احتجاجا واستشهادا" وأشرنا إلى كونه من صميم التذييل، ولكن لم نجده في كتب المتأخرين مدرجا تحت التذييل رغبة منهم في تكثير الأقسام والتباري فيما يسمى اختراع الألوان البديعية، والأولى أن يرد التمثيل وإرسال المثل إلى الاستشهاد، والاحتجاج إلى التذييل))^٢.

وناقشت الباحث أيضا في قوله؛ لأنني أعتقد أن البلاغيين لم يكونوا يحاولون التباري في تكثير الأقسام والألوان البديعية، وما أراه أن العلماء كانوا في فترة اكتشاف أبواب البلاغة المختلفة، وفيها حاولوا القيام بتحديد صفات كل باب، ولذلك كثرت الألوان البديعية. وجاء الفصل الثالث وهو بعنوان "مواقع التذييل وأغراضه" في مباحث عدة، ولي ملاحظات على بعضها.

ففي المبحث الأول وعنوانه: "وقوعه توكيدا" تسرّع الباحث في قوله: ((القول باستقلال التذييل عندما يكون مثلا، أو جاريا مجرى المثل، إنما هو قول النظرة العجلى لطبيعة المثل الذي يبدو مستقلا، لكنه في حقيقة الأمر يلتفت إلى ما قبله...ومن هنا يظهر لنا ذوبان التذييل في سياقه...))^٣.

١ السابق، ص ٨٤.

٢ السابق، ص ٨٨.

٣ السابق، ص ٨٩.

لأن هذا القول يفهم منه، أن الباحث لم تتضح له صورة التذييل بنوعيه، مع العلم أن هذا القول جاء في الفصل الذى يعد صلب الرسالة، ويرد عليه أن المقصود بالاستقلال هو إمكانيته، حيث يؤدى التذييل معنى كاملا مفهوما دون حاجة الرجوع إلى المذيل، فلو قرأنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ لأفاد معنى مستقلا، وهذا ما لا يوجد في النوع الآخر من التذييل وهو غير الجارى مجرى التذييل، فلو قرأنا قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، فإننا لن نفهم ماذا يعنى " كذلك " فلا بد من الرجوع إلى المذيل، وأما قول: " يلتفت إلى ما قبله "، فلم أجد من قال خلاف ذلك.

ومما أظن أن الباحث استعجل فيه قوله: ((وليس من الضروري أن يكون التذييل مؤكدا لعين المضمون قبله، بل ربما كان مؤكدا لما يثيره ذلك المضمون في أنفسنا من خواطر ومشاعر))^١.

فهذا القول مخالف للتعريفات التى قيلت في التذييل، فلا يوجد - على ما أعلم - من قال عن التذييل إنه ليس مؤكدا لمضمون القول السابق، بل مؤكدا لتلك المشاعر التى أثارها المضمون، وكان من المناسب أن يقترح عنوانا بلاغيا آخر مناسبا لنظرته بدل أن يقحمها في موضوع حدده البلاغيون.

وفي المبحث الثانى، أشار إلى أن جملة التذييل لا محل لها من الإعراب^٢، وجاء بقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ... وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ وقال عنه:

((أما جملة التذييل الأخيرة، فإنها حالية مقررة لمضمون ما قبلها، وفي تقرير المضمون إضافة تبين، وتؤكد الغرض منه لأنها حال مرتبطة به))^٣، ولم يدع أحد أن يكون له محل من الإعراب سوى السبكي في مثال واحد - على حد علمي - وناقشنا المثال في محله حتى

1 السابق، ص ٩٨.

2 يُنظر السابق، ص ١١.

3 السابق، ص ١٠٤.

تقرر أن التذييل لا محل له من الإعراب، وقد بسطت القول في هذه القضية، ورأيت ما قرره أغلب البلاغيين بأن التذييل لا محل له من الإعراب^١، مع العلم أن الباحث لم يبحث كون التذييل له محل أم لا.

وفي المبحث الثالث يقول: إن التذييل قد يأتي استئنافاً بيانياً، ويكرر قوله في موضوع آخر^٢، وأظن ذلك مغالطة، تبين مرة أخرى ابتعاد الباحث عن التذييل، فإذا كان التذييل يشتمل على معنى الكلام السابق ويؤكد، فإن الاستئناف البياني إجابة على سؤال مقدر. وبهذا الفهم بنى قناعته التي تقول: إن التذييل ولد في حضن الالتفات، ففي حديثه عن تعريف الالتفات عند قدامه بن جعفر، يقول: ((والأمثلة التي أوردتها تتصف الجملة الثانية فيها بالاستقلال والتأخر، وإفادة التوكيد، وكونها غير ذات محل إعرابي، ولا بد من إيراد هذه الأمثلة))^٣، ومنها: ((قول الرماح بن ميادة :

فلا صرمة يبدو، وفي اليأس راحة ولا وصله يبدو لنا فنكارمه

فجملة " وفي اليأس راحة " جملة مستقلة قصد بها توكيد المعنى السابق وعطف الاستئناف البياني لأن منشأ السؤال ليس التردد في حال المسؤول عنه بأنه حال كذا أم لا، ولكنه ورد على سبيل النقص وبيان ما أجمل)) وقد أكد الباحث على الاستئناف البياني في مناقشة هذه القضية.

ثانياً: "بلاغة التذييل في سورتي البقرة و آل عمران" لـ نجلاء كردى.

وقد نوقشت هذه الرسالة في كلية التربية للبنات بمجدة قسم اللغة العربية بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٤١٥ هـ.

1 هذا البحث ص ٢٧، وص ٢٨.

2 يُنظر التذييل ومواقعه في القرآن الكريم، ص ١٠٧.

3 يُنظر السابق، ص ١١٦.

4 السابق، ص ١١.

5 السابق، ص ١١.

ومع الجهد المبذول منها، فإنني رأيت أنها تقوم على النقل أكثر من التحليل، مع عدم الدقة في إحصائها للتذيل في السورتين المختارتين للدراسة، فضلا عن إهمال الجانب التطبيقي للتذيل، فقد رأت الباحثة، أن الدراسة التطبيقية ستكون محصورة في شيء محدد^١، وقد لاحظت على هذه الدراسة :

١ / الإسهاب في الحديث عن التذيل لغة - وهو مجرد نقل في الغالب - دون أن يكون له أثر أو فائدة في البحث، فإذا أشارت الباحثة إلى أن من معاني التذيل لغة الإهانة وكذلك التبخر، شارحة بعض التفاصيل^٢، فإنه لا تلاحظ أدنى صلة بين ذلك وبين أصل البحث.

٢ / في حديثها عن نشأة التذيل ذهبت الباحثة إلى أن التذيل انطلق من الالتفات ثم انفصل عنه، غافلة عن التداخلات العميقة بين المصطلحات البلاغية الأخرى وبين التذيل.

٣ / وهناك مرحلة تاريخية أخرى، وهي ما بعد استقلال التذيل مصطلحاً بلاغياً، فقد ظل البلاغيون مختلفين في تعريفه، فهم بين موسّع ومضيق فيه، فضلا عن اختلافهم في ذكر أنواعه ووظيفته، وقد قامت الباحثة بسرد بعض هذه النقاط - غالبا -، دون تحليل يقدم جديداً يُعتد به.

٤ / وأما إحصاء الباحثة للتذيل، فهناك بعض الملاحظات المرتبطة بالدقة، وبعض آخر مرتبط بمنهج الإحصاء؛ أما مسألة الدقة، فإن الباحثة لم تكن دقيقة في تحديد التذيل الذي يفترض أنه موضوع البحث، فقد فوتت تذييلات عدة من المصادر التي اعتمدتها في الإحصاء

1 يُنظر السابق ص ١٥٠.

2 يُنظر السابق، من ص ٦ إلى ص ٩.

وهي: إرشاد العقل السليم لـ " أبو السعود "، وروح المعاني لـ " الألوسي "، والتحرير والتنوير لـ " ابن عاشور "، ومن أمثلة ما لم تذكره من التذيل:

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة: ٥١) فلم تتطرق الباحثة إليه إطلاقاً، مع أن "أبو السعود" في تفسيره يقول عنه: ((...وهو حال... أو اعتراض تذييلي))^١، وكذلك: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٨٢)، لم تذكر الباحثة شيئاً عنها، أما ابن عاشور فيقول فيها: ((تذييل لتعقيب النذارة بالبشارة على عادة القرآن))^٢، وكذلك: التذيل في الآية ٩٣ من سورة البقرة وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٣)، الذي يقول عنه ابن عاشور إنه ((تذييل واعتراض))^٣، أما الباحثة فلم تشر إلى ذلك مطلقاً.

وفوت أيضاً بعض التذييلات من تفسير روح المعاني للألوسي، فمثلاً: في الآية "٢٥" من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾، فلم تذكره تذييلاً في إحصائها، أما الألوسي فقال عنه: ((تذييل للكلام السابق وتأكيده بما يشتمل على معناه لا محل له من الإعراب...))^٤، فهذا تذييل مذكورة فيه جميع مفردات تعريفه - تقريباً -، فهو تذييل لكلام سابق، ويشتمل على معناه، وهو تأكيد له، ولا محل له من الإعراب، وكذلك:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤)، لم تتطرق له الباحثة بخلاف الألوسي الذي قال: ((...وفي قوله

1 تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ١، ص ١٠١.

2 تفسير التحرير والتنوير، المجلد الأول، ج ١، ص ٥٨١.

3 السابق، المجلد الأول، ج ١، ص ٦١١.

4 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المجلد الأول، ج ١، ص ٣٢٦.

تعالى: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ٣٤ نوع إشارة إلى بعض ما ذكر والجملّة استئناف جواب لمن قال: ما فعل؟ وقيل: إن الفعلين الأولين في موضع نصب على الحال أي آيا مستكبرا ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ مستأنف أو في موضع الحال وقيل: الجمل الثلاث تذييل (بعد تذييل) ١، مع أنها ذكرت أنها ستدرج في إحصائها كل ما لم تذكره التفاسير - أي التي اعتمدتها - من التذييلات ٢.

أما منهج الإحصاء في البحث فيبدو أنه غير واضح لديها، فأحياناً يُذكر التذييل وفيه احتمال كونه غير تذييل، فيذكر الاحتمالان، وأحياناً أخرى لا يُذكر ذلك، مع العلم أن المصدر المنقول عنه واحد، والذي ذكر الاحتمالين المصدر نفسه، فأما مثال ما ذكر فيه الاحتمالان فهو ما ذكره الألوسي عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (البقرة: ١١٩)، إذ يقول: ((وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ تذييل معطوف على ما قبله، أو اعتراض أو حال)) ٣، وقد ذكرت الباحثة ذلك، ولكن ذلك غير مطرد عندها، فقد تقتصر على ذكر احتمال واحد كآية "٧١" من سورة البقرة: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾، فالتذييل هو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾، والاحتمال الذي ذكرته الباحثة هو أنه اعتراض تذييلي ٤، وقد نقلت ذلك عن إرشاد العقل السليم لـ "أبو السعود" وأهمل الاحتمال الآخر الذي ذكره التفسير نفسه، إذ يقول ((﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ... والجملّة حال... أو اعتراض تذييلي)) ٥.

1 السابق، ج ١، ص ٣٦٧.

2 يُنظر بلاغة التذييل في سورتي البقرة وآل عمران، ص ٦١.

3 روح المعاني، المجلد الأول، ج ١، ص ٥٨٣.

4 يُنظر بلاغة التذييل في سورتي البقرة وآل عمران، ص ٦٧.

5 إرشاد العقل السليم، ج ١، ص ١١٣.

وجانب آخر يدخل في خلل منهج الإحصاء، ويتمثل في موقف الباحثة من تذييل الآية ((١٣٣)) وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، إذ لم تتطرق إلى أنه تذييل، بالرغم من أن هناك مَنْ جَوَّز كونه اعتراضاً، وأن الاعتراض في آخر الكلام تذييل، وقد أشار البلاغيون لهذا الأمر^١، وقد قال أبو السعود عن ذلك: ((وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ))، حال من فاعل نعبد أو مفعوله أو منهما معاً ويحتمل أن يكون اعتراضاً محققاً لمضمون ما سبق^٢، بالرغم من أن الباحثة أشارت إلى إمكانية وجود مثل هذا التذييل^٣.

إضافة إلى ما تقدم، فإن الدراسة البلاغية للتذييل - لدى الباحثة - أهملت جزءاً كبيراً من مادة البحث.

ثالثاً: "أسلوب التعقيب في القرآن الكريم" للدكتور محمد كريم الكواز.

عنوان الكتاب لم يصرح فيه بالتذييل، ولكن المؤلف حوى في كتابه كثيراً من التذييلات، وإن كان أطلق عليها اسم التعقيب، وهو اسم طالما استخدمه كثير من المفسرين، ومن أمثلة التعقيب التي ذكرها المؤلف، قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٠)، فقد قال الدكتور الكواز في هذه الآية: ((فقد نعى سبحانه

1 يُنظر عروس الأفراح - شروح التلخيص، ج٣، ص٢٤٦.

2 إرشاد العقل السليم، ج١، ص١٦٥.

3 يُنظر بلاغة التذييل في سورتي البقرة وآل عمران، ص٦١.

عليهم خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم... ثم عقب قضيتهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^١.

فيلاحظ أن التعقيب هو تذييل لما قبله، وقد ذكر أن التنوخي قد تفرد بالإشارة إلى تعقيب الكلام، ((حيث قال: ومن البيان تعقيب الكلام بمصدر معظم بمن أضيف إليه، تأكيداً، لما في ذلك الكلام من الحكم و المعاني))^٢، ويبدو أن المؤلف اعتمد على التنوخي في بحثه، ولم يخرج عن هذا الإطار. والبحث ذو فائدة جمّة في مجال التذييل لاسيما في تطبيقاته، ولكن ما يمكن أن يؤخذ على هذا البحث هو محاولة إقصاء التذييل عن التعقيب، ومما يمكن أن يرد على هذا الرأي ويربط التعقيب بالتذييل عدّة نقاط منها:

- ١/ استخدام بعض المفسرين للفظ " التعقيب " في كلامهم عن التذييل، وأمثلة ذلك كثيرة جداً. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ۝ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ (غافر: ٧٤)، إذ يقول ابن عاشور عن قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾: ((تذييل معترض بين أجزاء القول الذي يقال لهم))^٣، ويقول عنه سيد قطب: تعقيب عام^٤.
- ٢/ تعريف البلاغيين للتذييل بأنه تعقيب، ولم يعترض أحد على ذلك.
- ٣/ عند البحث عن جنس التذييل، يذكر السجلماسي التعقيب ويقول إن تحته نوعين: ((أحدهما: التذييل، والثاني: الإيغال))^٥.

1 أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ص ١٣ وص ١٤.

2 السابق، ص ١٤.

3 التحرير والتنوير، المجلد الحادي عشر، ج ٢٤، ص ٢٠٥.

4 يُنظر في ظلال القرآن، المجلد الخامس، ج ٢٤، ص ٣٠٩٧.

5 يُنظر المترع البديع في تجنيس أساليب البديع ص ٣١١.

وقد رأى الدكتور الكواز أن دلالة التذييل زائدة على المعنى المراد، ويردُّ على هذا القول إشكال وهو: إذا قيل إن التذييل تأكيد أو توضيح أو تقرير وتحقيق لدلالة منطوق الكلام السابق أو مفهومه، فلا يُعد ذلك زيادة؛ لأنه يضيف على المعنى وضوحاً ويزيده تصديقاً، وإذا كانت وظيفة التذييل هي التوكيد والتوضيح والتحقيق، فإن التعقيب كذلك إذا كان تذييلاً لا إيغالاً، مما يعنى عدم وجود فرق جوهري بين التعقيب وبين التذييل، وهذا بيّن في أكثر الأمثلة التي ذكرها المؤلف، وعَلَّه تأثر - في رأيه هذا - بالخفاجي إذ قال عن التذييل ((...فأمّا التذييل فإننا على ما قدمناه لا نحمده في موضع من المواضع...))^١.

ومما قاله الدكتور الكواز: ((استقلال دلالة التعقيب لا يعنى جريه مجرى المثل، كما يفهم من التذييل))^٢.

وهذا القول ليس دقيقاً أيضاً؛ لأن كثيراً من الأمثلة التي ذكرها، تعقيباً تجرى مجرى المثل، فعندما يعرض لمجموعة من الأمثلة يقول: ((وهذا يخالف التذييل من حيث عدم جريه مجرى المثل السائر المستقل بدلالة عامة))^٣.

ويقول أيضاً إن التذييل ((محدود بجمليتين أو أكثر بقليل))^٤، ويردُّ عليه سؤالان؛ الأول: من الذى حدد الجمليتين من البلاغيين؟ والثاني: ما حدود الكثرة في قوله: ((أكثر بقليل))؟ فالذى ذكره البلاغيون أن التذييل ألفاظ كقول العسكري^٥، أو عبارة كقول ابن

1 سر الفصاحة، ص ٢١٩..

2 أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ص ١٨.

3 السابق، ص ١٩.

4 السابق، ص ١٩.

5 يُنظر الصناعتين، ص ٣٧٣.

سنان^١، أو جملة كقول ابن منقذ^٢، أو كلام كقول الزركشي^٣، فما ذكره لا يُقصر التذييل على جملة أو جملتين أو أكثر بقليل، إلا أن يقصد المؤلف بقوله ((أكثر بقليل)) ما ذهب إليه العلماء من التفصيل المتقدم.

وهذا البحث جدير بالإفادة منه في جانب التطبيق لكل تذييل ذكره وحاول تحليله.

1 سر الفصاحة، ص ٢١٩.

2 البديع في نقد الشعر ص ١٢٥.

3 يُنظر البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٦٨.

الفصل الأول: تحديد المصطلح

المبحث الأول: مفهوم التذليل وتطوره

أولاً: تداخل المصطلحات البلاغية مع التذييل حتى استقلاله.

مرت المصطلحات البلاغية منذ بداية القرن الثالث الهجري بنوع من التداخل بينها، فقد كان يطلق على علوم البلاغة مرةً "علم البديع" ((كما فعل عبد الله بن المعتز، وأخرى: علوم البيان، كما فعل الجاحظ، وطوراً: علوم النقد، كما فعل قدامة بن جعفر في كتابيه نقد النثر، ونقد الشعر، وحيناً بصناعتي الشعر والنثر، كما فعل أبو هلال العسكري في الصناعتين))^١، وأبو أحمد العسكري هو أول من دون مصطلح التذييل، ويبدو أن أبا هلال العسكري أشار إليه وإلى غيره من البلاغيين بقوله: ((وقال بعض البلغاء: للبلاغة ثلاثة مواضع، الإشارة، والتذييل، والمساواة))^٢، ويبدو أن أول تعريف للتذييل وصلنا كان تعريف أبي هلال العسكري^٣.

ومن خلال تتبعي لرحلة المصطلح لاحظت أن بعض البلاغيين أدخل الاعتراض والالتفات والتوكيد في التذييل، ومن ذلك:

١- ارتباط الاعتراض والالتفات.

لقد ذكر ابن رشيق أن بعض البلاغيين يجمعون الالتفات والاعتراض في شيء واحد، حيث يقول عن الالتفات: ((وهو الاعتراض عند قوم))^٤، وأن قليلاً منهم من يفرق بينهما^٥.

1 تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها. تأليف أحمد مصطفى مراغي. ص ٩. الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

2 كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص ٣٧٣.

³ يُنظر كتاب البلاغة تطور وتاريخ، ص ١٤٢-١٤٤.

4 العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده.. ج ٢، ص ٤٥.

5 يُنظر السابق، ج ٢، ص ٤٥.

وقبل ابن رشيق نرى تعليق الباقلاني على بيت جرير:
متى كان الخيام بذى طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام

فقال: ((ومعنى الالتفات أنه اعترض في الكلام قوله: ((سقيت الغيث)) ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتاً وكان الكلام منتظماً))^١، وقال الحائمي: ((وقد سماه قوم الاعتراض))^٢، ومن هؤلاء الصنعاني، ولكنه عرّفه - الاعتراض - تعريف الالتفات إذ يقول: ((وهو الانصراف عن الإخبار إلى المخاطبة، وعن المخاطبة إلى الإخبار))^٣، ثم يقول أيضاً: ((وقيل الالتفات هو أن يكون المتكلم آخذاً في معنى فيعدل عنه إلى غيره قبل تمام الأول ثم يعود إليه فيتمه فيكون فيما عدل إليه مبالغة وزيادة في الحسن))^٤.

٢- ارتباط الالتفات والتذييل.

روى محمد بن يحيى الصولي عن الأصمعي قوله: أتعرف التفاتات جرير ؟ قال الصولي:
قلت :لا. فما هي ؟
قال:

أتنسى إذ تودعنا سليمي يعود بشامة سقيّ البشام
تراه مقبلاً على شعره ثم التفت إلى البشام فدعا له^٥.

1 إعجاز القرآن، ص ١٥٠.

2 حلية المحاضرة في صناعة الشعر، ج ١، ص ١٥٧، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحائمي. تحقيق الدكتور جعفر الكتاني. بغداد ١٩٧٩م.

3 الرسالة العسجدية في المعاني المؤيدية ص ١٤٦. عباس به علي به عمر الصنعاني، تحقيق عبد المجيد الشرفي، ليبيا - تونس ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

4 السابق، ص ١٤٦.

5 يُنظر كتاب الصناعتين، ص ٣٩٢.

و((كلمة الالتفات دارت على ألسنة أئمة القرن الثاني، وكانت تشمل الاعتراض والتذييل...))^١، وفي القرنين السادس والسابع نجد الرازي يعرف الالتفات تعريف التذييل، إذ يقول: ((تعقيب الكلام بجملة تامة ملاقية إياه في المعنى ليكون تتيماً له على جهة المثل أو غيره كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١))^٢، فالرازي عرف الالتفات واستشهد بما يستشهد به البلاغيون في حديثهم عن التذييل، وهذا - كما أظن - سببه التداخل بين المصطلحات عند بعض العلماء، وإلا فالتذييل قد ذكر مصطلحه وعرف واستشهد عليه قبل الرازي بقرنين من الزمان على الأقل، أما ابن أبي الإصبع المصري، فقد جعل التذييل نوعاً من الالتفات^٣.

٣- ارتباط الاعتراض والتذييل.

يمكن بحث ارتباط الاعتراض والتذييل في اتجاهين :
الأول: النظر إلى هذين المصطلحين على أساس أن الاعتراض يشمل التذييل.
الثاني: النظر إليهما على أساس أن بينهما نقاط التقاء ونقاط افتراق.

أما الاتجاه الأول فهو اتجاه مثله الزمخشري في كشفه، ففي هذا الاتجاه تداخل دقيق بين الاعتراض وبين التذييل، فقد جوز بعض العلماء وقوع الاعتراض آخر الكلام^٤، ((أي في آخر جملة لا يليها جملة أخرى متصلة بها معنى؛ إما لأنها ليس بعدها شيء أو لأن بعدها مالا يتصل بما قبلها، قال المصنف: وبهذا يشعر كلام الزمخشري في مواضع من كشفه فالاختراض عند هؤلاء يشمل التذييل...))^٥.

1 السابق، ١٣٠.

2 نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص ٢٨٨.

3 يُنظر تحرير التحبير، ج ١، ص ١٢٥.

4 يُنظر عروس الأفراح - شروح التلخيص، ج ٣، ص ٢٤٦.

5 السابق، ج ٣، ص ٢٤٦.

وأما الاتجاه الثاني، فيستقل فيه كل من الاعتراض والتذييل عن الآخر، فكل مصطلح له مقوماته وصفاته الخاصة به وإن كان بينهما نقاط التقاء؛ فقد بين شراح التلخيص أن بين التذييل والاعتراض عمومًا وخصوصًا من وجه، لاجتماعهما إذا كانا جملتين لا محل لهما من الإعراب، وكوئهما للتوكيد وبين جملتين، ((وانفراد التذييل فيما لا يكون بين كلامين متصلين وانفراد الاعتراض بما لا يكون للتأكيد))^١، فالاعتراض والتذييل تجمعهما ثلاث نقاط :

الأولى: التأكيد.

فالتذييل من وظائفه التوكيد، والاعتراض كذلك، ((ومن صرح بأن من فوائد الاعتراض التأكيد العلامة ابن هشام في متن المغني))^٢. وهذا ما دعا الدسوقي إلى تعريف الاعتراض بما يشمل بعض صور التذييل إذ يقول: ((وشمل التعريف بعض صور التذييل وهو ما إذا كانت الجملة المعترضة مشتملة على معنى ما قبلها وكانت النكته التأكيد لأن سوى دفع الإيهام شامل للتأكيد))^٣.

الثانية: كوئهما بين جملتين.

ذكر بعض العلماء أن التذييل لا يكون في حشو الكلام^٤، ولذا فرّق بينه وبين الاعتراض، وكون التذييل لا يكون في حشو الكلام قد يردّ عليه بأن ليس هناك من اشترط عدم كونه في حشو الكلام، وقد قال الدسوقي في حاشيته: ((بعض الناس فهم أنّ التذييل لما لم يشترط فيه أن يكون بين كلامين متصلين ولا في أثناء كلام اختص بأنه لا يكون بين كلامين متصلين فباين الاعتراض لاختصاصه بكونه بين كلامين متصلين، ووجه فساد هذا القول أنه لا يلزم

1 حاشية الدسوقي - شروح التلخيص، ج ٣، ص ٢٤٢.

2 السابق ج ٣، ص ٢٣٨.

3 السابق، ج ٣، ص ٢٣٧، ص ٢٣٨.

4 يُنظر تحرير التحرير، ج ٣، ص ٣٩١.

من عدم اشتراط الشيء عدم وجوده، وإنما تلزم المباينة بينهما لو قيل إنه يشترط في التذييل أن لا يكون بين كلامين، وفرق ظاهر بين عدم اشتراط الشيء واشتراط عدم الشيء^١. وقد جاءت الشواهد المختلفة للتذييل التي تحدده مرةً في آخر الكلام، ومرة في وسطه.

الثالثة: كونهما لا محل لهما من الإعراب.

اتفق أغلب البلاغيين على أن التذييل والاعتراض لا محل لهما من الإعراب، وقد خالف السبكي هذه القاعدة قائلاً: إنه لا يشترط في جملة التذييل أن تكون لا محل لها من الإعراب، فقد يكون لها محل فهو يقول: ((والتذييل قد يكون له محل، فإن المصنّف مثّل له في الإيضاح بقول أبي الطيب:

وما حاجة الأظعان حولك في الدجى إلى قمر ما واجدٌ لك عادمه^٢))

فالتذييل هو: " ما واجد لك عادمه " في محل جر نعت القمر، كما يرى السبكي^٣. لكن من خالف السبكي كان يرى أن المصنّف لم يشترط في التذييل ألا يكون له محل من الإعراب، ولكن فهم ذلك من الأمثلة، ويقول المغربي في ذلك: ((لأنّ التذييل يشترط فيه أن يكون بجملة لا محل لها من الإعراب ولو لم يذكره المصنّف صراحة فيما تقدّم، وقد أشار إلى اشتراطه بالأمثلة لأنّ جملة فيها لا محل لها من الإعراب فيكون معناه تعقيب جملة لأخرى لا محل لها من الإعراب للتأكيد))^٤.

1 حاشية الدسوقي - شروح التلخيص، ج ٣، ص ٢٤٢.

2 عروس الأفراح - شروح التلخيص، ج ٣، ص ٢٤٦.

3 يُنظر السابق، ج ٣، ص ٢٤٧.

4 مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ج ٣، ص ٢٤٧.

ويبقى رأي السبكي وجيهاً وصحيحاً إذا ثبت أن الشاهد الذى ذكره فيه تذييل فى محل جر نعت، أى له محل من الإعراب.

ونحن إذا نظرنا فى عبارة "...إلى قمر ما واجد لك عادمه"، نجد أنها لا تخرج عن أحد احتمالين:

الأول أن يكون القمر موصوفاً بالجملة فيحتمل أن يكون المعنى هو: قمرٌ الذى يجدرك عادمه، أى الذى يجد القمر يعدمه، ولا يمكن تصور هذا المعنى.

والاحتمال الثانى أن تكون "ما" نافية، فيكون المعنى: قمر ليس يجدرك يعدمه. وهذا معنى لا يستقيم أيضاً، ومن هنا يمكن القول إنه لا يصح أن تكون جملة التذييل صفة كما قال السبكي، وأما المعنى فيستقيم إذا قيل إن جملة التذييل استئنافية تم الكلام قبلها، فجاءت مؤكدة له، ويكون المعنى:

إن الأظعان التى تسير حولك فى ظلام الليل لا تحتاج إلى قمر لينير الدرب لها، ثم التذييل يقول: لا يجدرك أحدٌ ويعدم القمر، فأنت القمر الذى تنير الدرب للأظعان. وخلاصة القول فى ذلك أن البيت يحتوى على معنيين، والثانى يؤكد الأول. والنتيجة أن ليس هناك شاهد يثبت أن التذييل يكون له محل، وبهذا تسلم مقولة: إن التذييل لا محل له من الإعراب.

إن هذا التداخل الذى مر به التذييل مع بعض المصطلحات أمر طبيعى؛ لأنه كان فى بداية عهدها، وذلك لأنه لم يكن قد تحددت معالمه بعد عند جميع البلاغيين. ومن الطبيعى أن تُنتج عدّة عناوين أمام أيّ ظاهرة بلاغية، ومما ساعد على استقلال هذا المصطلح، ثقل مدرسة التلخيص.

فبعد هذه المرحلة التي تداخلت فيها المصطلحات، استقل التذييل واستقر تعريفه، ووجود الاختلاف بين بعض التعريفات في كتب المتأخرين^١ لا ينفي استقلاله واستقراره.

ثانيا: تعريف التذييل بعد استقلاله.

سنستعرض هنا التعريفات المختلفة للتذييل حسب ترتيبها التاريخي حتى نتيّن ما حدث لها من تطوّر، ثم نختار التعريف المناسب، ونحدد سمات التذييل.

١- تعريف أبي هلال العسكري [ت ٣٩٥هـ].

مدى علمي أن أبا هلال العسكري هو أول من عرف التذييل حيث يقول:
(فأما التذييل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه، وهو ضد الإشارة والتعريض)^٢، وتبعه في هذا التبريزي^٣، وكذلك قال البغدادي^٤.

٢- تعريف الباقلاني [ت / ٤٠٣هـ].

عرف الباقلاني التذييل بقوله: ((وهو ضرب من التوكيد، وهو ضد ما قدمناه من الإشارة))^٥، وقد قال عن الإشارة: ((ومما يعدونه من البديع " الإشارة " وهو اشتمال اللفظ

1 للمثال يمكن مراجعة تعريف التذييل في: الإتيان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٩٥، ثم مقارنة ذلك بتعريف التذييل في

كتاب: الإيضاح في علوم البلاغة، المجلد الأول، ج ٣، ص ٢٠٥.

2 كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص ٣٧٣.

3 يُنظر الوافي في العروض والقوافي ص ٢٨١.

4 يُنظر قانون البلاغة، ص ٤١٦، و ص ٤٤٩.

5 إعجاز القرآن، ص ١٥٥.

القليل على المعاني الكثيرة)^١، وما ذكره وظيفة من وظائف التذييل، وهذه الوظيفة جاءت من خلال اللفظ الكثير الذي يعنى الإطناب، ولكن بعض المتأخرين ساقه ضمن التعريفات^٢.

٣- تعريف ابن سنان الخفاجي [ت/٤٦٦هـ].

عرّف ابن سنان التذييل بقوله: ((وأما التذييل فهو العبارة عن المعنى بألفاظ تزيد عليه))^٣.

٤- تعريف ابن منقذ [ت/٥٨٤هـ] :

((هو أن تأتي في الكلام جملة تحقق ما قبلها))^٤.

٥- تعريف ابن أبي الإصبع المصري [ت/٦٥٤هـ].

هو ((أن يذيل المتكلم كلامه بعد تمام معناه بجملة تحقق ما قبلها))^٥، وقال مثل ذلك في "تحرير التحبير" معرّفًا: ((وهو أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام))^٦.

1 السابق، ص ١٣٦.

2 ذكره الدكتور أحمد مطلوب ضمن التعريفات، ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص ١٣٨.

3 سر الفصاحة، ص ٢١٩.

4 البديع في نقد الشعر ص ١٢٥.

5 بديع القرآن ص ١٥٥.

6 تحرير التحبير، ج ٣، ص ٣٨٧.

٦- تعريف الخطيب القزويني [ت/٧٣٩هـ].
هو ((تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد))^١، وقد قال علي بن محمد الجرجاني مثل ذلك^٢.

٧- تعريف الحسين الطيبي [ت/٧٤٣هـ].
((وهو أن يقطع الكلام بما يشتمل على معناه توكيدا لا محل له))^٣.

٨- تعريف ابن القيم إمام الجوزية [ت/٧٥١هـ].
هو ((تذييل المتكلم كلامه بحرف أو جملة يحقق بها ما قبلها من الكلام))^٤.

٩- تعريف الزركشي [ت/٧٩٤هـ].
وهو ((أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول؛ تحقيقا لدلالة منطوق الأول، أو مفهومه؛ ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند من فهمه))^٥.

١٠- تعريف الحموي [ت/٨٣٧هـ].
((هو أن يذيل الناظم أو النثر كلاما بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيدا وتجري مجرى المثل بزيادة التحقيق))^٦.

1 الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٢٠٥، وفي ذلك يُنظر شروح التلخيص ج ١، ص ٢٢٥.
2 يُنظر التعريفات ص ٧٠، على بن محمد الجرجاني. ضبطه وفهرسه محمد بن عبد الحكيم القاضي. دار الكتاب المصري. القاهرة. دار الكتاب اللبناني. بيروت. ط: الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
3 التبيان في البيان، ص ٢٣٣.
4 الفوائد المشوّق إلى القرآن وعلم البيان، ص ١٧٨.
5 البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٦٨.
6 خزانة الأدب، ص ١١٠.

١١- تعريف السيوطي [ت/٩١١ هـ].

((هو أن يأتي بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على المعنى الأوّل لتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه، ويتقرر عند من فهمه))^١.

وفي حدود علمي لا توجد تعريفات أخرى تخالف هذه التعريفات جوهريا، وسبب اختيار هذه التعريفات هو اختلافها فيما بينها؛ فمن الملاحظ أن العسكريّ عرفّ التذييل بأنه إعادة الألفاظ المترادفة - كما سبق -، ووظيفتها: الإيضاح والتوكيد. ثم جاء الباقلاني واكتفى في تعريفه بذكر وظيفة من وظائفه، وهي التوكيد، أما الخفاجيّ فقال إنه العبارة عن المعنى بألفاظ تزيد عليه، وابن منقذ عرفّه بأنه جملة هدفها تحقيق الكلام السابق، أما ابن أبي الإصبع المصريّ فذكر أن التذييل جملة وما قبله كلام، ووظيفة الجملة هي التحقيق، أما القزويني فذكر أن التذييل جملة والمذيل جملة أيضا، ووظيفة جملة التذييل هي التوكيد.

وأما الطيبي فلم يحدده بألفاظ أو عبارة أو جملة، ولكنه أشار إلى أنه الذي يقطع الكلام بما يشتمل على معناه، وهدفه التوكيد، ثم أضاف إضافة أخرى وهي أنه لا محل له من الإعراب، وأما ابن القيم إمام الجوزية، فقد تبع من سبقه بقوله: إن التذييل هو تذييل المتكلم كلامه بحرف أو جملة يحقق ما قبلها من الكلام كما قال المصريّ وغيره، ولكن ابن القيم - عله - انفرد عندما قال - ضمن تعريفه - بأنه قد يكون حرفا أيضا، وليس هناك من العلماء - على حد علمي - من قال بذلك أو ذكر مثالا عليه.

ومما يلاحظ أن تعريف التذييل ظلّ بين التفصيل وبين الإجمال، إضافة للاختلاف في بعض مفردات التعريف للتذييل، إذ قيل إنه ألفاظ وعبارة وجملة مثلا، وهذا الاختلاف جرى أيضا على وظيفة التذييل، فحددت مرّةً بالتوكيد وأخرى بالتحقيق وهكذا.

1 الإتيان في علم القرآن، ج٢، ص٩٥. وشبهه لهذا التعريف ما ذكره المؤلف أيضا، في كتابه ((معترك الأقران في إعجاز القرآن))، القسم الأول ص٣٦٨.

وقد عرفه الزركشي بأنه كلام، ومن المعروف أن الكلام قد يكون جملة أو أكثر، وذكر أيضاً أنه لتحقيق الكلام، وهو أيضاً لإفهام من لم يفهم، وأنه يكمل عند من فهمه، وعله يعنى من قوله: "ويكمل عند من فهمه" أنه يقصد التوكيد؛ لأن قوله هذا كأنه منقول عن العسكري الذي قال: ((حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتأكد عند من فهمه))^١، و قال الزركشي: ((ليظهر المعنى عند من لا يفهم ويكمل عند من فهمه))^٢.

ويبدو أن تعريف الزركشي فيه اشتغال على معنى أغلب التعريفات السابقة؛ إذ إن قوله "كلام" يشمل: "الألفاظ" و"العبارات" و"الجملة"، وهي مصطلحات وردت في التعريفات السابقة، ويشمل أيضاً قول من لم يحدد أياً من هذه الكلمات الثلاث، وذلك إذا كانت هذه العبارات مفيدة، وقد قال ابن مالك:

((كلامنا لفظ مفيد كاستقم...))

الكلام المصطلح عليه عند النحاة عبارة عن "اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها"...) ^٣، أما كون التذييل جملة فواضح، وأما كونه أكثر من جملة أو عبارة أو كلام فتوجد له أمثلة عدة ذكرها بعض المفسرين، ومن ذلك مثلاً الآية "١٧" من سورة الزخرف وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾^٤ على رأي أنها استئناف لما قبله مسوقة لتقريره^٥. ثم إن

1 كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص ٣٧٣.

2 البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٦٨.

3 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج ١، ص ١٨ قاصى القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محيي الدين الحميد، راجع هذه الطبعة ونقحها الدكتور محمد أسعد النادري، صيدا - بيروت، الدار النموذجية، المكتبة العصرية، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

4 يُنظر روح المعاني، المجلد الرابع عشر، ج ٢٥، ص ١٠٨، ويُنظر إرشاد العقل السليم، المجلد الرابع، ج ٨، ص ٤٢.

5 يُنظر روح المعاني، المجلد الرابع عشر، ج ٢٥، ص ١٠٨.

الزر كشيّ ذكر في تعريفه "الإيضاح" و "التحقيق" و "التوكيد" وهي وظائف التذييل. والذي نستخلصه هو أن التعريفات الأخرى تكرر لما سبقها مع زيادة أو نقصان كما في تعريف الحمويّ في الخزانة، و السيوطي في الإتيقان.

المبحث الثاني: علاقة التذييل بالإطناج وعلاقته بالإيجاز

أولاً: علاقة التذييل بالإطناب.

إذا كان الإيجاز ((هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط))^١، فإن الإطناب ((هو أدائه بأكثر من عباراته. سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل))^٢.

والإطناب بهذا المعنى نسبي، إذ إن ما يُرى إطناباً عند قوم، قد يُرى إيجازاً عند آخرين، وهو راجع في ذلك إلى العرف^٣، وهناك من قال إنه ((مأخوذ من أطنب في الكلام إذا بالغ فيه))^٤، وعرفه صاحب الطراز بقوله: ((هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد))^٥.

ويلاحظ في تعريف الطراز أن التذييل من أوضح صور الإطناب، فالتذييل لفظ زائد على المعنى السابق التام، وهذه الزيادة لفائدة^٦ وإلا كان تطويلاً، ومن غير ترديد وإلا كان توكيداً.

وإذا كان التذييل نوعاً من أنواع الإطناب فإن العلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص، لكن التذييل الجارى مجرى المثل قد يستقل بمعناه، ولا يرتبط بما قبله، وهنا يفارق الإطناب،

1 الإيضاح، ج ٣، ص ١٧١.

2 السابق، ج ٣، ص ١٧١.

3 يُنظر السابق، ج ٣، ص ١٦٩ وص ١٧٠.

4 جوهر الكثر " تلخيص كثر البراعة في أدوات ذوى البراعة " ص ٢٥٦.

5 كتاب الطراز، ج ٢، ص ٢٣٠.

6 يُنظر السابق، ج ٢، ص ٢٣٢، إذ يقول صاحب كتاب الطراز: ((الإطناب لا يجيء إلا لفائدة)).

فالتذليل إطناب لأنه يجيء بعد كلام تام ليؤكد معنًى أو لفظاً، وقد يخرج عن كونه إطناباً إذا أخذ باستقلاله بعيداً عن الكلام السابق له.

وعلى كل حال، فإن البلاغيين اختلفوا في بحثه مستقلاً وهم أكثر^١، وبحثه بعض آخر في الإطناب؛ مثل القزويني و شراح التلخيص و السيوطي^٢.

ثانياً: الفرق بين التذليل وبين الإيغال والتكميل والتمكين.

إن أول من لاحظ الفرق بين هذه المصطلحات -- على حد علمي -- هو ابن أبي الإصبع المصري، وذلك لأنه وجد تشابهاً بينها، مما يثير اللبس، وهذا هو سبب التفريق حيث يقول: ((وقد يختلط على بعض الناس هذه الأبواب الأربعة، وهي باب الإيغال، والتكميل، والتمكين، والتذليل، وأنا أشير إلى الفرق بينها...))^٣

ثم فرق بينها بقوله: ((الإيغال لا يكون إلا في الكلمة التي فيها الروي وما يتعلق بها، وهو أيضاً مما يأتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذليل "، وأما التمكن فيفارق هذه

1 يُنظر مثلاً: سر الفصاحة ص ٢١٩، إعجاز القرآن، ص ١٥٥، الواقي في العروض والقوافي ص ٢٨١، قانون البلاغة، ص ٤١٦، وص ٤٤٩، المصباح في علم المعاني والبيان والبديع ص ٩٨، لبدر الدين بن مالك. القاهرة ١٣٤١هـ، وحسن التوسل ص ٢٦٤، ونهاية الأرب في فنون الأدب ج ٧ ص ١٤٠، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب المصرية - القاهرة. وأنوار الربيع في أنواع البديع ج ٣، ص ٣٩، وص ٤٢، وص ٤٣، على صدر الدين بن معصوم المدني. تحقيق شاكر هادي شكر، النجف الأشرف ١٣٨٨هـ - ١٩٥٣م، ويُنظر نفحات الأزهار ص ٣٢٣.

2 على سبيل المثال: يُنظر شروح التلخيص، ج ١، ص ٢٢٥، والروض المربع في صناعة البديع، ص ١٥١ ابن البناء المراكشي، تحقيق رضوان بن شقرون، الدار البيضاء - المغرب ١٩٨٥م. ويُنظر شرح الكافية البديعية ص ٧٧.

3 تحرير التجبير، ج ٣، ص ٣٩١.

الأبواب من كونه عبارة عن استقرار القافية في مكانها، لكنها لا تزيد معنى البيت شيئاً، ومتى حذفت القافية نقص المعنى، مع كونها غير نافرة من البيت، والتكميل وإن أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الإيغال من وجهين، أحدهما: كونه يأتي في الحشو والمقاطع؛ والإيغال والتذييل لا يكونان إلا في المقاطع دون الحشو، والإيغال والتذييل لا يخرجان عن معنى الكلام المتقدم، والتكميل لابد أن يأتي بمعنى يكمل الغرض المتقدم؛ إما تكميلاً بديعياً أو تكميلاً عروضياً... والتذييل يفارق الإيغال لكونه يزيد على الكلمة التي تسمى إيغالا، آخذاً في البيت من الجزء الذي هو الضرب إلى أول العجز والله أعلم^١، فهو يفرق بين هذه المصطلحات الأربعة بثلاثة أوجه :

أ/ الإيغال.

الإيغال :و ((هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها))^٢.

وفي الاشتراك والافتراق بين التذييل و الإيغال:

١- يشترك الإيغال مع التذييل في أنهما يأتيان بعد كلام تام، ولا يخرجان عن معنى الكلام المتقدم.

٢- قد يشتركان إذا كانا في ختام الكلام - أي المقاطع - وكانا للتوكيد.

٣- واقتراحهما في انفراد الإيغال إذا كان بغير جملة ولغير توكيد، ومثاله قول امرئ القيس:

كأن عيون الوحش حول خبائنا و أرحلنا الجزع الذي لم يثقب

1 السابق، ج٣، ص٣٩١ وص٣٩٢.

2 حاشية الدسوقي - شروح التلخيص، ج٣، ص٢٢٠، والتحبير في علم التفسير ص٢٦٧، وينظر تحرير التحبير، ج٢، ص٢٣٢ وص٢٣٣.

فزيادة المعنى في قوله "الذى لم يثقب"^١، فالمعنى زائد على المعنى السابق لا يفيد توكيده. وافتراقهما أيضا في انفراد التذييل إذا كان ((في غير ختم الكلام بجملته كقولك: مدحت زيدا أثنت عليه بما فيه فأحسن إلي...))^٢، وبهذا يكون بين التذييل والإيغال عموم من وجه؛ لأنهما يجتمعان فيما إذا كانا في الآخر بعد كلام تام وللتوكيد، ويفترق كل منهما في صفة له.

ب/ التكميل.

((ويسمى أيضا: احتراسا))^٣، و ((وهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من معاني المدح أو غيره من فنون الشعر وأغراضه، ثم يرى مدحه بالاختصار على ذلك المعنى فقط غير كامل، فيكمّله بمعنى آخر، كمن أراد مدح إنسان بالشجاعة ورأى مدحه بالاختصار عليها دون الكرم مثلا غير كامل، فكمّله بذكر الكرم، أو البأس دون الحلم...))^٤.

ومن أمثلة ذلك قول ((كعب الغنوى :

حليم إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب

فإنه رأى أن الوصف بمجرد الحلم غير واف فكمّل بقوله في عين العدو مهيب))^٥.

وفي الاشتراك والافتراق بين التذييل وبين التكميل :

1 يُنظر خزنة الأدب، ص ٢٣٤.

2 مواهب المفتاح - شروح التلخيص، ج ٣، ص ٢٢٥.

3 يُنظر عقود الجمان، ج ١، ص ٢٤٤.

4 تحرير التحبير، ج ٣، ص ٣٥٧.

5 التبيان في البيان، ص ٢٣٤.

يشارك التكميل مع التذييل في أنهما يأتيان بعد كلام تام، و يأتي التكميل في الوسط وفي الآخر^١، وهكذا التذييل على رأي أنه يأتي في المقاطع والحشو، وفيما إذا كانا لا محل لهما من الإعراب.

وافترقهما في أن التذييل لا يخرج عن معنى الكلام المتقدم، ووظيفته توكيده وتقريره، وأما التكميل فلا بد أن يأتي بمعنى آخر، ووظيفته أنه يكمل ما يراه ناقصا من الغرض المراد.

ج/ التمكين.

((وهو أن يمهد الناثر لسجعة فقرته، أو الناظم لقافية بيته، تمهيدا تأتي القافية به متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلّقا معناها بمعنى البيت كلّه تعلّقا تامّا، بحيث لو طُرِحَ من البيت اختلَّ معناه واضطرب مفهومه))^٢، وقد سماه ابن قدامة ((ائتلاف القافية))^٣، وسماه من جاء بعده بالتمكين^٤، فابن أبي الإصبع يقول: ((وهو الذي سمّاه من بعد قدامة "التمكين"))^٥.

ويلاحظ من التعريفين أن التمكين مختص بالقافية، فما يتقدم يكون مهيا لها لتستقر، وأن هناك فرقا كبيرا بين التذييل وبين التمكين، فلا التذييل يجيء من أجل استقرار القافية، ولا التمكين يجيء لتوكيد كلام سابق أو توضيحه أو تقريره، فإذا كان التذييل يتعلق بالكلام السابق لتوكيده وتقريره، فإن التمكين فيه تعلق القافية بما قبلها، إذ تتمكن وتستقر بالكلام السابق.

1 يُنظر المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم ص ٤٩٨.

2 تحرير التحبير، ج ١، ص ٢٢٤.

3 نقد الشعر، ص ١٩٠.

4 يُنظر: بديع القرآن ص ٨٩، نفحات الأزهار ص ٣٢٢، شرح الكافية البديعية ص ٢٦٧.

5 تحرير التحبير، ج ١، ص ٢٢٤.

ومن خلال النظر في مواضع التذييل يتبين الفرق بين تلك المصطلحات، وفي ذلك نقول :
التذييل يأتي في موضعين لا ثالث لهما، على خلاف في المسألة، إذ يأتي في المقاطع بلا
خلاف، وقد يأتي في الحشو، وهذا ما وقع فيه الاختلاف.

وهذه المسألة أثارها ابن أبي الإصبع المصريّ عندما فرق بين المصطلحات الأربعة:
الإيغال، والتكميل، والتمكين، والتذييل^١، وقد تبعه في هذا الحموى في "خزانة الأدب" إذ
نقل عبارات المصريّ مع فروق قليلة في الألفاظ^٢، وقد يقوّى هذه الملاحظة - أي أن
المصريّ هو مَنْ أثار هذا التفريق-، قوله: ((وأنا أشير إلى الفرق بينهما فأقول...))^٣،
فقوله: "وأنا أشير" و "فأقول" قد يكون إشارة إلى أنه مبتكر هذا التفريق، وفيه تطرق إلى
وجود التذييل في المقاطع لا في الحشو، وذلك في قوله: ((والإيغال والتذييل لا يكونان إلا
في المقاطع دون الحشو))^٤.

وحتى تتبين الفروق بين هذه المصطلحات الأربعة سوف نقف على بعض
النقاط:

أ/ تعريف المقطع:

((مقطّع كل شيء و منقطعه: آخره...))^٥.

1 يُنظر السابق، ج٣، ص٣٩١.

2 يُنظر خزانة الأدب، ص١١١.

3 تحرير التحرير، ج٣، ص٣٩١.

4 السابق، ج٣، ص٣٩١.

5 لسان العرب لابن منظور، مادة: قطع.

وقال ابن رشيق: ((اختلف أهل المعرفة في المقاطع والمطالع، فقال بعضهم فالمقاطع آخر الفصول...))^١، ((وقد يفسر بالوقف ؛لأنه ينقطع عنده الكلام))^٢.

ب/ تعريف الحشو :

والحشو مقابل المقطع، فإذا كان المقطع آخر الشيء، فإن الحشو يكون في أثناؤه^٣.

ج- وتبرز إثارة المصري المسألة - نفى مجيء التذييل في الحشو وقصره على المقاطع - في مقابل الرأي القائل بأن الحشو والاعتراض شيء واحد^٤، وإذا كان الحشو اعتراضاً، فإن الاعتراض تذييل، وذلك إذا كان التذييل في البين أو الأثناء^٥.

وتتضح المسألة أكثر في كلام الدسوقي عندما تعرض لمقولة "إن التذييل لا يكون في حشو الكلام"، وبسبب ذلك فرق بينه وبين الاعتراض، فهو يقول: ((بعض الناس فهم أن التذييل لما لم يشترط فيه أن يكون بين كلامين متصلين، ولا في أثناء كلام اختص بأنه لا يكون بين كلامين متصلين فباين الاعتراض لاختصاصه بكونه بين كلامين متصلين، ووجه فساد هذا القول أنه لا يلزم من عدم اشتراط الشيء عدم وجوده، وإنما تلزم المباينة بينهما لو قيل إنه

1 يُنظر معجم المصطلحات البلاغية، ص ٦٤١.

2 كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي، ج ٢، ص ١٦٣١.

3 يُنظر تحرير التحرير، ج ٣، ص ٣٩١.

4 يُنظر المثل السائر ج ٢، ص ١٨٣. ويُنظر الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص ١١٨. ضياء الدين ابن الأثير. تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد بغداد ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م. ويُنظر كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، ص ٢٠٣. ضياء الدين ابن الأثير. تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي، والدكتور حاتم صالح الضامن وهلال ناجي. الموصل ١٩٨٢م.

5 يُنظر مواهب المفتاح - شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٤٩.

يشترط في التذييل أن لا يكون بين كلامين، وفرق ظاهر بين عدم اشتراط الشيء واشتراط عدم الشيء^١.

د- وتظهر المسألة عند ابن أبي الإصبع المصري في المثال القرآني الذي ذكره وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١) ، فقد ذكر أن في الآية تذييلين هما :

الأول: ﴿وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾

الثاني: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾

ومحور المسألة هو:

١/ أن المقطع إذا كان يفترض أن يكون في آخر الآية فإن التذييلين وقعا في الحشو، وليس في نهاية الآية " أي المقطع " .

٢/ ومن جهة أخرى، فإن التذييلين وقعا بين معنيين متصلين في الموضوع ذاته، فبعد قتال أولئك المؤمنين واستشهادهم، يطلب الله تعالى إليهم أن يستبشروا بهذا البيع و أن ذلك هو الفوز العظيم.

هـ - يصح كلام ابن أبي الإصبع وهو اشتراط كون التذييل في المقطع، والمقطع آخر الشيء - مع العلم أن كل استشاداته الشعرية يقع التذييل فيها في آخر البيت - إذا لاحظنا اعتبار نهاية المعنى هو المقطع، وما بعده يُعدُّ معنىً جديداً.

1 حاشية الدسوقي - شروح التلخيص ، ج ٣ ص ٢٤٢.

ويؤيد هذا التوجيه تعريف التذييل؛ لأنه لا يأتي إلا بعد كلام تام يحسن السكوت عليه، فإذا تم، فإن التذييل بعده يكون في آخر المعنى "المقطع"، وبهذا المعنى لا يأتي التذييل في الحشو؛ لأنه -أي التذييل - لا يكون إلا بعد تمام المعنى.

وبهذا يمكن تخريج كلام المصري في شاهده القرآني بأن يقال إن التذييل الأول جاء بعد معنى تام يمكن الاكتفاء به، وحينها لا يُعدُّ التذييل في الحشو؛ لأنه جاء في آخر المعنى، وأما التذييل الثاني فيمكن أن يُعدَّ ما قبله معنًى تاماً، ثم جاء التذييل في آخره، فيكون التذييل الثاني ختاماً للمعنى السابق، وحينها لا يكون في الشاهد تذييل في الحشو.

و- من هذا التحليل يمكن التوصل إلى أنه قد تكون نهاية المعنى - أي المقطع - متصلة بمعنى أكبر، فهو مقطع إذا نُظر إليه مستقلاً عما بعده، وهو حشوٌ باعتباره في وسط الكلام، فالشاهد الذي ذكره المصري عبارة عن مقطع داخل مقطع، وبهذا التعبير يكون كلامه صحيحاً.

ز- مما تقدم نرى أن المسألة المثارة شكلية؛ لأن المصري الذي منع أن يجيء التذييل في الحشو جاء بشاهد يحتمل أن يكون التذييل فيه حشواً بصورة اعتبارية، - أي بتصور أن بعده كلاماً مرتبطاً بما قبله - لا حقيقية.

المبحث الثالث: مقارنته التذييل

للتذليل مقامات عديدة، وقد يتطلب المقام الواحد أن يكون مصحوبا بصفات مختلفة
تتحد في كونها منسجمة معه، ولو تختلفت هذه الصفات لاختل ذلك المقام، ومنها:
١ / مقام التضرع والدعاء.

وهو مقام مصحوب بالعزة وهي الغلبة والقهر^١، وبالحكمة.
ومثاله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ
وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (غافر: ٨).
التذليل ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وفيه ﴿العزیز﴾ و﴿الحکیم﴾، وقد ناسب الاسمان
الوفاء بالوعد في إدخال الجنة لمن صلح؛ ((لأنه إن لم يكن غالبا على الكل لم يصح منه وقوع
المطلوب كما يراد وإن لم يكن حكيما أمكن منه وضع الشيء في غير موضعه))^٢، واستخدام
ضمير الخطاب في ﴿إِنَّكَ﴾، يعنى أن الله سبحانه وتعالى قريب، وقد قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)،
وتبعاً لذلك يكون المخاطب قريبا من الله ورحمته، وفي حال التضرع والدعاء يصبح هذا
الإنسان آملا القرب من ذلك الوعد الذى وعده وهو إدخاله الجنة، ثم إن هذه الجملة جملة
قصر بتعريف الطرفين "المبتدأ والخبر"، ويقوى ذلك ضمير الفصل ﴿أَنْتَ﴾،
والمقام يستدعى قصر العزة والحكمة عليه تعالى.

1 يُنظر تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج ٢٤، ص ٢٩.

2 السابق، الجزء والصفحة نفسها.

والقضاء لا بد أن يكون عن علم، ولذا يلاحظ في هذا المقام ذكر لازمين من لوازم العلم وهما السمع والبصر، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: ٢٠).

التذييل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ((وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ يقول إن الله هو السميع لما تنطق به ألسنتكم أيها الناس، البصير بما تفعلون من الأفعال، محيط بكل ذلك محصيه عليكم ليحازي جميعكم جزاءه يوم الجزاء))^١، وفيه أن القضاء يحتاج إلى السمع والبصر، ونلاحظ أن صفتي السميع والبصير مقصورتان على الله سبحانه وتعالى، فالقضاء من الله، و كذلك يكون القضاء من الذي يعطيه الله سمعا وبصرا لاتباع أوامره في الحكم والقضاء، فالتذييل ناسب موضوع مقام القضاء الذي سبقه.

مثاله قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الشورى: ٥).

التذييل هو: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

وقد قيل إن ((الاستغفار منهم^٢ بمعنى السعي فيما يستدعى المغفرة لهم وتأخير عقوبتهم طمعا في إيمان الكافر وتوبة الفاسق فتكون الآية عامة كما هو ظاهر اللفظ غير خاصة بالمؤمنين وإن كانوا داخلين فيها دخولا أوليا ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي

1 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٣٦.

2 أي من الملائكة.

كثير المغفرة والرحمة لأهل طاعته وأوليائه أو لجميع عباده فإن تأخير عقوبة الكفار والعصاة نوع من أنواع مغفرته ورحمته^١.

ولمعرفة التناسب بينه وبين ما سبقه نتأمل ما كانت الملائكة تطلبه من المغفرة لمن في الأرض ولا يكون طلب المغفرة إلا من الله سبحانه، والمغفرة لا تكون إلا من الرحيم، فلولا أن الله هو الغفور الرحيم لما غفر لمن في الأرض، لأنه لا يوجد أمر ومقام كهذا إلا لله سبحانه، وقد يكون هذا سبب تقديم المغفرة على الرحمة أي أن المغفرة تكون من الرحمة، ومن ليس عنده رحمة لا يغفر لأحد.

٤ / مقام الامتنان.

وفي هذا المقام عدة تذييلات منها:

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صَوْرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٦٤).

التذييل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وقد جاء في تفسيره، ((ذلكم الله ربكم، يقول تعالى ذكره، فالذى فعل هذه الأفعال وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم هو الله الذى لا تنبغى الألوهة إلا له، ربكم الذى لا تصلح الربوبية لغيره، الذى لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق، فتبارك الله رب العالمين، يقول فتبارك الله مالك جميع الخلق، جنهم وإنسهم، وسائر أجناس الخلق غيرهم))^٢، والتذييل بدأ باسم الإشارة ﴿ذلكم﴾ الذى يستخدم للبعد، فالله بعيد لا يُدرك فى شأنه وكرمه ورحمته...، فله الكمال الذى لا يدانى، ومع بُعده جاء لفظ الجلالة "الله"، ولأنه قريب من عباده جاءت كلمة

1 فتح القدير، ج٤، ص ٦٥١.

2 جامع البيان فى تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٥٣.

﴿رب﴾، ثم أضيفت إلى ﴿العالمين﴾، مما يشير إلى القرب، وهذا القرب لا نجده مثلاً في عبارة "رب السماوات"، وفي كلمة ﴿تبارك﴾ انسجام تام مع جعل الأرض قراراً، وتصوير الإنسان أحسن تصوير، فكل ذلك يحتاج إلى البركة، فمقام الامتنان مرتبط - في هذا التذييل - بإفاضة النعم على العباد.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (فصلت: ٩).

والتذييل هو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ويبدأ باسم الإشارة ﴿ذلك﴾، وقد ألحق به كاف الخطاب، وفيه تنزيه وتعظيم، لأن التذييل سبق بالحديث عن وجود الأنداد، فربنا عظيم، وهو الرب الذي لا ند له، وإذا كان في التذييل الأول اسم الإشارة ﴿ذلكم﴾ بجمع الجمع؛ فلأن المخاطبين لم يكونوا في طريق الكفر وجعل الأنداد، أما هذا التذييل فخلا من ميم الجمع واكتفى بكاف الخطاب؛ لأن الخطاب تحول من الحديث معهم إلى الحديث مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويبدو أن هذا المقام فيه استنكار على من لا يعطى مقام الامتنان مكانته.

وفي هذا المقام أيضاً قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الدخان: ٦) وهو: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، وقد قيل في تفسيره: ((من ربك)) وضع للظاهر موضع الضمير إيذاناً بأن الربوبية تقتضي الرحمة ثم حقق ربوبيته بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، أي أن الله سبحانه وتعالى يسمع الذي يسأله كما يعلم بحاجته، وهذه هي من صفات الرب المنان الرحيم القادر.

1 تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج ٢٥، ص ٦٦.

وقد اجتمع في هذا المقام لفظا " السميع والبصير " كما في قوله تعالى: ﴿فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

التذييل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، جاء بعد ذكر فطر السماوات والأرض، أنه جعل لنا من أنفسنا أزواجا، وكذلك من الأنعام، وبعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

ويلتفت الشوكاني إلى التذييل ويذكر أنه مفهم لمن لم يفهم ومقررا حقيقة الأمر بقوله: ((ويزداد بصيرة^١ إذا تأمل معنى قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فإن هذا الإثبات بعد ذلك النفي للمماثل قد اشتمل على برد اليقين وشفاء الصدور واثلاج القلوب فاقدر يا طالب الحق قدر هذه الحجة النيرة والبرهان القوي... ولا سيما إذا ضممت إليه قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ فإنك حينئذ قد أخذت بطرفي حبل ما يسمونه علم الكلام وعلم أصول الدين...^٢).

٥/ مقام القدرة.

وفي هذا المقام تذييلات عديدة منها :

- قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت: ١٢).

التذييل هو: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، وفيه العزة والعلم، وكأن معنى التذييل أن الله تعالى يقول ((هذا الذي وصفت لكم من خلقى السماء والأرض وما فيهما وتزيينى السماء

1 يعنى التأمل الفاهم.

2 فتح القدير، ج ٤، ص ٦٥٤.

الدنيا بزينة الكواكب على ما بينت، تقدير العزيز في نعمته من أعدائه، العليم بسرائر عباده وعلاانيتهم وتديرهم على ما فيه صلاحهم))^١، فالعزة تناسب القضاء والتقدير، والعلم يناسب الوحي المذكور قبل التذيل.

- وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت: ٣٩).

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقد سبق هذا التذيل حديث في آيات تتناول إحياء الأرض وأن ذلك دليل على إحياء الموتى، والتذيل فيه تعليل، فمن أحيا الأرض بعد موتها هو قادر على إحياء الموتى، ولماذا ؟ لأنه على كل شيء قدير، ودليل ذلك إحياءه للأرض بعد موتها.

و ابتدأ التذيل بالتوكيد؛ لأن السياق يتطلب ذلك، ومما قاله ابن عاشور: ((وحرف التوكيد لمراعاة إنكار المخاطبين إحياء الموتى...))^٢.

- وقوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٩).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، هو تذيل جاء بعد الحديث عمن يتخذ من دون الله أولياء ثم الحديث عن إحياء الموتى، والضمير " هو " ناسب ما قبله، فالله هو الولي، وهو يحيى الموتى ((أي هو المحيي القادر، فكيف تستقيم ولاية غيره))^٣، ويبدو التناسب في كون تكرار الضمير قبل التذيل، ومجيؤه بداية التذيل يتناسب مع ذلك التكرار، وبالعطف بالواو الدالة على الاشتراك، يصبح المقام واضح الصورة أمام المنكرين، وفي النهاية يتوج هذا

1 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٦٥.

2 التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٣٠٣.

3 القاسمي، ج ١٤، ص ٢٩١، ٢٩٢.

المقام بالتذليل وهو الختام الذى يتحدث عن القدرة المطلقة، فإن كانوا يفكرون فى ولي غير الله، فالله هو الولي — والدليل أنه يحيى الموتى — والنتيجة والقاعدة العامة المستنتجة هي: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

- وأما التذليل فى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْنَىٰ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأحقاف: ٣٣).

فهو: ﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ومما قاله ابن عاشور ((وجملة ﴿إنه على كل شيء قدير﴾ تذليل لجملة ﴿بلى﴾ لأن هذه تفيد القدرة على خلق السماوات والأرض وإحياء الموتى وغير ذلك من الموجودات الخارجة عن السماوات والأرض.

وتأكيد الكلام بحرف ﴿إن﴾ لرد إنكارهم أن يمكن إحياء الله الموتى، لأنهم لما أحالوا ذلك فقد أنكروا عموم قدرته تعالى على كل شيء.

ولهذه النكتة جيء فى القدرة على إحياء الموتى بوصف ﴿قادر﴾، وفى القدرة على كل شيء بوصف ﴿قدير﴾ الذى هو أكثر دلالة على القدرة من وصف ﴿قادر﴾، فهو تذليل لمقام القدرة سبق فيه باستنكار وهو: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْنَىٰ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾، وقد ناسب التذليل ما قبله من القدرة العامة المطلقة فى خلق السماوات والأرض، وهذا أعظم فى نظر الإنسان من خلقه هو، والمعنى: ألم يروا ذلك؟! بلى إنه على كل شيء قدير، والتوكيد أيضا مناسب لحالة شكهم.

وترتبط القدرة مع العلم، كما فى قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٥٠)، قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾، أي ((إن الله ذو

علم بما يخلق وقدرة على خلق ما يشاء لا يعزب عنه علم شيء من خلقه ولا يعجزه شيء أراد خلقه))^١.

وقد جاء التذييل بعد الحديث عن التزويج وهبته لمن يشاء إناثا وهبته لمن يشاء ذكورا، وتزويج هبته ذكرانا وإناثا وجعله من يشاء عقيما، ولم يأت التذييل بصورة التعميم، فلم يقل تعالى: إنه على كل شيء قدير؛ لأن الموضوع محدد بجزئية، وهي الإنجاب فيهب من يشاء ما يشاء من الذكور أو الإناث، وكذلك يجعل من يشاء عقيما، وهذه المسألة تحتاج إلى علم ليفعل ما يصلح لعباده، وتحتاج إلى قدرة لتكون الأشياء كما يريد بقوله "كن".

٦/ مقام التذكر.

مقام التذكر محمود عند الله سبحانه، وفيه يفيد الإنسان من المواعظ، كما أنه يكون مهيا لهداية الله سبحانه وتعالى، وفي هذا المقام نجد قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (غافر: ١٣)، وهو: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾، ((أي وما يتعظ بآياته تعالى، إلا من يرجع إليه بالتوبة والإنابة))^٢.

وجود "التذكر" ناسب اقترانه بـ "المنيب"؛ لأن التذييل مسبوق بذكر رؤية الآيات وما يترل من السماء، وكلها موارد تذكر واتعاظ، وهذا أمر لا يملكه من لا يملك الإنابة.

٧/ مقام الإنذار والتخويف.

وفي هذا السياق عدة تذييلات، منها:

1 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادي عشر، ج ٢٥، ص ٢٨.

2 تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ج ١٤، ص ٢٢٧.

قوله تعالى: ﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ (غافر: ٣١).

وقوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦).

التذييل الأول هو قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾.

يقول ابن عاشور: ((فعل يريد يطلق بمعنى المشيئة كقوله: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾، ويطلق بمعنى المحبة كقوله: ﴿ما أريد منهم من رزق﴾، فلما وقع فعل الإرادة في حيز النفي اقتضى عموم نفي الإرادة بمعنيها على طريقة استعمال المشترك في معنييه، فالله تعالى لا يحب صدور ظلم من عباده ولا يشاء أن يظلم عباده.

وأول المعنيين في الإرادة وفي الظلم أعلق بمقام الإنذار، والمعنى الثاني تابع للأول لأنه يدل على أن الله تعالى لا يترك عقاب أهل الشرك لأنه عدل، لأن التوعد بالعقاب على الشرك والظلم أقوى الأسباب في إقلاع الناس عنه، وصدق الوعيد من متمات ذلك مع كونه مقتضى الحكمة لإقامة العدل.

وتقدم اسم ﴿الله﴾ على الخبر الفعلي لإفادة قصر مدلول المسند على المسند إليه، وإذ كان المسند واقعا في سياق النفي كان المعنى: قصر نفي إرادة الظلم على الله تعالى قصر قلب، أي الله لا يريد ظلما للعباد بل غيره يريدونه لهم وهم قادة الشرك وأيمته إذ يدعوهم إليه ويزعمون أن الله أمرهم به قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنْ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾.

هذا على المعنى الأول للظلم، وأما على المعنى الثاني فالمعنى: ما الله يريد أن يظلم عباده ولكنهم يظلمون أنفسهم باتباع أيمتهم على غير بصيرة...^١.

١ التحرير والتنوير، المجلد الحادي عشر، ج ٢٤، ص ١٣٦.

والتذليل الثاني هو قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ .

وفيه يقول ابن عاشور: ((والخطاب في ﴿ربك﴾ للرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه ما تقدم من تعزيز تسليته... والمراد بنفى الظلم عن الله تعالى لعبيده: أنه لا يعاقب من ليس منهم بمجرم...، ووعد وأوعد، فقد جعل ذلك قانوناً، فصار العدول عنه إلى عقاب من ليس بمجرم ظلماً، إذ الظلم هو الاعتداء على حق الغير في القوانين المتلقاة من الشرائع الإلهية أو القوانين الوضعية المستخرجة من العقول الحكيمة.))^١، ومن خلال المقارنة بينهما نستنتج ما يلي:

التذليل الأول أعم من التذليل الثاني؛ لأن كلمة الرب صفة لله تعالى وليس العكس، والربوبية أكثر خصوصية، لأن الأرباب قد تتعدد فنحن نقول: رب الأسرة، ورب الدار، ورب العمل...، ولا يكون ذلك للفظ الجلالة "الله" سبحانه وتعالى.

ومن الأدلة على خصوصية التذليل الثاني في كلمة ﴿ربك﴾ هو الإضافة فيها؛ ((وذاك أن من شأن الإضافة الاختصاص))^٢، ويكون المعنى هاهنا، أن الحديث عن الرب من الجهة التي يختص فيها بك، والجهة هاهنا هي كونك عبداً له تعالى، وكونه تعالى رباً لك.

جاءت كلمة ﴿ظلماً﴾ في التذليل الأول نكرة لتشمل جميع أنواع الظلم، وجاءت كلمة ﴿بظلام﴾ في التذليل الثاني تنفي صفة الظلم، إذ لا يوصف الله بالظلم.

في التذليل الأول كلمة ﴿للعباد﴾ وفي الثاني ﴿للعبيد﴾، وكلتا الكلمتين جمع، والواحدة منهما يختلف جمعها عن الأخرى؛ إذ يقال: ((الله "أعبده" "عبادة" وهي الانقياد والخضوع والفاعل "عابد" والجمع عباد... "والعبد" خلاف الحر... واستعمل له جموع كثيرة

1 السابق، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٣١٩.

2 دلائل الإعجاز، ص ٢٧٣.

الأشهر منها "اعبد" و"عبّد"¹، ولذا كلمة "العباد" تأتي في القرآن في جانب الثناء - غالبا - كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤)، وأما كلمة "العبيد" فتأتي في مقام الذم.

يفهم من التذليلين أن الله عادل وهو خلاف الظالم، بل إن التذليلين وصفا العدل في هذا المقام بصورة متناهية الدقة؛ ومن ذلك ما يلاحظ في التذليلين من عدم ذكر لفظ "العدل" فيهما، وأُكتفى بنفي الظلم أو نفي إرادته، فلو أُكتفى بذكر العدل وقيل: إن الله عادل للعباد، لفهم عدل الله فحسب، ولكن في التعبير القرآني - عندما نفى الظلم أو إرادته - أضاف معنى آخر على عدل الله، وهذا المعنى هو أن هناك ظلما وهناك من يريد الظلم، ولكن هذا الظلام أو من يريد أن يظلم ليس الله سبحانه وتعالى فهو العدل المطلق، فالنفي في الآيتين نفي للظلم وإثبات للعدل.

يكون المعنى في التذليل الأول هو: إن الله سبحانه وتعالى لا يريد ظلما منه لعباده، ولا يريد ظلما منهم على أنفسهم، لأن كلمة "ظلما" شاملة لكل أنواع الظلم التي لا يريدوها، وإن أنواع العذاب التي جاءكم ما كان الله تعالى يريدوها، ولقد جاءكم بسبب إرادتكم وفعلكم.

وأما المعنى في التذليل الثاني: نفي الظلم عن ذاته تعالى، وإثبات أن هناك ظلما، وهو الإنسان، والدليل على هذا الظلام لفظ "العبيد" التي تعني أنهم أسرى الانحراف عن الطريق الحق، وأن الظلم الذي يأتي بسببكم ظلم بالغ الشدة.

وقد ورد ذكر لفظ "عليم" في تذليل هذا المقام، أو ذكر بعض الصفات المتصلة به، كالسميع والبصير، ومن ذلك:

1 المصباح المنير ج ٢، ص ٣٨٩، كتاب العين. تأليف أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي. ت ٧٧٠ هـ. دار النشر: المكتبة العلمية. بيروت.

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت: ٤٠).

قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تذييل، معناه أن الله تعالى ((بأعمالكم التي تعملونها ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه منها ولا من غيرها شيء))^١.

ومما نلاحظه في التذييل، تقدم ﴿بما تعملون﴾ على ﴿بصير﴾، وقد تُقال عبارة: "إن الله بصير بما تعملون"، ولكن ما جاء في التذييل هنا، يبين أن القضية المحورية في الموضوع التي ينبغي التركيز عليها هي ﴿ما تعملون﴾ ودليل ذلك ما ذكر قبل التذييل وهو ﴿اعملوا ما شئتم﴾، والمعنى أن الذي تعملونه خاصة فإن الله به بصير، ولن يفوته شيء مما تعملونه من كثرة أو قلة، ومن صغير أو كبير، وفي جانب آخر نلاحظ كلمة ﴿بصير﴾ نكرة وليس فيها قصر؛ لأن الذي يعملونه يبصرونه أيضا، قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (القيامة: ١٤)، مع ملاحظة أن بصرهم بأعمالهم لا يكون كإبصار الله تعالى الذي ليس كمثل شيء، ومقام التهديد فيه إهمال، ولا بد أن يأتي يوم الحساب.

- وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (فصلت: ٥٤).

التذييل وهو: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾، أي ((ألا إن الله بكل شيء مما خلق محيط علما بجميعه وقدرة عليه لا يعزب عنه علم شيء منه أراده فيفوته ولكنه المقتدر عليه العالم بمكانه))^٢، ((ووصف الله بالمحيط مجاز عقلي؛ لأن المحيط بكل شيء هو علمه فأسندت الإحاطة إلى اسم الله لأن "المحيط" صفة من أوصافه وهو العلم))^٣.

1 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٧٩.

2 السابق، المجلد الحادى عشر، ج ٢٥، ص ٥.

3 التحرير والتنوير، المجلد الثانى عشر، ج ٢٥، ص ٢٢.

وقد يرد ذكر خسارتهم في التذليل كـ :

- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقُصِّصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (غافر: ٧٨).

والتذليل هو قوله تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾. ((أي في دعواهم الشريك، وافترائهم الكذب))^١.

- وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر: ٨٥).

والتذليل هو قوله تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ ((أي وهلك عند مجيء بأسه تعالى الكافرون برهم، الجاحدون توحيد خالقهم، ففاتهم سعادة الأبد، والعيش الرغد))^٢.

وقد اختلف التذييلان في كلمتين: ﴿المبطلون﴾، ﴿الكافرون﴾.

أما كلمة ﴿المبطلون﴾ فجاءت في تذييل لكلام يتحدث عن مجموعة رسل كانوا يأتون بآيات، ولكن الكافرين يحاولون تكذيبها وإبطالها، فناسب نعتهم بـ ﴿المبطلون﴾، وأما التذييل الآخر، فجاء بعد وصفهم بالكفر من خلال محاولة الدخول في الإيمان بعد فوات الأوان، ولاشك أن الذى فى حالهم قد ظل مستمرا فى كفره، فناسب نعتهم بالكافرين.

1 تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ج ١٤، ص ٢٥١.

2 السابق، ج ١٤، ص ٢٥١.

ونلاحظ أيضا كلمة ﴿هنالك﴾، وهي اسم إشارة وظرف مكان في آن واحد^١، ويقول الزمخشري عنها: ((﴿هنالك﴾ مكان مستعار للزمان: أي خسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله: ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾ بعد قوله: ﴿فإذا جاء أمر الله قضى بالحق﴾، أي وخسروا وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق))^٢.

وقد يكون المعنى أن مكان الخسارة بعيد، مما يضيف تمويلا وتهديدا، وهذا يدعو لتخويف جميع الكافرين والمبطلين، وليس مقتصرًا على قوم محددين؛ لأن من طبيعة البشر الخوف من المكان البعيد المجهول الذي يوصف بالويلات والعذاب، ولعل هذا إشارة إلى الطريق البعيدة عن الإيمان وعن طاعة الرسل، إذ يكونون في ضلال بعيد، وعندها صار مصيرهم عذابا بعيدا في ألمه وبعيدا في مكانه، والله أعلم.

- وقوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢٥).

و هو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

أي ((إن تلك الأمم الذين حق عليهم عذابنا من الجن والإنس كانوا مغبونين ببيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه))^٣.

1 هنا ((اسم إشارة إلى المكان القريب... وبسبب دلالتها على المكان مع الإشارة، دخلت في عداد ظروف المكان أيضا... ويصح أن يتصل بآخرها كاف الخطاب المفتوحة، وقبلها لام البعد فتصير مع الظرفية اسم إشارة للمكان البعيد)). النحو الوافي، ج ١، ص ٣٢٨. عباس حسن، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة. ب. ت.

2 الكشف، المجلد الثالث، ص ٤٤٠.

3 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادي عشر، ج ٢٤، ص ٧١.

- وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (الأحقاف: ١٨).
و هو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

وهنا نلاحظ أن تذييل الآية "٢٥: فصلت" جاء مقررًا لحقيقة في آيات تصف خسارتهم، ويمكن متابعة أنواع مختلفة لهذه الخسارة من الآية "١٣" من السورة نفسها إلى تذييل الآية "٢٥"، إذ قد يختلف المكان الذي يكون فيه المقام، فهناك خسارة في الدنيا، وهناك خسارة في الآخرة، وهي الخسارة الحقيقية، وذكر لفظ "الخسارة" في الآية "٢٥"، حتى تصل الآيات إلى تقرير هذه الحقيقة في التذييل، أي أن مقام الخسارة قد يكون في الدنيا كما قد يكون في الآخرة.

وأما الآية "١٨: الأحقاف" فلم تتقدمه تلك التفاصيل، ولكن أشير فيه إلى أن هؤلاء الخاسرين ينكرون البعث.

- وفي تذييل آخر مصاحبة القوة للعزة وهو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (الشورى: ١٩).

ويبدو أن هذا التذييل عام للآيات التالية :

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ إِلَّا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (١٧، ١٨، ١٩: الشورى).

فهو قوي وقادر على قيام الساعة أتى شاء من دون حاجة لاستعجالهم، وقد يكون ذكر القوي العزيز إبعاداً لمن يتوهم الضعف بسبب ذكر اللطف بالعباد، فيكون المعنى: ((وهو القوي الذى لا يغلبه ذو أيدٍ لشدته، ولا يمتنع عليه إذا أراد عقاباً بقدرته، العزيز فى

انتقامه إذا انتقم من أهل معاصيه^١، وقيل أيضا: ((وأما قوله ﴿القوى العزيز﴾ ففيه إشارة إلى أن لطفه مقرون بجهده^٢، فهو قوي وعزيز في لطفه.

ولقد نرى تشابه بعض التذييلات في هذا المقام، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (الشورى: ١٦).
والتذيل قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

- قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٢١).
التذيل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٤٢).
التذيل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

- قوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ (الشورى: ٤٥).
التذيل قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾.

1 السابق، المجلد الحادى عشر، ج ٢٥، ص ١٣.

2 تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج ٢٥، ص ٢٥.

ومما يلاحظ، أن كل هذه التذييلات من سورة الشورى، وما دامت التذييلات كلاماً يتميز بالعموم، فإنها تلقى بظلالها على السورة، مما يعنى أن كثيراً من الآيات فيها تصب في هذا المقام، ومن هنا يمكن تقسيم السورة من خلالها إلى أقسام أربعة وهي:

القسم الأول: هذا القسم يذكر أن النبي يعرض الوحي على الناس، والناس فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، ورحمة الله تشمل المؤمنين فيكونون من فريق الجنة، وهذا الأمر كان للسابقين أيضاً، و النبي عليه أن يستقيم كما أمر فكل له عمله، فإن الذين يجادلون في الله بعد ظهور الحق حجتهم داحضة وعليهم غضبٌ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (الشورى: الآية ١٦).

القسم الثانى: وفيه أن الله هو الذى نزل الكتاب، ولعل الساعة قريب كما ذكر الكتاب وهو كلام الله، وأولئك الضالون لا يؤمنون بها، ولولا أن الله قضى أن يعيشوا فى الدنيا لدمرهم، ثم يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فإن لم يُعذبوا فى الدنيا فسيلاقون عذاباً فى الآخرة أليماً، ف ((إمهالهم إلى أجل مسمى لا يفلتهم من المؤاخذه بما ظلموا. والمراد بالظالمين المشركون ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

والعذاب الأليم: عذاب الآخرة لجميعهم، وعذاب الدنيا بالسيف والذل للذين أخرجوا إلى إبان حلوله مثل قتلهم يوم بدر. وتوكيد الخبر بحرف التوكيد لأن هذا الخبر موجه إليهم لأنهم يسمعون هذا الكلام ويعلمون أنهم المقصودون به))^١.

القسم الثالث: فى مقابل الذين يعذبون فهناك المنعمون وهم الفريق الذى فى الجنة، أى أن مقابل مقام التهديد، هناك مقام الترغيب، فمن يعمل حسنة يجد حسناً ويزيده الله من فضله، وهذا المعنى موجود فى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

١ التحرير والتنوير، المجلد الثانى عشر، ج ٢٥، ص ٧٧.

وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (الشورى: ٢٦)، ثم تتحدث الآيات عن تقسيم الرزق بقدر حتى لا يبغي العباد إلى أن تصل الآيات إلى ذكر المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (الشورى: ٣٩)، وهؤلاء ليس عليهم سبيل ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٤٢).

القسم الرابع: قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ (الشورى: الآية ٤٥)، ((وجملة ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ تذييل للجمل التي قبلها من قوله ﴿وترى الظالمين لما رأوا العذاب﴾ الآيات؛ لأن حالة كونهم في عذاب مقيم أعم من حالة تلفهم على أن يردوا إلى الدنيا، وذلمهم وسماعهم الذم... وليست هذه الجملة من قول المؤمنين إذ لا قبل للمؤمنين بأن يحكموا هذا الحكم، على أن أسلوب افتتاحه يقتضى أنه كلام من بيده الحكم يوم القيامة وهو ملك يوم الدين، فهو كلام من جانب الله، أي وهم مع الندم وذلك الذل والخزي بسماع ما يكرهون في عذاب مستمر، وافتتحت الجملة بحرف التنبيه لكثرة ذلك في التذيلات لأهميتها.

والمقيم: الذى لا يرتحل. ووصف به العذاب على وجه الاستعارة، شبه المستمر الدائم بالذى اتخذ دار إقامة لا يرحلها))^١.

وفي هذا المقام قد يكون الحديث عن مستوى الألم وشدته ومن المناسب -حينئذ- استعمال كلمة "أليم" مثلا، وقد يكون الحديث عن مدته وهنا من المناسب استعمال كلمة أخرى مثل "مقيم".

وفي جميع هذه التذيلات تنكير كلمة ﴿عذاب﴾ وتنكير صفتها أيضا مما يشير إلى التهويل، فالعذاب غير مألوف، وليس معروفا ألمه أو شدته أو مدته.

1 السابق، المجلد الثانى عشر، ج ٢٥، ص ١٢٩.

قد يأتي التذييل في هذا المقام عاما لعدة آيات، وهذا يشعر بنشوة الفوز، فالفائز يحب أن يسمع كلاما عن المغفرة والرحمة والتنعيم...، و في هذا المقام تذييلات ثلاثة:

- قوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (غافر: ٩).

التذييل: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وهذا التذييل عام لآيات هي:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۖ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (غافر: ٧، ٨، ٩).

فهذه الآيات تدور حول مقام الفوز العظيم و يتمثل في المتقين الذين تصل إليهم دعوات الملائكة ولمن صلح من ذرياتهم لكي يدخلوا الجنة، فقد قال تعالى: ((وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) إذ أشير إلى المذكور من وقاية السيئات إشارة للتنويه والتعظيم. ووصف الفوز بالعظيم لأنه فوز بالنعيم خالصا من الكدورات التي تنقص حلاوة النعمة^١.

- قوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الدخان: ٥٧).

والتذييل هو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، ويفرق هذا التذييل عن السابق بحرف الواو، ويمكن تفسير السبب بأن هذا التذييل عام لآيات عديدة هي قوله تعالى :

1 السابق، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٩٤.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. (الدخان: ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧).

وهذه الآيات تتحدث عن النعيم والخير والجنة، والحديث عن المتقين كأهم موجودون حاضرون يتنعمون فعلا، فلا فاصل بينهم وبين فضل ربهم.

- وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (الجاثية: ٣٠).

فالفوز دخول رحمة الله، أما لفظة ﴿المبين﴾ فقد ناسب - على ما يبدو - وجود لفظة ﴿كتابها﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية: ٢٨). ولفظة ﴿كتابنا﴾ في قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية: ٢٩)، لأن من صفات الكتاب الإبانة.

١٠ / مقام التدبير والاعتبار.

جاءت في هذا المقام تذييلات عدة، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: ٥٧).

والتذييل هو قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ((أي لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الجهل عليهم، ولذا يجعلون إعادة الشيء أعظم من خلقه عن عدم، مع أنه أهون

وأيسر)¹، وفي هذا ذم شديد لهم، فماذا بعد هذه الآيات الواضحات؟! فمن المنطق أن يصل الإنسان من خلال التدبر، إلى أن الله سبحانه وتعالى قادر على خلق الناس لأن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

- وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُمُ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ٢٦).
والتذليل هو قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وفي هذا التذليل يمكن القول بأن الذى يستدعى الخاتمة بـ " لا يعلمون "، هو أن الأمر السابق للتذليل يقوم على الاستدلال الذى يحتاج فيه الإنسان إلى التدبر والاعتبار، فالله خلقكم من العدم بعد ما كنتم غير موجودين، وهذا دليل، وموتكم دليل آخر، فقد كان يفترض أن يستنتج الإنسان أن من قدر على تلك الأمور، قادر على الإحياء، والإحياء — بحسابات البشر — أسهل من الخلق من العدم، ((ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) بذلك، فلهذا حصل معهم الشك في البعث، وجأؤوا في دفعه بما هو أوهن من بيت العنكبوت، ولو نظروا حقّ النظر لحصلوا على العلم اليقين، واندفع عنهم الريب وأراحوا أنفسهم من ورطة الشك والحيرة)²، ومن هنا نلاحظ أن عدم النظر وعدم التفكير يوصل الإنسان إلى أن يُوصف بالجهل.

١١ / مقام التنديد.

إن من يضع نفسه في مكان الاستخفاف يجعل نفسه عرضة للانحراف، ومن التذليلات في هذا المقام :

1 القاسمي، ج ١٤، ص ٢٤٣.

2 فتح القدير، ج ٥، ص ١٢.

- في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف: ٥٤) التذييل هو: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾، ((أي خارجين عن طاعة الله. قال ابن الأعرابي: المعنى فاستجهل قومه فأطاعوه بخفة أحلامهم وقلة عقولهم، يقال استخفه الفرح: أي أزعجه، واستخفه: أي حمّله، ومنه ﴿وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ وقيل استخفّ قومه: أي وجدهم خفاف العقول وقد استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه))^١، وقال ابن عاشور: ((وجملة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ في موضع العلة لجملة فأطاعوه كما هو شأن "إن" إذا جاءت في غير مقام التأكيد فإن كونهم قد كانوا فاسقين أمر بين ضرورة أن موسى جاءهم فدعاهم إلى ترك ما كانوا عليه من عبادة الأصنام، فلا يقتضى في المقام تأكيد كونهم فاسقين، أي كافرين. والمعنى: أنهم إنما خفوا لطاعة رأس الكفر لقرب عهدهم بالكفر لأنهم كانوا يؤلهون فرعون فلما حصل لهم تردد في شأنه بيعته موسى عليه السلام لم يلبثوا أن رجعوا إلى طاعة فرعون بأذن سبب. والمراد بالفسق هنا: الكفر، كما قال في شأنهم في آية الأعراف ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾^٢)).

وقد جاء التذييل بوصف أولئك القوم بـ "الفسق".
والتنديد بهم سببه إطاعة فرعون ومخالفة الرسول، وفي التذييل أيضا ضمير الغيبة في ﴿إِنَّهُمْ﴾ ودخول "كان" على جماعة الغائبين، وهذا مناسب للمقام الذى وضعوا أنفسهم فيه، فقد استخف فرعون بهم فكانوا خفافا كما أراد، فكان من المناسب أن يُخبر عنهم بضمير الغائب؛ إذ لا وزن لهم كي يخاطبوا بضمير المخاطب، فهم في حضورهم غائبون، وأما استخدام الفعل الناسخ "كان" فقد أفاد استمرارهم على حالهم من وقت ليس قصيرا، فهذا الفسق ليس وليد اليوم، إنما كان سِمَتَهُمْ سابقا، وبه ختمت حياتهم، ولا يمكن نفي ذلك

1 السابق، ج٤، ص٦٩٢ و ص٦٩٣.

2 التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج٢٥، ص٢٣٣، ٢٣٤.

عنهم، ومما يؤيد ذلك أن ﴿فَاسْقِينِ﴾ جاء على صيغة الاسم، وفيه ثبات حالة الفسق بخلاف الفعل.

١٢/مقام الاستعاذة.

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦)، فالتذييل هو ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ويلاحظ أن لفظ "العلم" قرن معه لفظ "السميع".

والمعنى ((فإن سول لك الشيطان أن لا تعامل أعداءك بالحسنة وزين لك الانتقام وقال لك: كيف تحسن إلى أعداء الدين، وفي الانتقام منهم قطع كيدهم للدين، فلا تأخذ بترغيه وخذ بما أمرناك واستعد بالله من أن يزلك الشيطان فإن الله لا يخفى عليه أمر أعدائك وهو يتولى جزاءهم))^١، وقبل هذه العبارة قال ابن عاشور:

((وضمير الفصل في قوله ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لتقوية الحكم وهو هنا حكم كنائي لأن المقصود لازم وصف السميع العليم وهو مؤاخذه من تصدر منهم أقوال وأعمال في أذى النبي صلى الله عليه وسلم والكيد له ممن أمر بأن يدفع سيئاتهم بالتي هي أحسن))^٢.

فالله يسمع الذي يسأله ويستعيد به، وعليم بحال المستعيد الذي يلجأ إلى الله الذي لا يجوز اللجوء لغيره.

١٣/مقام بسط الرزق وتقديره.

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى: ٢٧).

1 التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٢٩٧، ٢٩٨.

2 السابق، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٢٩٧.

جاء التذييل وهو: ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ بعد الحديث عن بسط الرزق لجميع عباده الذى يحتاج إلى خبرة بأحوال الناس وبصيرة بخباياهم.

فى هذا التذييل أضاف إلى صفة بصير صفة أخرى وهى ﴿خَبِيرٌ﴾ مع ملاحظة سبقها على ﴿بَصِيرٌ﴾، ويبدو أن السبب هو أن الحديث كان عن التنبؤ بما سيعملونه من بغى إذا حصلوا على المال، وهذا الأمر لا يكفى فى معرفته مجرد البصر، إنما يحتاج ذلك إلى خبرة بخبايا النفوس وتكون سابقة للبصر، فمن يملك الخبرة سوف يفيد من بصره فى المعرفة، أما من حُرِمَ من الخبرة فقد يُخدع بمظاهر الناس؛ لأن الناس مخابر قبل أن يكونوا مظاهراً.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الشورى: ١٢) فالتذييل ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أى أن الله تعالى عليم ((بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع وتقديره على من يقتر ومن الذى يصلحه البسط عليه فى الرزق ويفسده من خلقه والذى يصلحه التقدير عليه ويفسده وغير ذلك من الأمور ذو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقدير وغيره من صلاح تدبير خلقه))^١.

١٤ / مقام البشارة.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (الشورى: ٢٣).

التذييل هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وفيه تعليل وتحقيق ((بأن الله كثيرة مغفرته لمن يستحقها...))^٢.

1 جامع البيان فى تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٥، ص ١٠.

2 التحرير والتنوير، المجلد الثانى، ج ٢٥، ص ٨٥.

ونلاحظ في هذا التذييل إضافة لفظ "شكور" إلى لفظ "غفور"، ومقام المغفرة
تمثلت صورته في بشارة المؤمنين العاملين للصالحات، وأما كلمة "شكور" فناسبت زيادة
إحسان الله لهم.

الفصل الثاني: نوعا التذييل ووظيفته

المبحث الأول: أنواع التذليل

يمكن تناول هذا الموضوع من خلال نقطتين هما :

١- من الآثار البلاغية لابن أبي الإصبع المصري^١ أنه كان أول من قسّم التذييل - على حد علمي - وقد تأثر به من جاء بعده من العلماء فمما جاء في حديثه عن جملة التذييل قوله: ((وتلك الجملة على قسمين: قسم لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق، وقسم يخرج المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله))^٢.

وقد سار على هذا التقسيم أكثر البلاغيين^٣، وخرج عنه الطيبي في "البيان" حيث يقول عن التذييل: ((وهو على أقسام :

أحدها: أن يعقب بجملة تخرج مخرج المثل، قال الذبياني:

ولست بمستبق أخا لا تلمّه
على شعث أي الرجال المهذب

...

ثانيها: أن يعقب بجملة تخرج مخرج التشبيه والتمثيل، قال التبريزي:

أصبحت أظهر شكراً من صنائعه
وأضمر الود فيه أي إضمار
كيانع النخل ييدى للعيون ضحى
طلعا نضيداً ويخفى غصن جمار

1 ((ومما يلاحظ على معالجته لفنون البديع أنه أدخل بعض مباحث المعاني في البديع كالإيجاز وبعض أوجه الإطناب كالتذييل...)) في تاريخ البلاغة العربية ص ٢٩٧، الدكتور عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت.

2 تحرير التحبير، ج ٣، ص ٣٨٧.

3 يُنظر جوهر الكثر، ص ٢٤٤، وعقود الجمان ص ٢٤٣، والفوائد المشوّق ص ١٧٨، والإيضاح ج ٣، ص ٢٠٥، وشروح التلخيص، ج ٣، ص ٢٢٥.

ثالثها: أن يعقب بجملة خرجت غير مخرجهما كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٣٤) أي كذلك عادة الملوك...^١.

ويلاحظ على تقسيمه أن التقسيم الثانى هو التقسيم الجديد الذى لم يذكر فى قسمة البلاغيين الذين قبله أو بعده على ما يبدو.

وفى تقسيم آخر خرج عن التقسيم العام هو تقسيم السيوطي فى "التحبير"^٢، مع أنه فى "عقود الجمان" وفى "معترك الأقران"، يقتصر على التقسيم العام، ففى "التحبير" يقول : ((ثم منه ما خرج مخرج المثل لاستقلاله بنفسه نحو: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١).

وما لم يخرج مخرجه لعدم استقلاله نحو: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ (سبأ: ١٧)... ومنه نوع سماه بعضهم: حشو التمهيد كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً...﴾ (النمل: ٣٤)، فقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، تقرير لكلام "بلقيس" "لا من تمة كلامها)"^٣.

٢- لم يكن لتقسيم الطيبي أو السيوطي أثر يُذكر لتغيير التقسيم المشهور الذى ابتكره المصري، ويبدو أن ثقل مدرسة التلخيص أرسى استقرار التقسيم الذى ذهب إليه المصري، ويمكن اعتبار شهرة التقسيم للتذيل المعروفة وهي :

١/ جار مجرى المثل.

٢/ غير جار مجرى المثل.

1 التبيان فى البيان، ص ٢٣٣ و ص ٢٣٤.

2 التحبير فى علم التفسير، ص ٢٦٨.

3 السابق، ص ٢٦٨.

دليلاً على استقراره وإن لم يذكره بعض البلاغيين، فالحموي، في "خزانة الأدب" لم يقسمه إطلاقاً، ولا اليميني [ت/ ٧٤٩هـ] في الطراز^٢، ولا الزركشي في البرهان^٣.

والملاحظ أنهم حصروا الأمثلة في عدد محدود - في الغالب - فمثال التذييل الجارى مجرى المثل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١)^٤، ومثال التذييل غير الجارى مجرى المثل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ (سبأ: ١٧)^٥.

ومن الأمثلة الشعرية قول النابغة:

ولست بمستبق أحبا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب^٦
إضافة إلى بعض آخر من الأمثلة المكررة كثيرا عند البلاغيين^٧.

1 يُنظر خزانة الأدب، ص ١١٠ وص ١١١.

2 يُنظر كتاب الطراز، ج ٣، ص ١١١.

3 يُنظر البرهان في علم القرآن، ج ٣، ص ٦٨ إلى ص ٧٠.

4 لمطالعة بعض المصادر التي استشهدت بهذه الآية يُنظر: التحبير في علم التفسير للسيوطي، ص ٢٦٨، وعقود الجمان

ص ٢٤٣، والمطول ص ٤٩٧، والبرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٦٩، وشروح التلخيص ج ٣ ص ٢٢٨.

5 لمطالعة بعض المصادر التي استشهدت بهذه الآية يُنظر: التبيان في البيان، ص ٢٣٤، والتحبير في علم التفسير للسيوطي،

ص ٢٦٨، وعقود الجمان ص ٢٤٣، والمطول ص ٤٩٦، والبرهان في علم القرآن ص ٦٨، وشروح التلخيص ج ٣

ص ٢٢٦.

6 لمطالعة بعض المصادر التي استشهدت بهذا البيت يُنظر: التبيان في البيان ص ٢٣٣، وتحبير التحبير، ج ٣، ص ٣٨٨،

وعقود الجمان ص ٢٤٣، والمطول ص ٤٩٧، وشروح التلخيص ج ٣ ص ٢٢٨.

7 يُنظر في ذلك شروح التلخيص ج ٣، ص ٢٢٥ وما بعدها، وعقود الجمان ص ٢٤٣ وص ٢٤٤، وجوهر الكثر

ص ٢٤٤ وص ٢٤٥، وتحبير التحبير، ج ٣، ص ٣٨٨، والتبيان في البيان ص ٢٣٣ وص ٢٣٤، وغيرهم.

وللحديث عن هذين القسمين، نعهد بالحديث عن المثل وارتباطه بالتذليل:

المثل والتذليل:

((أصل المثل التماثل بين الشيئين في الكلام؛ كقولهم: "كما تدين تدان"؛ وهو من قولك: "هذا مثل الشيء ومثله"، كما تقول: "شبهه وشبهه"، ثم جعل كل حكمة سائرة مثلاً. وقد يأتي القائل بما يحسن أن يتمثل به؛ إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً^١. وللعسكري اهتمام بالأمثال، ومن الكتب التي اعتمدها كتاب: "الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة" للأصبهاني [ت/٣٥١هـ]^٢. وقد اهتم الأصبهاني في كتابه الأمثال السائرة عن العرب قائلاً عن كتابه: ((هذا كتاب أودعته فنّاً من الأمثال السائرة عن العرب، هي أكثر ما يجري منها على ألسن الفصحاء، ويختلط بخطاب البلغاء، ويدخل في نواذر الأدباء وبسداءع الشعر...))^٣.

ومسألة السيرورة ليست دائمة، فقد يكون مثلاً ولكنه لا يشترط أن يكون سائراً، وما لم يكن سائراً اليوم في مكان ما، قد يكون سائراً غداً، فالمناخ العلمي - كالجامعات والمدارس والمنتديات الأدبية مثلاً - يؤثر في الناس في إشهار بعض الأمثال كأن تُذكر في برامج علمية أو ترفيهية، فيتأثر الناس بها ثم يتداولونها فيما بينهم، وهو في كل الأحوال مثل؛ لأنه يحسن أن يتمثل به في المواقف المناسبة، فالأمثال هي ((عبارات تُضرب في حوادث مشبهة للحوادث الأصلية التي جاءت فيها))^٤.

1 كتاب جمهرة الأمثال، ج ١، ص ٧.

2 السابق، ج ١، ص ٦.

3 الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة، ج ١، ص ٥٥، للإمام حمزة بن الحسن الأصبهاني، حققه وقدم له ووضع حواشيه وفهارسه عبد المجيد قطامش، دار المعارف بمصر.

4 الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ١٩. تأليف الدكتور شوقي ضيف، طبعة ثانية مزيّدة وموسعة، منشورات مكتبة الأندلس، دار الغد للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٥٦ م.

ومن الأمثال ما قد تتحقق لها السيورة و الشهرة في عصر، ولكن في عصر آخر تفتقر إليها، وأبسط مثال على ذلك ما هو موجود في كتب الأمثال ولا يوجد لها ذكر بين الناس^١، ويبدو أن مسألة السيورة خاضعة لثقافة الناس والمناخ المساعد على الانتفاع بهذه الأمثال، ولاشك أن قدرة الناس مختلفة في ذلك، فهي تعتمد على مدى ثقافتهم واهتماماتهم.

ومن الأمثال التي أخذت حظها في السيورة هو: "أي الرجال المهذب" وقد مر أنه تذييل لبنت النابغة الذبياني^٢، والتذييل الذي يجري مجرى المثل، هو ما دلّ على العموم، وما كان سائراً، ويمكن استقلاله عمّا قبله.

ونلاحظ أيضاً أن ما يجري مجرى المثل أعم من التذييل، فليس كل ما يجري مجرى المثل تذييلاً، فما يجري مجرى المثل يشمل التذييل وغيره، والثعالي في "الإعجاز والإيجاز"، يذكر أمثلة على ذلك في فصل بعنوان "فيما يجري مجرى المثل من ألفاظ القرآن"، ومن الأمثلة التي ذكرها، قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٤)^٣، فقله ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ليست تذييلاً؛ لأنها حال، والتذييل لا محل له، ومع ذلك، فالجملة جارية مجرى المثل، كما أنه ليس كل تذييل يجري مجرى المثل.

فما الذي يجري مجرى المثل من التذييل وما الذي لا يجري مجراه ؟
والجواب في نقطتين:

1 يُنظر كتاب جمهرة الأمثال، فهو يحوى أمثالا لا يسمع بها إلا المتخصص والباحث، وعلى سبيل المثال: جَدَحُ جُؤَيْنٍ من سوق غيره. المجلد الأول، ص ٣٠٧.

2 يُنظر معجم المصطلحات البلاغية ص ٥٧.

3 لمطالعة أمثلة عدّة في هذا المجال، يُنظر كتاب: الإعجاز والإيجاز ص ١٤ و ١٥، لأبي منصور الثعالي. دار الرائد العربي. بيروت - لبنان.

١/ التذييل الجارى مجرى المثل.

يقول العلامة عبد الرحمن العمري في شرحه لـ " عقود الجمان " في ذكره للتذييل:
(("فمنه ما" جرى فى الكلام "كَمَثَلٍ" بفتحتين وهو كلام شُبّه مضربه بمورده وذلك بأن يُقصد حكمٌ كليٌّ منفصل عمّا قبله جار مجرى الأمثال فى الاستقلال وفشو الاستعمال))^١.

ومن الأمثلة التى ذكرها قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١). فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، تذييل يمكن أن تردده الألسن فى كل موطن مناسب، ويكون الحديث فيه عن انهزام الباطل وخسارته وفى كل موقف تكون الهزيمة له^٢.

فالتذييل الجارى مجرى المثل له ثلاث صفات:

أ- استقلاله فى المعنى واتصافه بالعموم. فلا يقصد بالجملة المذيل بها ((حكمٌ موقوف على الجملة الأولى بل يُقصد بها حكمٌ كليٌّ أى غير متقيّد بالجملة الأولى))^٣.

ب- أن يكون صالحا لضربه واستعماله فيما يناسب معناه.

ج- فشوّ الاستعمال.

وهذه النقطة - أى فشوّ الاستعمال - ليست محل اتفاق عند البلاغيين، وقد قال ابن يعقوب المغربي: ((والحق أن المشترط فى جريانه مجرى المثل هو الاستقلال... وأما فشوّ الاستعمال فلا دليل على اشتراطه فيه))^٤، ويبدو أن قول المغربي أقرب إلى الواقع؛ لأن مسألة

1 عقود الجمان ص ٢٤٣، ولمراجعة مثل هذا المعنى، يُنظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ج ١، ص ٤٠٥،

للتهانوى، ويُنظر شروح التلخيص ج ٣، ص ٢٢٧.

2 يُنظر فن البلاغة ص ٢٠٥. د. عبد القادر حسين. مطبعة الأمانة، ٣ شارع جزيرة بدران، شبرا - مصر.

3 مواهب المفتاح - شروح التلخيص، ج ٣، ص ٢٢٨.

4 السابق، ج ٣، ص ٢٢٨.

الفشو تعتمد على ثقافة المجتمع، فما يكون فاشيا في مجتمع قد لا يكون فاشيا في مجتمع آخر، وفي كلا الحالين يبقى التذييل جارياً مجرى المثل، وجميع أمثلة التذييل المذكورة في كتب البلاغة خاضعة لهذا الأمر، فإذا اشتهر التذييل في مجتمع ما يكون جارياً مجرى المثل، وإذا لم يشتهر لن يخرج عن كونه يجرى مجراه؛ إنما الفرق بين الحالين هو السيورة، فقد يكون سائراً وقد لا يكون.

٢/ التذييل غير الجارى مجرى المثل.

((وذلك بأن لا يستقل بإفادة المراد بل يتوقف على ما قبله))^١، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ (سبأ: ١٧)، فقوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ إذا جعل التقدير وهل يجازى ذلك الجزاء المخصوص ((وهو إرسال سيل العرم وتبديل الجنتين إلا الكفور مثل آل سبأ لأنه إن تُؤول على هذا الوجه ارتبط معنى وهل يجازى إلا الكفور حيث أريد الجزاء المعين بما قبله فلا يجرى مجرى المثل في الاستقلال))^٢، فالتذييل مرتبط بما قبله ولا يكون مستقلاً بذاته^٣، فإذا كان الأمر كذلك، فهو يغير المثل الذى يتميز باستقلاله بحيث يمكن أن يتمثل في المواقف الأخرى المشابهة.

وقيل في هذا المثال يمكن اعتبار الجزاء عاماً وليس مخصوصاً كما ذكر، وهذا ما أشار إليه الزمخشري وهو ((أن الجزاء عام لكل مكافأة، يستعمل تارة في معنى العقابة وأخرى في معنى الإثابة، فلما استعمل في معنى العقابة في قوله - جزيناهم بما كفروا - بمعنى عاقبناهم بكفرهم

1 السابق، ج ٣ ص ٢٢٦.

2 السابق، الجزء والصفحة نفسهما.

3 يُنظر عقود الجمان، ص ٢٤٣.

قيل وهل يجازى إلا الكفور ؟ بمعنى: وهل يعاقب، وهو الوجه الصحيح^١، ((فعلى هذا يكون من الضرب الأول^٢ لاستقلاله بإفادة المراد))^٣.

وقد خالف السبكي ذلك بقوله: ((وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورَ)) على التقديرين من الضرب الأول^٤ لأنها لا تستقل بنفسها؛ إما لأن المراد وهل يجازى ذلك الجزاء أي العقاب الأشد على الأول، وإما وهل يجازى ذلك الجزاء الذي هو العقوبة^٥، وأيد رأييه بقوله: ((ولهذا قال الزمخشري بعد ذكر الوجه الثاني^٦ إنما أراد الجزاء الخاص وهو العقاب))^٧.

وقد يمكن الاحتكام في هذه القضية إلى إمكانية استقلال هذا التذييل، فإذا كان يمكن استقلاله، كان جاريا مجرى المثل، وإذا لم يمكن بحال، كان غير جار مجرى المثل، ويبدو أن هناك إمكانية واضحة ليكون - التذييل المناقش في الآية - مستقلا، و من ذلك مثلا القول بأن ((الجزاء يطلق بمعنى العقاب ويطلق بمعنى المكافأة الشاملة للشواب والعقاب))^٨، فعلى المعنى الأول يكون غير جار مجرى المثل، وعلى المعنى الثاني يكون جاريا مجرى المثل^٩.

1 الكشف، ج ٣، ص ٢٨٥.

2 يقصد الجارى مجرى المثل.

3 عقود الجمان، ص ٢٤٣.

4 يقصد غير الجارى مجرى المثل.

5 عروس الأفراح، - شروح التلخيص، ج ٣، ص ٢٢٧.

6 وهو ((أن الجزاء فيه عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى المعاقبة وأخرى في معنى الإثابة)) السابق، ج ٣، ص ٢٢٦.

7 السابق، ج ٣، ص ٢٢٧.

8 حاشية الدسوقي - شروح التلخيص، ج ٣، ص ٢٢٧.

9 لمزيد من التفصيل يُنظر السابق، ج ٣، ص ٢٢٧.

فمن سمات التذييل غير الجارى مجرى المثل :

أ - ألا يكون مستقلاً بإفادة المراد، بل يتوقف على ما قبله.

ب - أن يكون الحكم فيه جزئياً.

الجانب النقدي للتذييل:

اختلف البلاغيون في نقد التذييل من خلال التعرض إلى بعض أمثله، ونعرض ذلك في نقاط:

أ - كان الحديث عن التذييل - أول ما بدأ - يتسم بالعموم، فمثلاً أبو هلال العسكري يقول: ((وقال بعض البلغاء: للبلاغة ثلاثة مواضع، الإشارة، والتذييل، والمساواة))^١، وقوله يشير إلى مكانة هذه المواضيع الثلاثة في الدرس البلاغي.

ب - في موضع آخر يذكر أبو هلال العسكري قيمة التذييل بصورة أكثر تفصيلاً، حيث ((بين أبو هلال مكانة التذييل وموقعه في الكلام))^٢، ويبدو أن هذا استنتاج من قول العسكري: ((وللتذييل في الكلام موقع جليل، ومكان شريف خطير، لأن المعنى يزداد به انشراحاً والمقصد اتضاحاً...))^٣، كما يمكن القول إن هذا الاستنتاج من خلال تعريفه - العسكري - التذييل أنه إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى، فإنه يسبين القيمة التوضيحية والتوكيدية بقوله: ((فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد توكد عند ذهن اللقن، وضح للكليل البليد))^٤، فهذه الصورة تعطى التذييل مكانة وشرفاً خطيراً مع توضيح سبب هذه المكانة.

1 كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص ٣٧٣.

2 علم البديع نشأته وتطوره من ابن المعتز حتى أسامة بن منقذ ص ٢٣٢. د. عبد الرزاق أبو زيد زايد. الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧ م.

3 كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص ٣٧٣.

4 السابق ص ٣٧٣.

ج- وقد خالف الخفاجي العسكري وغيره الذين جعلوا للتذليل مكانة رفيعة، إذ قال - الخفاجي -: ((وأما التذليل فهو العبارة عن المعنى بألفاظ تزيد عليه، وإنما لم نقل في التذليل - إيضاح المعنى - كما قلنا في حد المساواة والإيجاز لما نذهب إليه من حمد الإيجاز والمساواة إذا كان المعنى فيهما واضحاً، فاحترزنا بالإيضاح من أن ندخل في الحد ما لا نحمده من المساواة والإيجاز اللذين يكون المعنى فيهما غامضاً خفياً، فأما التذليل فإنما على ما قدمناه لا نحمده في موضع من المواضع، فلا معنى لاحترازنا بذكر الإيضاح في حده...))^١، وهذا القول غريب، لم أجد من قاله غير الخفاجي، وهو يخالف الشواهد الكثيرة الموجودة في القرآن الكريم، كما أنها موجودة في شعر العرب ونثرهم.

د - ومن نقد المصطلح إلى نقد أمثلة التذليل، وقد اختلف البلاغيون في ذلك، ومنه:

١/ نقد مباشر مختصر للتذليل، وذلك من خلال نظر البلاغي إلى مثال للتذليل ويبدى رأيه فيه، كأن يستحسنه، ومثل ذلك قول الحلبي في كتابه "جواهر الكنز" ضارباً مثلاً على التذليل الجارى مجرى المثل:

((قول ابن نباته السعدي:

لم يبق جودك لى شيئاً أؤمله تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل

فقوله: " لم يبق جودك لى شيئاً أؤمله " تم الكلام.

وقوله: " تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل " تذليل حسن))^٢.

1 سر الفصاحة، ص ٢١٩.

2 جواهر الكنز، ص ٢٤٥.

٢/ نقد يميّز بين نوعي التذييل ويفضّل الجارى مجرى المثل على غير الجارى مجراه، كما ذكر صاحب خزانة الأدب عند قول النابغة :

ولست بمستبق أخا لا تلمّه على شعث أي الرجال المهذب
إذ علق بقوله: ((اتفق أهل البديع على أن قوله أي الرجال المهذب من أحسن تذييل وقع في شعر لأنه خرج مخرج المثل))^١.

٣/ نقد لا يقتصر فيه تعليل جودته وحسنه على كونه جاريا مجرى المثل، إنما فيه تفصيل أيضا للتعليل، ولا سيما عند المصري الذي تقدّم على غيره - كما أعتقد - في هذه المسألة، بالتحليل والمقارنة بين تذييل وآخر إذ قال عن التذييل الجارى مجرى المثل: ((ومن هذا الباب في الشعر قول النابغة الذبياني (طويل) :

ولست بمستبق أخا لا تلمّه على شعث أي الرجال المهذب
فقوله: " أي الرجال المهذب " من أحسن تذييل وقع في شعر.

وكقول بعض العرب (كامل) :

ودعوا نزال فكنت أوّل نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل

فعجز هذا البيت كلّه حسن. وكلا التذييلين من بيت الأعرابي وبيت النابغة من القسم الثاني من التذييل، وهو الذي خرج الكلام فيه مخرج المثل، وتذييل النابغة من القسم الوجيه من البلاغة لاختصار لفظه، وتذييل الأعرابي من القسم البسيط منها، وإنما بسط الكلام فيه لما تضمن معنى التذييل من المطابقة في قوله " أركبه " و " أنزل " وتذييل النابغة خال من ذلك))^٢.

1 خزانة الأدب، ص ١١٠.

2 تحرير التحرير، ج ٣، ص ٣٨٨.

٤ / وتزداد أفضلية الجارى مجرى المثل فى أنه سبب فى فشوّ استعماله إذا كان مدحا، مما يعنى أن التذييل الجارى مجرى المثل إذا جاء فى موضوع يتأثر به الناس وينفعلون به أكثر من غيره كالمدح فإنه يكون أسير فى الأرض^١.

٥ / قد يذكر التذييل من دون تحليل؛ فمثلا السيوطي فى التعبير يكتفى بعد ذكر التعريف، يكتفى بذكر أمثلة دون أن يعلّق على حسنّها مثلاً، فبعد تعريف التذييل يقول: ((ثم منه ما خرج مخرج المثل لاستقلاله بنفسه نحو: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الاسراء: ٨١)

. وما لم يخرج مخرجه لعدم استقلاله نحو: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ (سبأ: ١٧...))^٢، وهكذا دون أن يقدم تعليقا على ذلك.

1 يُنظر خزانة الأدب، ص ١١٠.

2 التعبير فى علم التفسير، ص ٢٦٨.

المبحث الثاني: وظيفة التذييل

وظيفة التذييل: توكيده منطوق الجملة ومفهومها.

أشار البلاغيون إلى الوظيفة التي يؤديها التذييل خلال تعريفاتهم له وهي توكيده لمنطوق الجملة ومفهومها.

كما مرّ تعريف التذييل بمراحل تطور فيها ووصل إلى ما استقر عليه البلاغيون المتأخرون، فكَذَلِكَ وظيفته مرت بمراحل تمثلت في أقوال علماء البلاغة الذين عرّفوا التذييل وعقّبوا تعريفهم بذكر وظيفته، ويُلاحظ أن بعض العلماء الذين عرّفوا التذييل اختلفوا في وظيفته، وإن كانت آراؤهم تدور حول المعنى العام.

فقد ذكر أبو هلال العسكريّ وظيفتين للتذييل هما: الإيضاح والتوكيد، إذ قال معرفا التذييل: ((فأما التذييل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتأكد عند من فهمه، وهو ضد الإشارة والتعريض))¹.

أما ابن منقذ فيرى أن وظيفته هي التحقيق، حيث يقول في تعريف التذييل: ((هو أن تأتي في الكلام جملة تحقق ما قبلها))².

أما الحسين الطيبي فإنه يقصر وظيفته على التوكيد³.

1 كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص ٣٧٣.

2 البديع في نقد الشعر، ص ١٢٥.

3 يُنظر التبيان في البيان، ص ٢٣٣، ويقول الأنباري: ((الفائدة في التوكيد التحقيق وإزالة التجوّز في الكلام))، أسرار العربية، ص ١٥٣.

أما الزركشي فقد توسع في هذه الوظيفة، إذ إن الوظيفة لديه هي تحقيق دلالة المنطوق للكلام السابق أو مفهومه، وجعل ذلك سببا لظهور المعنى، وأنه يكمل عند من فهمه، فظهور المعنى هو الإيضاح، وقوله: ويكمل عند من فهمه، هو التحقيق، ولا يمكن حمل معنى كلمة " يكمل " على أنه ناقص والتذييل يكمله؛ لأنه حينئذ سيخرج عن معنى التذييل. فالزركشي حدد الوظيفة في التحقيق والإيضاح والتوكيد¹.

لم يخرج المتأخرون عن هذه الوظائف التي ذكرت، وإن ظلوا في اختلافهم في توسيع هذه الوظيفة أو تضيقها. ولتضح هذه الوظيفة نناقش مثالين:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١).

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، تذييل توكيد وتوضيح وتحقيق "تقرير" لمنطوق الكلام السابق، ((والمراد بالمنطوق هنا أن تشترك ألفاظ الجملتين في مادة واحدة ولو كانت النسبة في نفسها مختلفة؛ بأن تكون في إحداها اسمية مؤكدة وفي الأخرى فعلية لا أن يكون لفظ الجملة الأولى نفس لفظ الثانية...))²، فالتذييل في الآية فيه اشتراك في ألفاظ المادة اللغوية بين التذييل والمذيل، فقوله تعالى: ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾، جملة فعلية، وأما الجملة الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، فهي جملة اسمية، وفي الأولى والثانية اشتراك في المادة اللغوية بين: ﴿زَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ وبين ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، فـ ((الموضوع في الجملتين واحد وهو الباطل، والمحمول فيهما من مادة واحدة وهو الزهوق))³، ووظيفة التذييل هي إيضاح لمن لم يفهم القاعدة العامة، والاستنتاج من

1 يُنظر البرهان في علم القرآن، ج ٣، ص ٦٨.

2 مواهب المفتاح - شروح التلخيص ج ٣، ص ٢٢٩.

3 حاشية الدسوقي - شروح التلخيص ج ٣، ص ٢٢٩.

قوله تعالى: ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾، فالتذييل يوضح هذه الحقيقة، كما يقررها قاعدة ينبغي التسليم والإيمان والتصديق بها، وأما من فهم القصد ولكن عنده بعض الشك، فإن التذييل يزيل هذا الشك.

وهذا المثال ارتبطت فيه وظيفة التذييل بتوكيد المنطوق.

المثال الثاني: وهو خاص بتوكيد المفهوم.

قال المتنبي :

((من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام))¹

فقوله: " ما لجرح بميت إيلام " تذييل، وهو النوع الذى يوضح ويؤكد ويقرر دلالة مفهوم الكلام السابق له، وإذا كان المؤكّد أو المقرّر أو الموضّح للمنطوق يشترك فيه التذييل والمذيل بمادة لفظية والموضوع واحد، فإن المسألة فى توكيد المفهوم وتقريره وتوضيحه لا يكون فيها اشتراك للمادة اللغوية بينهما - أي بين التذييل والمذيل -، بل المذيل فيه معنى ألفاظه لا تشبه ألفاظ التذييل، إنما يؤكد المعنى السابق ويوضحه ويقرره بألفاظ أخرى، فالشطر الأول معناه أن من يهن المرّة تلو الأخرى يسهل الهوان عليه ويرضى به، فيتعود عليه، ثم يؤكد هذا المفهوم بجملة أخرى لتؤكد معناه، فيكون المعنى هو أن الذى يقبل الإهانة ويتعود عليها لا يشعر بالذل والهوان " وهو معنى الشطر الأول " كالميت الذى لا يشعر بالجروح " وهو معنى التذييل "².

1 شرح ديوان المتنبي، ج ٢، ص ٢١٧.

2 يقول البرقوقى فى تعليقه على هذا البيت: ((إذا كان الإنسان هينا فى نفسه، سهل عليه احتمال الهوان كالميت الذى لا يتألم بالجراحة)). السابق، الجزء والصفحة نفسهما.

مواصفات التذييل :

ومما مر يمكن وضع مواصفات التذييل وهي :

١. يأتي بعد كلام تام.
٢. هذا الكلام التام السابق للتذييل قد يكون جملة واحدة، وقد يكون أكثر من جملة.
٣. في القرآن الكريم قد يكون التذييل لآية واحدة، وقد يكون التذييل لعدة آيات.
٤. يشتمل على معنى الكلام السابق.
٥. يقرر ويؤكد ما يسبقه من الكلام المذيل.
٦. هذا التقرير أو التوكيد قد يكون للمنطوق وقد يكون للمفهوم.
٧. فيه إفهام وإيضاح لمن لم يفهم الكلام المذيل.
٨. كونه مستأنفا لا محل له من الإعراب.
٩. قد يأتي في الحشو كما يأتي في المقاطع.
١٠. يدل على العموم^١.

١ يدل على العموم في الجارى مجرى المثل ولكنه أقل عمومية في غير الجارى مجرى المثل، وقد مر الحديث عن قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾. ينظر ص ٨١.

الفصل الثالث: الدراسة البلاغية لجمله التذييل فى سور الحواميم

تقديم :

قبل الإحصاء أقدم أمرين، وبعده أعرض إلى بعض الملاحظات المهمة التي رأيتها على هذه المدونة:

أولاً: تعريف بالحواميم:

فهي السور التي تبدأ بـ حم، وقد وقع الخلاف في كيفية جمعها، فقول " آل حم " وقيل " الحواميم "، وقد استدل كل على اختياره بدليل خاص، فهناك من استدل بالحديث الشريف، وآخر بما أثر من قول العرب أو ما أثر من الصحابة كابن مسعود، كما استدل بالشعر، فالقاسم بن علي الحريري أيد القول بـ " آل حم " بقوله:

((ويقولون: قرأت الحواميم والطواسين، ووجه الكلام فيهما أن يقال: قرأت آل حم وآل طس، كما قال ابن مسعود رحمه الله: آل حم ديباج القرآن. وكما روي عنه أنه قال: إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات أتأثق فيهن. وعلى هذا قول الكميت بن زيد في الهاشميات:

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقيٍّ ومُعرب

يعنى بالآية قوله تعالى في حم عسق: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣))^١. فالحريري استشهد بالقول المأثور عن ابن مسعود، ثم بشعر الكميت.

1 دُرَّةُ الغوص في أوهام الخواص، للقاسم بن علي الحريري ٥٤٦-٥١٦هـ، ص ٢٠، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار فحضة مصر للطبع والنشر.

وفي المقابل هناك من قال: " الحواميم"، فصاحب البحر المحيط يورد أحاديث يؤيد بها هذا الوجه، وذلك في قوله: ((وفي الحديث: إن الحواميم ديباج القرآن^١ وفيه: "من أراد أن يرتع في رياض مونة من الجنة فليقرأ الحواميم"، وفيه: "مثل الحواميم في القرآن مثل الخبرات في الثياب وهذه الحواميم مقصورة على المواعظ والزجر وطرق الآخرة وهي قصار لا تلحق فيها سامة))^٢، وهذا استشهاد بالحديث الشريف، وفي بعض الأخبار أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((من قام بالحواميم في ليلة غفر الله له))^٣، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع تجيء كل (حم) منها فتقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرؤني))^٤.

والسور التي تبدأ بـ " حم " سبع، وهي: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف. وقد اخترت اسم "الحواميم" على " آل حم"، لكثرة الأحاديث الواردة باسم " الحواميم " تيمناً^٥.

1 وقد أورد الطبرسي هذا الحديث الشريف عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((الحواميم ديباج القرآن)). جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد، المجلد الثاني، ص ٣٩٢.

2 البحر المحيط في التفسير، ج ٩، ص ٢٣١ وص ٢٣٢.

3 تفسير القرآن، المجلد الخامس، ص ٥. للإمام العلامة شيخ الإسلام حجة أهل السنة والجماعة أبي المظفر السمعاني منصور ابن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي ((٤٢٦-٤٨٩)). تحقيق أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن للنشر - الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

4 الأساس في التفسير. المجلد التاسع، ص ٤٩٢٩. وقد ذكر الدكتور الدجيلج مسألة التسمية بـ " حم " أو بـ "الحواميم"، وإن كان يميل إلى " حم"؛ لأنها أفصح. يُنظر بلاغة القرآن الكريم في سور حم. من ص ٤٢ إلى ص ٤٨.

5 بلاغة القرآن الكريم في سور حم، ص ٤٦-٤٧.

وموضوعاتها ((تُعنى بأصول العقيدة كسائر السور المكية والدعوة إلى أصول الإيمان الاعتقادية من الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من البعث والحشر والجزاء، والإيمان بالرسالة...))^١.

ثانياً: إحصاء مدونة التذييل في سور الحواميم.

ويتلخص منهج الإحصاء الذى اتبعته في أمور هي:

١/ اخترت بعض التفاسير التى تُعنى بالجانب البلاغي في القرآن؛ منها ما يذكر التذييل صراحة، ومنها ما يستخدم مصطلحات تفيد إفادة التذييل.

٢/ بعد تحديد التذييل، أعضده - أحيانا - ببعض أقوال المفسرين الآخرين تأييداً أو مخالفة، كأن يذكر أحدهم تذييلاً بلفظه ويقول آخر إنه تعقيب وتقرير.

٣/ أدوّن ما أراه تذييلاً ولم يذكره المفسرون إلا من خلال بعض صفاته كالاستئناف والتقرير والتعقيب مثلاً.

٤/ قد جمعت ما ذكره المفسرون تذييلاً، أو أن فيه معنى التذييل، أو بمترلته، أو يفيد مفاده، وعقبت عليه بما ذكره من صفاته من التقرير أو الاستئناف....

٥/ أنقل النص من المصدر كما هو بمقدار ما يفيد البحث، وأما إذا كان النص بتفصيل لا حاجة له في البحث؛ فإنى أحاول اختصاره بمقدار يحفظ معناه ومكان الشاهد.

1 السابق، ص ٦١.

٦/ إذا رأيت أكثر من رأي في الموضوع، أقتصر على المفيد في مجال البحث، ولذا قد أشير إلى أن هناك رأيا آخر.

٧/ في كل ذلك حاولت الإيجاز غير المخل.

مدونة تذييل الحواميم من خلال كتب التفسير:

أ/ إحصاء التذييل في سورة غافر:

الرقم المسلسل	التذييل ورقم الآية	التعليق عليه
١	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ﴾ (غافر: ٥)	((استفهام تقرير لعقوبتهم)) . زاد المسير، ج ٧، ص ٣٤، الوجيز للواحدى ، ج ٩، ص ٩، الكشف ج ٣ ص ٤١٥، روح المعاني ج ٢٤ ص ٦٧ . ((ففى هذا الاستفهام تحقيق وتثبيت لمضمون جملة ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾)) . التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٨٧ .
٢	﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (غافر: ٦)	تذييل . التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٨٨ .
٣	﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (غافر: ٨)	((فالجملة تعليل لما قبلها)) . إرشاد العقل السليم، ج ٧، ص ٢٦٨، وروح المعاني، ج ٢٤، ص ٧٣ . ((اعتراض بين الدعوات)) . التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٩٣ .

		وقيل الجملة تعقيب. في ظلال القرآن، المجلد الخامس، ج ٢٤، ص ٣٠٧١.
٤	﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ﴾ <u>يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ</u> (غافر: ٩).	﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ﴾ ((تذييل)). التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٩٤. ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، تعقيب وتقرير. روح المعاني، ج ٢٤ ص ٧٥.
٥	﴿ذَلِكُمْ بِاللَّهِ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (غافر: ١٢).	زيادة تحقيق لما سبق. التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٠٠.
٦	﴿هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (غافر: ١٣).	اعتراض. روح المعاني، ج ٢٤، ص ٨٣، الميزان فى تفسير القرآن، المجلد ١٧، ج ٢٤، ص ٣١٨. ((تذييل)). التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٠٣.

٧	﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر: ١٦).	((استئناف لبيان بروزهم وتقرير له)). إرشاد العقل السليم، ج٧، ص ٢٧١، الكشاف ج٣، ص٤١٩، روح المعاني، ج٢٤ ص٨٥، التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص١٠٩. ((مستأنفة مبينة لبروزهم ويجوز أن تكون في محل نصب على الحال من ضمير بارزون)). فتح القدير، ج٤، ص٦٠١.
٨	﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (غافر: ١٧).	((والتذييل لتعليل ما قبله)). روح المعاني، ج٢٤، ص٨٧. تعليل. إرشاد العقل السليم، ج٧، ص٢٧١.
٩	﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر: ١٨).	((وجملة ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ في موضع بدل اشتمال من جملة ﴿الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾)). التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص١١٤. ((والتعريف في ﴿الظالمين﴾ للاستغراق ليعم كل ظالم، أي مشرك، فيشمل الظالمين المنذرين، ومن مضى من أمثالهم فيكون بمنزلة التذليل)). التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص١١٤.

((تقرير لعلمه تعالى بخاتمة الأعين وما تخفى الصدر)). روح المعاني، ج ٢٤ ص ٩٢، الكشاف للزمخشري، ج ٣، ص ٤٢١، إرشاد العقل السليم، ج ٧، ص ٢٧٢، التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١١٨.	﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. (غافر: ٢٠).	١٠
((وختم الكلام بـ ﴿إِنَّهُ قَوَى شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ مبالغة في التحذير والتخويف)). تفسير الرازي، ج ٢٧، ص ٥٣. تعقيب وتعليل وتبيين. التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٢١.	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوَى شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. (غافر: ٢٢).	١١
الجملة اعترض. روح المعاني، ج ٢٤، ص ٩٤، إرشاد العقل السليم، ج ٧، ص ٢٧٣.	﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾. (غافر: ٢٥).	١٢

١٣	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: ٢٨) .	((يجوز أن تكون ... جملة معترضة ... وإنما هي قول من جانب الله في قرآنه يقصد منها تزكية هذا الرجل ... فيكون نفي الهداية عن المسرف الكذاب كناية عن تقوى هذا الرجل ...)) . التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٣١، ١٣٠ .
١٤	﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ . (غافر: ٣١) .	معترضة . التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٣٥ .
١٥	﴿يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (غافر: ٣٣) .	﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ . ((فى هذه الجملة معنى التذليل)) . التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٣٧ .
١٦	﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ (غافر: ٣٤) .	من قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ إلى نهاية الآية ٣٥، ((كله من كلام الله تعالى معترض بين كلام المؤمن وكلام فرعون)) . التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٤١ .

١٧	﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (غافر: ٣٥).	﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾. القول في ﴿كذلك يطبع...﴾ كالقول في ﴿كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب﴾^١. التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٤٤. ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾. ((... استئناف للدلالة على الموجب لجداهم)). روح المعاني، ج ٢٤، ص ١٠٤.
١٨	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِى صَرْحًا لَعَلِّى أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (غافر: ٣٦، ٣٧).	تعقيب. في ظلال القرآن، المجلد الخامس، ج ٢٤، ص ٣٠٨٢.
١٩	﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٤).	تعقيب وتعليل. التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٥٧.

١ يُنظر ما ذكره ابن عاشور عن تذييل الآية ٣٤ / غافر. المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٤١.

٢٠	﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٨).	﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ...﴾. بمثلة التذييل. التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٦٣.
٢١	﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر: ٥٠).	تعقيب. في ظلال القرآن، المجلد الخامس، ج ٢٤، ص ٣٠٨٥. ((وجملة ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ يجوز أن تكون من كلام خزنة جهنم تذيلا لكلامهم يبين أن قـولهم: ﴿فادعوا﴾ مستعمل في التنبيه على الخطأ، أي دعاؤكم لم ينفعكم لأن دعاء الكافرين في ضلال والواو اعتراضية، ويجوز أن تكون من كلام الله تعالى تذيلا واعتراضا)). التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٦٥.
٢٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: ٥٦).	تعليل. التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٧٥، روح المعاني، ج ٢٤، ص ١٢٠.

٢٣	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١).	((وجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ اعتراض هو كالتذييل لجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾)). التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٨٦.
٢٤	﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِي تُؤْفَكُونَ﴾ (غافر: ٦٢).	﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ((أخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررهما وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا إله إلا هو استثناء بما هو كالنتيجة للأوصاف المذكورة)). إرشاد العقل السليم، ج ٧، ص ٢٨٢. تعقيب. في ظلال القرآن، المجلد الخامس، ج ٢٤، ص ٣٠٩٤.
٢٥	﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (غافر: ٦٣).	((هذه الجملة معترضة بمتزلة التعليل لمضمون الجملة التي قبلها وهو التعجب من انصرافهم عن عبادة ربهم)). التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٨٨.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمُ وَرَزَقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٦٤). تعقيب. في ظلال القرآن، المجلد الخامس، ج ٢٤، ص ٣٠٩٤.	٢٦	
﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ○ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ (غافر: ٧٣، ٧٤). تعقيب عام. في ظلال القرآن، المجلد الخامس، ج ٢٤، ص ٣٠٩٧. ((تذييل معترض بين أجزاء القول الذى يقال لهم)) التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٢٠٥.	٢٧	
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِّىَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (غافر: ٧٨). تقرير أو تأكيد. في ظلال القرآن، المجلد الخامس، ج ٢٤، ص ٣٠٩٩.	٢٨	

((ولذلك كان قوله: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ مفيدا مفاد التذييل لما في قوله ﴿آيَاتِهِ﴾ من العموم لأن الجمع المعروف بالإضافة من صيغ العموم)). التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٢١٨.	﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (غافر: ٨١).	٢٩
---	---	-----------

ب/ إحصاء التذييل في سورة فصلت :

الرقم المسلسل	التذييل وقم الآية	التعليق عليه
١	﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت: ١٢).	((وما أحسن هذه الخاتمة، لأن تلك الأعمال لا تمكن إلا بقدرة كاملة وعلم محيط)). تفسير الرازي، ج ٢٧، ص ١٠٩.
٢	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (فصلت: ١٦).	((وجملة ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ تذييل، أي لا ينصرهم من يدفع العذاب عنهم، ولا من يشفع لهم، ولا من يخرجهم منه بعد مهلة)). التحرير والتنوير، المجلد الحادي عشر، ج ٢٤، ص ٢٦١.
٣	﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (فصلت: ٢١)	((وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؛ إما من تمام كلام الجلود، أو مستأنف من كلامه تعالى: وعلى كل، فهو مقرر لما قبله، بأن القادر على الخلق أول مرة، قادر على إنطاق كل شيء)). تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ج ١٤، ص ٢٦٦.

٤	﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢٥).	((تعليل لاستحقاقهم العذاب)). الكشاف ج ٣، ص ٤٥٢. تعليل. إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ١١.
٥	﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (فصلت: ٢٨).	﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾. ((مبينة للجملة التي قبلها)). فتح القدير، ج ٤، ص ٦٣٧. ((مستأنفة مقررة لما قبلها)). فتح القدير، ج ٤، ص ٦٣٧. إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ١٢. ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾. ((جملة مستقلة مقررة لما قبلها)). روح المعاني، ج ٢٤، ص ١٨٤.
٦	﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦).	((تعليل لما قبلها)). فتح القدير ج ٤، ص ٦٣٩.
٧	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت: ٣٩).	﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. تعقيب. في ظلال القرآن، المجلد الخامس، ج ٢٤، ص ٣١٢٦.

		﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. تذييل. التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٣٠٣.
٨	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت : ٤٠).	((الجملة تذييل لجملة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ (إلخ)). التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٣٠٥.
٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (فصلت : ٤١).	((الجملة مستأنفة مقررة لما قبلها)). فتح القدير، ج ٤، ص ٦٤٢.
١٠	﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٌ﴾ (فصلت : ٤٣).	تعليل، وقيل هي جواب لسؤال مقدر: ثم ماذا؟. روح المعاني، ج ٢٤، ص ٢٠٠.
١١	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت : ٤٦).	الآية كاملة. ((وفيه معنى التذييل لأن (مَنْ) في الموضعين مفيدة للعموم)). التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٣١٨. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. ((اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله)). إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ١٧، روح المعاني، ج ٢٤، ص ٢٠١.

((مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ)) استئناف نفى أن يكون لهم ملجأ أو موضع روغان)). الجواهر الحسان، ج ٣، ص ١٨١. يحتمل أن يكون الكلام استئنافاً. المحرر الوجيز، ج ١٣، ص ١٢٩. ((مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ)) ... الظاهر أن الجملة في محل نصب ساذة مسد مفعولي ظن وهي معلقة عنها بحرف النفي، وقيل: تم الكلام عند قوله تعالى: ((وظنوا)). روح المعاني، ج ٣٥، ص ٦.	﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ (فصلت: ٤٨).	١٢
((استئناف وارد لتوبيخهم)). روح المعاني، ج ٢٥، ص ١٠، وإرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ١٩.	﴿سُتْرِيبُهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣)	١٣
((تذييلان للسورة وفذلكتان افتحتا بحرف التنبيه اهتماماً بما تضمنناه. فأما التذييل الأول فهو جماع ما تضمنته السورة من أحوال المشركين المعاندين...	﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ (فصلت: ٥٤).	١٤

وضمير ﴿إِهُمْ﴾ عائِد إليهم كما عاد
ضمير الجمع في (سُريهم) ((فصلت:
٥٣)). وأما التذييل الثاني فهو جامع لكل
ما تضمنته السورة من إبطال لأقوالهم
وتقويم لاعتوجاجهم...)).

التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج
٢٥، ص ٢١، ٢٢.
والتأكيد في الجملتين لقصد الاهتمام.
المصدر نفسه، ص ٢٢.

((ثم ختم السورة بقوله: ﴿أَلَا إِهْمُ فِي
مَرِيَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾)).

تفسير الرازي، ج ٢٧، ص ١٤٠.
قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾
تقرير أن الله على كل شيء قدير وبكل
شيء محيط وإقامة الساعة لديه سهل يسير.
ابن كثير، ج ٦، ص ١٨٥.

ج/ إحصاء التذييل في سورة الشورى :

الرقم المسلسل	التذييل ورقم الآية	التعليق عليه
١	﴿لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (الشورى: ٤).	قيل: ((استئناف مقرر لعزته وحكمته)). إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٢٢. ((جملة ﴿لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مقرر لوصفه ﴿العزیز الحکیم﴾ الشورى: ٣... ولكون هذه الجملة مقرر معنى التي قبلها كانت بمنزلة التأكيد فلم تعطف عليها. وجملة ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ عطف عليها مقرر لما قررته الجملة قبلها)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٢٨، ٢٩.
٢	﴿تَكَادُ السَّمُوتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَلَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الشورى: ٥).	((زيادة تقرير لعظمته)). إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٢٢. وقيل: ((﴿إِلَّا إِنْ أَلَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ والتذييل للإشارة إلى سبب ترك معالجة العذاب مع استحقاقهم له)). روح المعاني، ج ٢٥، ص ٢٠.

٣	﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٩).	﴿وهو على كل شيء قدير﴾، تعقيب وتعليل. التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٤١.
٤	﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الشورى: ١٢)	((وجلة ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ مبينة لمضمون جملة ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.)) التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٤٩. ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. ((والجملة تعليل لما قبلها)). إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٢٥. ((استئناف بيان)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٤٩.
٥	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣).	((استئناف وارد لتحقيق الحق)). إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٢٦. تعقيب. في ظلال القرآن، المجلد الخامس، ج ٢٥، ص ٣١٤٨.

٦	﴿فَلَذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (الشورى: ١٥).	﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾. ((فهي كلها جملة مستأنفة عن جملة ﴿آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ مقررَة لمضمونها)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٦٣. ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾. ((والتعريف في "المصير" للاستغراق، أي مصير الناس كلهم فبذلك كانت الجملة تذيلا بما فيها من العموم)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٦٤.
٧	﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (الشورى: ١٨).	((الجملة تذييل لما قبلها بصريحها وكنائتها لأن صريحها إثبات الضلال للذين يكذبون بالساعة وكنائتها إثبات الهدى للذين يؤمنون بالساعة. وهذا التذييل فذلكه للجملة التي قبلها)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٧٠.
٨	﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (الشورى: ١٩).	تذييل وتعليل. روح المعاني، ج ٢٥، ص ٤٢، ٤٣.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (الشورى: ٢٢).	﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾. (تذيل)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٨٠.
﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (الشورى: ٢٣).	﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾. الكلام تذيل وقيل تميم. روح المعاني، ج ٢٥، ص ٥٢. ((تذيل لجملة ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ... الصَّالِحَاتِ﴾ والمعنى: وكلما عمل مؤمن حسنة زدناه حسنا من ذلك الفضل الكبير)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٨٤. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾. ((وجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ تذيل وتعليل للزيادة لقصد تحقيقها بأن الله كثيرة مغفرته لمن يستحقها...)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٨٥.

١١	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الشورى: ٢٤).	﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾. هذا الكلام مستأنف على رأي الفراء. زاد المسير، ج ٧، ص ٨٠. ((استئناف مقرر لما قبله)). فتح القدير، ج ٤، ص ٦٦٢. ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾. ((استئناف مقرر لنفي الافتراء)). إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٣١. تذييل، تأكيد للمفهوم من السابق. روح المعاني، ج ٢٥، ص ٥٣. ((الجملة كالتذييل للتفريع)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٨٧.
١٢	﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الشورى: ٢٥).	((تذييل للكلام السابق يؤكد ما ذكره من القبول والعفو)). روح المعاني، ج ٢٥، ص ٥٧.
١٣	﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (الشورى: ٢٦).	((اعتراض عائد إلى ما سبق من قوله ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ... وَاقِعَ بِهِمْ﴾)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٩١.

١٤	﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ إِلَهُ عِبَادِهِ خَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى: ٢٧).	الآية كاملة ((بمترلة التذييل لما فيها من العموم)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٩٢. ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَيْرٌ بَصِيرٌ﴾. تذييل. روح المعاني، ج ٢٥، ص ٦٠.
١٥	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٢٩).	((معترضة في جملة الاعتراض لإدماج إمكان البعث في عرض الاستدلال على عظيم قدرة الله وعلى تفردة بالإلهية)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٩٨.
١٦	﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤٠).	((وجملة ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ في موضع العلة لكلام محذوف دل عليه السياق فيقدر أنه يحب العافين...)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ١١٦. ويجوز أن تكون تعليلاً ((منصرفاً لمفهوم جملة ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ أي دون تجاوز المماثلة في الجزاء)). المصدر السابق والجزء والصفحة.

جملة بيان لجملة ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ﴾ إذا أريد بالسبيل سبيل العقاب في الآخرة. التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ١٢١. ذيل للتوكيد. الميزان في تفسير القرآن، المجلد ١٨، ج ٢٥، ص ٦٥.	﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٤٢).	١٧
((يحتمل أن يكون من قول المؤمنين يومئذ حكاية الله عنهم ويحتمل أن يكون استئنفا من قول الله عز وجل)). الجواهر الحسان، ج ٣، ص ١٩٧. إما من تمام كلام المؤمنين أو استئناف إخباراً منه تعالى وتصديقاً له. روح المعاني، ج ٢٥، ص ٧٩. ((وجملة ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ تذييل للجمل التي قبلها من قوله: ﴿وَنَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ (الشورى / ٣٤)) الآيات؛ لأن حالة كونهم في عذاب مقيم أعم من حالة تلهفهم على	﴿وَنَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ (الشورى: ٤٥).	١٨

		أن يُردّوا إلى الدنيا، وذّلّهم وسماعهم الذم. وإعادة لفظ ﴿الظالمين﴾ إظهار في مقام الإضمار اقتضاه أن شأن التذليل أن يكون مستقل الدلالة على معناه لأنه كالمثل)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ١٢٩.
١٩	﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُوهُمْ مِنْ ذُوْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى: ٤٦).	((تذييل لجملة ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُوهُمْ﴾)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ١٣٠.
٢٠	﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ (الشورى: ٤٧).	((مستأنفة)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ١٣٢.
٢١	﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٥٠).	((ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾. قال ابن عباس: عليم بما خلق قدير على ما يشاء أن يخلقه)). تفسير الرازي، ج ٢٧، ص ١٨٦. تذليل. التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ١٣٧.

((تعليل لما قبلها)). فتح القدير، ج ٤، ص ٦٧٤. تذيل. التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ١٥٠.	﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ (الشورى: ٥١).	٢٢
تقرير لهدايته. روح المعاني، ج ٢٥، ص ٩٢.	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢).	٢٣
((تذيل وتنهية للسورة بختام ما احتوت عليه من المحاولة والاحتجاج بكلام قاطع جامع منذر بوعيد للمعرضين...)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ١٥٥.	﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (الشورى: ٥٣).	٢٤

د/ إحصاء التذييل لسورة الزخرف :

الرقم المسلسل	التذييل	التعليق عليه
١	﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الزخرف: ٦ ، ٧).	﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ((تقرير لما قبله ببيان أن إسراف الأمم السالفة لم يمنعه تعالى من إرسال الأنبياء إليهم)). إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٤٠.
٢	﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الزخرف: ٨).	((أي سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي حقها أن تسير مسير المثل)). روح المعاني، ج ٢٥، ص ١٠١، إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٤٠ ((وذكر ﴿الأولين﴾ إظهار في مقام الإضمار لتقديم قوله (في الأولين) ووجه إظهاره أن يكون الإخبار عنهم صريحا وجاريا مجرى المثل)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ١٦٧.

٣	﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ (الزخرف: ١٥).	((تذييل يدل على استنكار مازعموه بأنه كفر شديد)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ١٧٧.
٤	﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (الزخرف: ٢٠).	((بيان جملة ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ١٨٦.
٥	﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣).	﴿كَذَلِكَ﴾: تذييل، أي وكذلك شأن الأمم والرسل. المتزع البديع، ص ٣١٤. ﴿مَا أَرْسَلْنَا... مُقْتَدُونَ﴾. ((استئناف مبين لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم لأسلافهم)). روح المعاني، ج ٢٥، ص ١١٦.
٦	﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحِمَتْ رَبُّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: ٣٢).	((تذييل للرد عليهم، وفي هذا التذييل ردٌّ ثانٍ عليهم بأن المال الذي جعلوه عماد الاصطفاء للرسالة هو أقل من رحمة الله)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٢٠٢.

٧	﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٣٥)	تذليل. التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٢٠٧.
٨	﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الزخرف: ٤٠).	((فيه معنى التذليل لأنه أعم من الصم والعمى باعتبار انفرادهما)) التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٢١٧.
٩	﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الزخرف: ٤٣).	((تعليل للاستمسك أو الأمر به)) إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٤٨.
١٠	﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: ٥١).	((والاستفهام في ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ تقريرية جاء التقرير على النفي تحقيقا لإقرارهم حتى أن المقرر يفرض لهم الإنكار فلا ينكرون)) التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٢٣٠.
١١	﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف: ٥٤).	((جملة ﴿إِنْ﴾ تعليلية لا محل لها)) إعراب القرآن وبيانه، المجلد التاسع، ج ٢٥، ص ٩٥.

١٢	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ (الزخرف: ٦٠).	((تذييل لوجه دلالة على القدرة)). روح المعاني، ج ٢٥، ص ١٤٣.
١٣	﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (الزخرف: ٦٤).	((استئناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام)). إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٥٣، روح المعاني، ج ٢٥ ص ١٤٩.
١٤	﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف: ٧٢).	((الآية تذييل للقول)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٢٥٦.
١٥	﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الزخرف: ٨٢).	((وهذه الجملة معنى التذييل لأنها نزهت الله عن جميع ما يصفونه به من نسبة الولد وغير ذلك)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٢٦٦.
١٦	﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (الزخرف: ٨٧).	تقرير وتوبيخ. المحرر الوجيز، ج ٩، ص ٢٥٩.

هـ/ إحصاء التذييل لسورة الدخان :

الرقم المسلسل	التذييل ورقم الآية	التعليق عليه
١	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ (الدخان: ٣).	قيل: ((مستأنفة مقررة للإنزال)). فتح القدير، ج ٤، ص ٧٠٥.
٢	﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (الدخان: ٥).	مستأنفة، وقيل بدل من ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾. البحر المحيط، ج ٩، ص ٣٩٨، فتح القدير، ج ٤، ص ٧٠٦.
٣	﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الدخان: ٦).	قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. ((وما بعده تحقيق لربوبيته)). الكشاف، ج ٣، ص ٥٠١.
٤	﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (الدخان: ٢٨).	((كَذَلِكَ ﴾ قال الزجاج: المعنى الأمر كذلك، والمراد التأكيد والتقدير فيوقف على ذلك)). روح المعاني، ج ٢٥، ص ١٨٩.
٥	﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَعِّ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (الدخان: ٣٧).	((تعليل لإهلاكهم)). إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٦٤.

٦	﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان: ٣٩).	((وجملة الاستدراك تذييل)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٣١١. ((وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تذييل وتجهيل فخيم لمنكرى الحشر وتوكيد لأنّ إنكارهم يؤدي إلى إبطال الكائنات بأسرها)). روح المعاني، ج ٢٥، ص ٢٠٠.
٧	﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (الدخان: ٤١).	((والمعنى: يوم لا تغني عنهم مواليتهم، فعدل عن ذلك إلى التعميم لأنه أوسع فائدة إذ هو بمنزلة التذييل)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٣١٢.
٨	﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الدخان: ٤٢).	((وجملة ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ استئناف بياني)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٣١٣.
٩	﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ (الدخان: ٥٤).	((أي الأمر كذلك... والمراد تقرير ما مر تحقيقه)). روح المعاني، ج ٢٥، ص ٢٠٦.
١٠	﴿فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الدخان: ٥٧).	((تذييل)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٣٢٠.

و/ إحصاء التذييل لسورة الجاثية :

الرقم المسلسل	التذييل ورقم الآية	التعليق عليه
١	﴿وَأَتَيْنَاهُمُ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (الجاثية: ١٧).	استئناف بياني. التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٣٤٧.
٢	﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (الجاثية: ١٩).	تذييل. التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٣٤٩.
٣	﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (الجاثية: ٢٠).	((بمثلة التذييل لما قبلها والتهئية لأغراضها...)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٣٤٩.
٤	﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية: ٢١).	((وجملة ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ تذييل لما قبلها من إنكار حسابهم وما اتصل بذلك الإنكار من المعاني)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٣٥٥.

٥	﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ٢٦).	((﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ استدراك من قوله تعالى: ﴿رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو من تمام الكلام المأمور به، أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على أن ارتياهم لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكير لا لأن فيه شائبة ريب ما)). روح المعاني، ج ٢٥، ص ٢٣٧، إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٧٤.
٦	﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُدُ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ (الجاثية: ٢٧).	((﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتراض تذييل لقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٣٦٦.
٧	﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ (الجاثية: ٣٢).	((﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾... وقد صرح غير واحد بأن هذه الجملة كالتأكيد لما قبلها والمراد بها استمرار النفي وتأكيده...)). روح المعاني، ج ٢٥، ص ٢٤٢.

ز/ إحصاء التذييل لسورة الأحقاف :

الرقم المسلسل	التذييل ورقم الآية	التعليق عليه
١	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الأحقاف: ٨)	تذييل الميزان في تفسير القرآن، المجلد الثامن عشر، ج ٢٦، ص ١٨٩.
٢	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّا نَ وَاسْتَكَبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٠).	الجملة تذييل، وهي تعليل. التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٦، ص ١٩.
٣	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ تَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (الأحقاف: ١٦).	((وعموم ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ يكسب الجملة فائدة التذييل)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٣٥.
٤	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (الأحقاف: ١٨).	((والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقي)). إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٨٤.

٥	﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفَقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأحقاف: ١٩).	((والجملة حال للتوفية أو استئناف أو مقرر لها)). روح المعاني، ج ٢٦، ص ٣٤، إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٨٤، فتح القدير، ج ٥، ص ٢٦.
٦	﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أُنْذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَخْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ التُّنُورُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأحقاف: ٢١).	قيل اعتراضية. فتح القدير، ج ٥، ص ٢٨. ((إِنِّي أَخَافُ... عَظِيمٍ... والجملة استئناف تعليل للنهي)). روح المعاني، ج ٢٦، ص ٣٩.
٧	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأحقاف: ٣٣).	﴿بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ((تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود)). إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٨٩، روح المعاني، ج ٢٦، ص ٥٢. ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ختم. تفسير الرازي، ج ٢٧، ص ٣٥.

((تذييل لجملة "بلى" لأن هذه تفيد القدرة على خلق السماوات والأرض وإحياء الموتى وغير ذلك...)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٥٦.		
((وتعريف ﴿الْقَوْمُ﴾ تعريف الجنس، وهو مفيد العموم، أي كل القوم الفاسقين فيعم مشركى مكة الذين عناهم القرآن فكان لهذا التفرع معنى التذييل)). التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٦٩.	﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الأحقاف: ٣٥).	٨

والآن أتطرق إلى ملاحظات مهمة - من وجهة نظرى - على ما ذكره المفسرون من التذييلات وأحصى ما لم يذكره:

١- الاستدلال بمسألة العموم على التذييل.

ويبدو أن ابن عاشور - من خلال تطبيقه لأقوال البلاغيين - أثار هذه المسألة بين تذييل وآخر، ومثال ذلك قوله: ((والتعريف في ﴿المصير﴾ للاستغراق، أي مصير الناس كلهم فبذلك كانت الجملة تذييلاً بما فيها من العموم))^١.

1 التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٦٤. ويُنظر المصدر نفسه في تعليقه على الآية ٨١ من سورة غافر، والآية ٤٦ من سورة فصلت.

٢- إطلاق مصطلح " التعليل " ^١ على بعض التذييلات.
كثيراً ما يطلق مصطلح التعليل على التذييل، ولم يقتصر ذلك على مفسر أو اثنين، والمصادر التي اعتمدنا عليها في الإحصاء تنهج هذا الطريق ^٢.

٣- كون الاعتراض آخر الكلام.
لقد أثبتت هذه المسألة ^٣، وقد كان الزمخشري يسلك هذا المسلك ^٤، وفي هذا الإحصاء نرى من يسلك طريقه في هذه المسألة ^٥.

٤- تنوع حالات الإعراب للتذييل.
فقد يُعرب التذييل جملة استثنائية ويخالفه آخر في إعرابه، ومثال ذلك :
قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِيَهُمْ أََعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾
(الأحقاف: ١٩).
فقد قيل عن التذييل وهو: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: ((والجملة حال للتوفية أو استئناف أو مقرر لها)) ^٦.

١ ((التعليل: وفائدته التقرير والأبلغية)) معترك الأقران في إعجاز القرآن، القسم الأول ص ٣٧٢.
٢ يُنظر مثلاً: تعليق "إرشاد العقل السليم" على الآية الثامنة من سورة غافر،، وفتح القدير في تعليقه على ٣٦ من سورة فصلت، وروح المعاني في تعليقه على الآية ١٩ من سورة الشورى، والتحرير والتنوير في تعليقه على الآية ٥٦ من غافر.
٣ يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة، ج٣، ص ٢١٩.
٤ يُنظر مذكرناه عن تفسير الكشاف في مسألة الاعتراض، ص ٢٦.
٥ يُنظر وإرشاد العقل السليم في التعليق على الآية ٤٦ من سورة فصلت، التحرير والتنوير في تعليقه على الآية ٥٠ من سورة غافر.
٦ روح المعاني، ج ٢٦، ص ٣٤، فتح القدير، ج ٥، ص ٢٦، إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٨٤.

إن المعاني تختلف باختلاف تراكييب الكلم^١؛ فإذا أعرب حالا، يكون المعنى أن الله يوفيههم أعمالهم، وحالهم أنهم لا يظلمون. وفي حال الاستئناف، فإن المعنى يكون ابتداءً، أنهم لن يظلموا، إذ إنهم في محضر العدل. ومع اختلاف المعنى إلا أن كلا المعنيين صحيح، ولا ضير في ذلك لأن القرآن حَمَّال ذو وجوه ((وفي الحديث: "القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه"))^٢.

٥- الاستئناف البياني.

لقد أطلق المفسرون على بعض الجمل استئنافا بيانيا، ولهذا السبب قد يفوت الباحث في موضوع التذييل مجموعة من التذييلات بحجة أنها إجابة عن سؤال مقدّر^٣ - أي استئناف بياني - وليست تقريراً أو توكيداً أو توضيحاً، ولذا نحتاج إلى وقفة مع هذا الأمر، وهذا شبيه بتعدد حالات الإعراب، فإذا اختلف الإعراب قد يكون المعنى صحيحاً ولكنه يخرج عن دائرة التذييل إذا نُظر إليه بغير الاستئناف، ومما يدعو إلى التوقف عند هذه النقطة هو أن المسألة لا تخرج عن كونها محتملة، حينها لا ينبغي أن نقصر ما يقال إنه استئناف بياني^٤ على أنه كذلك فقط، ومما يؤيد ذلك أمور:

الأمر الأول: أن المسألة لا تخرج عن كونها محتملة؛ لأن الاستئناف البياني إجابة عن سؤال مقدّر، والتقدير يختلف بحسب الاحتمال.

1 يُنظر التراكييب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ص ٨٢. الدكتور عبد الفتاح لاشين. دار المريخ - الرياض.

2 تفسير القاسمي المسمّى بحاسن التأويل، ج ١، ص ١٠.

3 ((ويخص البيانيون الاستئناف بما كان جواباً لسؤال مقدّر)) . معنى اللبيب عن كتب الأعراب، ج ٢، ص ١٧.

4 وقد أشار العطار في رسالته إلى إمكانية وقوع التذييل استئنافاً بيانياً من ص ١١٦ إلى ص ١١٩، ونحن نخالفه؛ إذ إن معنى الاستئناف البياني هو جواب عن سؤال مقدّر، وهذا يتعارض مع التعريفات التي أكدت على أن التذييل يأتي بعد كلام تام، والمخرج في هذا الموضوع هو أن نقدر ما قيل إنه استئناف بياني استئنافاً نحويًا.

الأمر الثاني: يؤكد هذا الاحتمال اختلاف التقدير بين العلماء، فإذا قال عالم عن الجملة استئناف بياني قد يسكت آخر أو يخالفه، ومثال ذلك: تذييل الآية "١٢" "من سورة الشورى وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، فبينما يقول ابن عاشور عنه ((استئناف بياني))^١، يقول أبو السعود ((تعليلا))^٢، وفي هذه الحال لا يمكن أن نُخطئ أحدا منهما ما دام التقدير محتملا في الأمرين.

الأمر الثالث: يوجد تقارب بين الاستئناف البياني والتعليل - أحيانا - عند المفسرين، فإذا قيل عن جملة قرآنية إنها "استئناف بياني"، وقال آخر عنها إنها "تعليل"، فهناك من يقول عن جملة إنها "تذييل" ويقول آخر إنها "تعليل"، مع العلم أن الجمل أو مقاطع الكلام متشابهة، وهذا يجعلنا نربط بين المصطلحات الثلاثة: الاستئناف البياني و التعليل والتذييل، وخاصة إذا اعتمدنا على احتمال التقدير، والأساس الذى ينبغى أن يسير عليه التقدير هو صحة المعنى، فمثلا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الشورى: ١٢) قيل هو استئناف بياني، وهو تعليل على قول آخر، ويحتمل أن يكون تذييلا إذا لم يُقدّر سؤال، وإذا لم نعتبر الجملة تعليلا وإنما اعتبرناها استئنافا عاما لما فيه من دلالات تشير إلى عمومته، ومنها لفظ ((كل)).

٦- إطلاق بعض العبارات مثل: يفيد مفاد التذييل، أو بمتزلة التذييل...، ويمكن عرض بعض هذه العبارات من خلال نقاط:

أ - قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر: ١٨).

يقول ابن عاشور: ((والتعريف في ﴿الظالمين﴾ للاستغراق ليعم كل ظالم، أي مشترك فيشمل الظالمين المنذرين، ومن مضى من أمثالهم فيكون بمتزلة التذييل))^٣، ويبدو أن عدم

1 التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٤٩.

2 إرشاد العقل السليم، ج ٨، ص ٢٥.

3 التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١١٤.

جزمه بأنه تذييل، بسبب ما قيل من أن الجملة ((في موضع بدل اشتغال من جملة ﴿الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾))^١، ولكن إذا قدرنا أنها استئناف، صارت تذيلا.

ب- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (غافر: ٣٣).

عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾، يقول ابن عاشور: ((وفي هذه الجملة معنى التذييل))^٢، وأرى أن الجملة تذييل وخصوصا إذا قيل إن الواو استئنافية، وهذا ما ذهب إليه الشوكاني^٣.

ج- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١).

يقول ابن عاشور: ((وجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ اعتراض هو كالتذييل لجملة ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾))^٤.

إن لم يجزم بأنه تذييل فلربما لأنه في وسط الآية، ولا أظن ذلك مانعا من كونه تذيلا، وفي المقابل، فإن كان التذييل إلى آخر الآية، فهذا هو المشهور، أي أن يكون التذييل في رأس المقطع أو الآية، هذا فضلا عن اعتبار قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ تذيلا إذا قدر الكلام استئنافا مقررًا لما سبق.

د- قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (غافر: ٨١).

((ولذلك كان قوله: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ مفيدا مفاد التذييل لما في قوله ﴿آيَاتِهِ﴾ من

1 السابق، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١١٤.

2 السابق، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٣٧.

3 فتح القدير، ج ١، ص ١٣٠.

4 التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٨٦.

العموم لأن الجمع المعرف بالإضافة من صيغ العموم))^١.

هـ - قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الشورى: ٢٤).
قوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾. يقول ابن عاشور: ((الجملة كالتذييل للتفريع))^٢.

ويمكن الاستنتاج بأن الجملة تذييل مادامت استثنائية ومقررة لما سبق، ولا ضير أن تكون الجملة للتفريع، لأن التفريع قد يكون توضيحاً، وهو من صفات التذييل.

٧- توجيه للتذييل ووصفه.

وفي هذه المسألة أمور منها:

أ- أن يُذكر أن التذييل للتفريع، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ (الشورى: ٢٤).

ب- التذييل للتعليل، وهذا ما قاله الألوسي في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (غافر: ١٧): ((والتذييل لتعليل ما قبله))^٣.

ج- التذييل فذلّة. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (الشورى: ١٨)، ويقول الإمام الزبيدي في الفذلّة: ((" فذلك حسابه "

1 السابق، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٢١٨.

2 السابق، المجلد الثانى عشر، ج ٢٥، ص ٨٧.

3 روح المعاني، المجلد الثالث عشر، ج ٢٤، ص ٨٧.

فذلكة، أهمله الجوهري وصاحب اللسان، وقال الصاغاني: أي " أنهاه وفرغ منه ". قال: وهي كلمة " مخترعة من قوله " أي: الحاسب " إذا أجمل حسابه، فذلك كذا وكذا " عددًا، وكذا وكذا قفيذا...))^١.

د- التذييل مؤكّد.

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الشورى: ٢٥)، والتذييل مؤكّد للكلام السابق^٢.

هـ - التذييل تنهية.

ومثاله قوله تعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (الشورى: ٥٣). يقول ابن عاشور: ((تذييل وتنهية للسورة...))^٣.

و- التذييل معترض.

ومثاله قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ (غافر: ٧٤). يقول ابن عاشور: ((تذييل معترض بين أجزاء القول الذى يقال لهم))^٤.

ز- وقد يخلو من الوصف.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (فصلت: ١٦).

1 شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس، فصل الفاء من باب الكاف، ص ١٦٦. للإمام اللغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي نزير مصر المعزية. المجلد السابع، الجزء السابع. الطبعة الأولى. بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر المحمية سنة ١٣٠٦ هجرية.

2 يُنظر روح المعاني، المجلد الرابع عشر، ج ٢٥، ص ٥٧.

3 التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ١٥٥.

4 السابق، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٢٠٥.

يقول ابن عاشور: ((وجملة ﴿وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ تذييل، أي لا ينصرهم من يدفع العذاب عنهم، ولا من يشفع لهم، ولا من يخرجهم منه بعد مهلة))^١.

٨_ قد يُقرأ التذييل بأكثر من وجه ولا يخرج عن كونه تذييلاً، ومثال ذلك تذييل الآية/٥٠ من سورة غافر، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ يقول ابن عاشور: ((وجملة ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ يجوز أن تكون من كلام خزنة جهنم تذييلاً لكلامهم...، ويجوز أن تكون من كلام الله تعالى تذييلاً واعتراضاً))^٢.

٩_ المفسرون ليسوا سواء في معرض الإحصاء للتذييل، ولذا تركوا ذكر كثير من التذييلات في الإحصاء و تبعاً لذلك ترك التحليل لبعضها، ومن الأدلة على ذلك: أن الشوكاني الذي يستخدم مصطلح التذييل في سور أخرى^٣، لم يذكر في سور الحواميم أيًا من التذييلات، مع أن الألوسي و ابن عاشور - مثلاً - ذكرا تذييلات كثيرة في هذه السور، وهذا ينطبق على عموم المفسرين عندما يذكر بعضهم تذييلاً وبعضهم الآخر لا يذكره. ويكفي ملاحظة إهمال القاعدة التي ذكرها الشوكاني وهي ((... أن يحسب البيان بالواو غير معروف ولا مألوف، والأولى جعل ما بعد الواو تذييلاً أو حالاً))^٤، ولو تتبعنا الآيات من خلال هذه القاعدة سنلاحظ أن من التذييلات ما صُرح بذكره، ومنها ما ذُكر من خلال بعض صفاته، وبعض منها لم يذكر بلفظه ولا بصفة من صفاته، ويمكن استعراض ذلك من خلال تطبيقه على بعض سورة غافر في جدول:

1 السابق، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٢٦١.

2 السابق، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٦٥.

3 يُنظر تعليقه على الآية ٢٥٨ من سورة البقرة، وكذلك تعليقه على الآية ٥٧ من سورة آل عمران، إذ سيتعمل لفظ التذييل صراحة.

4 فتح القدير، ج ١، ص ١٣٠.

التذييل ورقم الآية	ما ذكر تذييلا أو ذكر وصف من صفاته.
﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ (غافر: ٩)	﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ ((تذييل)) التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٩٤.
﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر: ٢٥)	الجملة اعتراض. روح المعاني، ج ٢٤، ص ٩٤، إرشاد العقل السليم، ج ٧، ص ٢٧٣.
﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ (غافر: ٣١)	معتضة. التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٣٥.
﴿يَوْمَ تُولُونِ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (غافر: ٣٣)	﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ((فى هذه الجملة معنى التذييل)) التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٣٧.
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُينَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (غافر: ٣٦، ٣٧)	تعقيب. فى ظلال القرآن، المجلد الخامس، ج ٢٤، ص ٣٠٨٢.

لم يُذكر تذييلاً ولم يُشر إلى صفة من صفاته.	﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: ٥٧)
((ولذلك كان قوله: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ مفيداً مفاد التذييل لما في قوله ﴿آيَاتِهِ﴾ من العموم لأن الجمع المعرف بالإضافة من صيغ العموم)). التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٢١٨.	﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (غافر: ٨١)

ومما يلاحظ في هذا الجدول إهمال مجموعة من التذييلات مع انطباق القاعدة عليها سواء من قبل الشوكاني أو غيره.

١٠- في هذه النقطة اجتهدت كي استخرج مجموعة من التذييلات التي لم يتطرق إليها المفسرون^١ - وفق بحثي -، وذلك من أجل أن تدخل ضمن الدراسة التطبيقية، وقد اعتمدت في ذلك على تطبيق صفات التذييل عليها، ووضعت الآيات التي فيها التذييلات، ووضعت تحت التذييل خطأ، وعقبت عليه؛ لأن بعضها يحتمل وجوهاً متعددة، فبينت الوجه الذي جعلها تذييلاً، وأبقيت التعليقات البلاغية ضمن الدراسة التطبيقية التي حاولت أن تشمل جل التذييلات المحصاة من المفسرين أو من التي اجتهدت في استخراجها، والذي اجتهدت واستخرجته ففي الجدول التالي:

١ أي المفسرون الذين اعتمدت عليهم في هذه الدراسة.

الرقم المسلسل	الآية وتذييلها	التعليق
١	﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (غافر: ٣)	لم يُذكر تذييلاً مع أنه مثل التذييل المذكور في الآية الخامسة عشرة من سورة الشورى.
٢	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (غافر: ٣٦، ٣٧)	في الآية تذييلان، الأول: ﴿وَكَذَلِكَ﴾، والوau استئنافية ^١ ، والتقدير والأمر كذلك، وهو عام لما قبله من الآيتين ٣٦ و٣٧. والثاني قد مر في المدونة، وهو: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾
٣	﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: ٥٧)	جملة التذييل لا محل لها من الإعراب ^٢ ، وهي تحقيق وتقرير حالة الجهل التي يعيشها المنكرون لخلقهم.

1 يُنظر إعراب القرآن الكريم، المجلد الثالث، ص ١٥٧.

2 السابق، المجلد الثالث، ص ١٦١.

٤	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (غافر: ٥٨)	الجملة مستأنفة ^١ ، وهي تقرر عدم استيعابهم لأبسط الحقائق التي يمكن لمسها ورؤيتها.
٥	﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٦٥).	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. يحتمل أن يكون استئنافا. إعراب القرآن وبيانه، المجلد الثامن، ج ٢٤، ص ٥١٤.
٦	﴿قَلَمَ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر: ٨٥)	الجملة مستأنفة ^٢ . قد تم المعنى قبل هذه الجملة، وفيه خسارة أولئك إذ لم ينفعهم إيمانهم، فجاء التذييل مقررًا لتلك الحقيقة.
٧	﴿قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (فصلت: ٩)	﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. الجملة مستأنفة ^٣ ، وفيه تقرير لخالق الأرض وأنه لا ينبغي أن يكون له أنداد.
٨	﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾	﴿وَذَلِكُمْ﴾ ^١ هذا تذييل عام لآيات عدة هي: ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢.

١ يُنظر السابق، المجلد والصفحة نفسيهما.

٢ يُنظر السابق، المجلد الثالث، ص ١٦٧.

٣ يُنظر السابق، المجلد الثالث، ص ١٦٩.

	أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ (فصلت: ٢٣) ففى هذه الآيات حديث عن ظنهم الباطل الذى خسروا فيه يوم القيامة، ثم جاءت الآية تقرر هذه الحقيقة.	
٩	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٤)	﴿أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾. الجملة استئنافية ^٢، وفيها تقرير للكلام السابق، فمن فى أذنه وقر ولا يرى مثل البعيد الذى لا يستطيع السمع أو الرؤية.
١٠	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (الشورى: ٨)	﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. الجملة استئنافية ^٣، وهي ترجع على الآيتين ٦ و ٧، إذ فيهما فريق فى السعير، وهذا الفريق هو الفريق الظالم الذى لن يجد له نصيراً.
١١	﴿فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).	لقد مر كثير مثل هذا التذييل، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى: ٢٨)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (الشورى: ١٩).

١ ذلكم: مبتدأ. جوامع الجامع فى تفسير القرآن الكريم، ج ٢، ص ٤١٥. وهذا يعنى أن الراو استئنافية.

٢ يُنظر إعراب القرآن الكريم، المجلد الثالث، ص ١٧٧.

٣ يُنظر السابق، المجلد الثالث، ص ١٨٢.

الواو في ﴿وَإِنْ﴾ استئنافية^١، والبيان بما بعد الواو الاستئنافية؛ إما حال أو تذييل^٢.	﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٢١)	١٢
والجملة ﴿هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ عطف على جملة: ﴿وَهُوَ الَّذِي...﴾، وما دامت الثانية استئنافية^٣، فإن الأولى استئنافية، وإذا كان ذلك كذلك، فإن الأولى يحتمل كونها حالا ويحتمل كونها تذييلًا؛ لأنها بعد واو استئنافية كما ذكر الشوكاني^٤.	﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى: ٢٨)	١٣
الجملة استئنافية^٥، وفيها تأكيد على ما في تلك الآيات التي تدعو للصبر والشكر.	﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (الشورى: ٣٣)	١٤
في الآية تذييلان، الأول قوله: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾، وقد مر الكلام على تذييل مثله في المدونة عند الحديث عن الآية "٣٣" من	﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى: ٤٤)	١٥

1 يُنظر السابق، المجلد الثالث، ص ١٨٦.

2 يُنظر فتح القدير، ج ١، ص ١٣٠.

3 يُنظر إعراب القرآن الكريم، المجلد الثالث، ص ١٨٧.

4 فتح القدير، ج ١، ص ١٣٠.

5 يُنظر إعراب القرآن الكريم، المجلد الثالث، ص ١٨٨.

		سورة غافر، وأما التذييل الثاني فقوله: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ﴾، فالواو في: ﴿وَتَرَى﴾ استئنافية^١، ويلاحظ أن الجملة تقرر حقيقة هي عدم وجود من ينقذهم، فليس هناك من يردهم ليرجعوا عن الضلال في حياة أخرى.
١٦	﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الزخرف: ١١)	التذييل ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ وهي فعلية مستأنفة^٢، وقد تم الكلام قبله، والتذييل بيان له، والتقدير الأمر كذلك.
١٧	﴿وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف: ٥٨)	جملة التذييل معطوفة على جملة مستأنفة، فتكون استئنافية، ويلاحظ أن ما ضربوه ما هو إلا جدل باطل، وجاء التذييل معيدا على هذه الحقيقة ومقررها.
١٨	﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (الزخرف: ٦١)	هذا: مبتدأ، وصراط خبر^٣، فالجملة استئنافية، وهي شبيهة بتذييل الآية ٦٤ من السورة نفسها^٤.

1 يُنظر السابق، المجلد الثالث، ص ١٩١.

2 يُنظر السابق، المجلد الثالث، ص ١٩٥.

3 السابق، المجلد الثالث ص ٢٠٣.

4 يُنظر إلى التعليق على هذا التذييل في جدول الإحصاء.

١٩	﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الزخرف: ٦٢)	الجملة تعليلية لا محل لها من الإعراب ^١ ، ويبدو أنها تذييل فيها تأكيد على أن الشيطان يحاول أن يصدكم، فهو عدو لكم، وتتضح العداوة وتتقرر في كونه يصدنكم عن الله تعالى.
٢٠	﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ (الزخرف: ٧٦)	الواو في ﴿وما﴾ استئنافية ^٢ ، والتذييل يقرر ظلمهم لأنفسهم - كما مر في الآيتين ٧٤ و ٧٥ إذ إجرامهم أوصلهم للعذاب الذي هم فيه - وأن الله تعالى لم يظلمهم.
٢١	﴿إِنَّا كَاشَفُو الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (الدخان: ١٥)	الجملة مستأنفة ^٣ ، وهي مؤكدة لرجوع العذاب بعد قليل من كشفه، أو عودهم على باطلهم.
٢٢	﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ (الدخان: ٣٥)	جملة ﴿وما نحن بمنشرين﴾ مقررّة للكلام الذي قبلها وفيها تأكيد لاستمرار النفي، وهي شبيهة بالآية ٣٢ من سورة الجاثية ^٤ .

1 إعراب القرآن الكريم، المجلد الثالث، ص ٢٠٣.

2 يُنظر السابق، المجلد الثالث، ص ٢٠٥.

3 يُنظر السابق، المجلد الثالث، ص ٢٠٩.

4 يُنظر ما ذكرناه عن تذييل الآية ٣٢ من سورة الجاثية في جدول الإحصاء.

الجملة مستأنفة ^١، وفيها تقرير لاتخاذهم تلك الآيات هزوا، لأن العذاب من جنس عملهم، فناسب التذليل ما صنعوه بالعذاب المهين.	﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (الجاثية: ٩)	٢٣
الجملة مستأنفة ^٢، وفيها تقرير وتوبيخ، فتقرير لأن الكلام السابق مادة يفترض بها التذكر، وتوبيخ لأنهم لا يتذكرون،	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ٢٣)	٢٤
الواو استئنافية ^٣، وذا يعني أن الجملة بعده استئنافية، وفيه تقرير ملك الله سبحانه وتعالى، لأن مالك السماوات والأرض له ملك الساعة وكل شيء، فتتحقق خسارة المبطلين.	﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ (الجاثية: ٢٧).	٢٥
الجملة مستأنفة ^٤، وفيها تقرير لكمال رحمة الله تعالى، فمن دخل رحمة الله تعالى فقد فاز.	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (الجاثية: ٣٠)	٢٦

1 يُنظر إعراب القرآن الكريم، المجلد الثالث، ص ٢١٥.

2 يُنظر السابق، المجلد الثالث، ص ٢١٨.

3 يُنظر السابق، المجلد الثالث، ص ٢١٩.

4 يُنظر السابق، المجلد والصفحة نفسيهما.

الجملة مستأنفة؛ لأنها معطوفة على مستأنفة^١، وفيها تقرير لما سبق، فهو العزيز ((في قوته التي لا تغلب، وحكمته التي لا تخطئ))^٢.	﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجاثية: ٣٧)	٢٧
الجملة مستأنفة؛ لأنها معطوفة على ما قبلها^٣، وما قبلها استئناف بيان^٤، وفي التذييل ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ تقرير أو توضيح بأن طريق الرسل هو اتباع ما يوحى إليهم والإنذار المبين.	﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الأحقاف: ٩)	٢٨
كلام استئنافي^٥، وفيه تقرير لما في الآية السابقة، إذ كان الحديث عن الذين استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.	﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأحقاف: ١٤)	٢٩

1 يُنظر السابق، المجلد والصفحة نفسيهما.

2 من وحي القرآن، المجلد التاسع، ص ٤٠٨. السيد محمد حسين فضل الله، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الأولى،

١٤٠٨ هـ - ١٩٩٨ م.

3 يُنظر إعراب القرآن الكريم، المجلد الثالث، ص ٢٢٤.

4 يُنظر التحرير والتنوير، المجلد الحادي عشر، ج ٢٤، ص ١٧.

5 يُنظر إعراب القرآن الكريم، المجلد الثالث، ص ٢٢٥.

الجملة استئنافية^١، وقد مر الكلام عن مثل هذا التذييل مرارا^٢.	﴿تَدْمَرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأحقاف: ٢٥)	٣٠
الواو في قوله: ﴿وَذَلِكَ﴾ استئنافية^٣، فما بعدها استئناف، وهو تقرير لما سبق.	﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (الأحقاف: ٢٨).	٣١
الجملة مستأنفة^٤، وهي تقرر حقيقة أولئك الذين لا يجيبون داعي الله، فمن لا يجيب داعي الله في ضلال واضح، والتذييل يقرر هذه الحقيقة.	﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الأحقاف: ٣٢)	٣٢

١ يُنظر السابق، المجلد الثالث، ص ٢٢٨.

٢ يُنظر مثل ذلك: من سورة غافر الآيات: ٣٤، ٣٥، ٧٤، ومن سورة الدخان الآية ٢٨، وغير ذلك من الأمثلة.

٣ إعراب القرآن الكريم، المجلد الثالث، ص ٢٢٩.

٤ يُنظر السابق، المجلد الثالث، ص ٢٣٠.

المبحث الأول: النظم

النظم

حاول علماء البلاغة معرفة سرّ إعجاز القرآن الكريم من خلال نظريّات ألفوها، وأفاد اللاحق منهم السابق في ذلك، ومن تلك النظريات، نظرية النظم، التي اشتهر بها عبدالقاهر الجرجاني. لقد أفاد الجرجاني في هذه النظرية ممن كان قبله، وأفاد منه من جاء بعده كالزّمخشري في كشفه^١، وقد حث عليها الجرجاني كثيرا، ففي كتابه "دلائل الإعجاز" لا يكاد يتناول فصلا من فصوله إلا أكّد على تلك النظرية، وعرفّها بقوله:

((واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي تُهَجّت ؛ فلا تزيغُ عنها، وتحفظ الرُّسوم التي رُسِّمت لك، فلا تُخلَّ بشيء منها . وذلك أنّنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفُروقه))^٢.

ولقد تناولت في هذه الدراسة جلّ التذييلات بالدراسة والتحليل، مستفيدا من نظرية الجرجاني بالإضافة إلى اعتماد السياق، وفي كل قضية من القضايا التي تناولتها جمعت كل ما هو موجود من التذييلات تحتها، وقمت بتحليلها، وأبرز القضايا التي درستها في التذييلات هي:

أولا: الجملة الخبرية والجملة الإنشائية.

ثانيا: وضع المظهر موضع المضمّر.

ثالثا: الحذف.

رابعا: التنكير والتعريف.

1 يُنظر البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري، ص ١٨٧.

2 دلائل الإعجاز، ص ٧٧.

أولاً: الجملة الخبرية والجملة الإنشائية

الجملة الخبرية هي التي يمكن وصفها بالصدق أو الكذب، بخلاف الجملة الإنشائية، ((ذلك أن الكلام لا محالة يشتمل على نسبة تامة بين الطرفين قائمة بنفس المتكلم، وهي تعلّق أحد الشيئين -أي الطرفين: المسند والمسند إليه- بالآخر، بحيث يصح السكوت على التعلّق، سواء كان ذلك التعلّق إيجابياً أو سلبياً "وهذا لا يكون إلا في الخبر، بخلاف الإنشاء، فلا يتصف بإيجاب ولا بسلب...))^١.

١- الجملة الخبرية

ومما درسته مندرجا تحت هذا العنوان: الإثبات، والتوكيد.

أ- الإثبات :

جاءت التذييلات محكمة تعالج قضايا عديدة: هداية للعقل وتركيز للنفس، وتنظيمًا للبشر وتهذبا للأحاسيس، وكان للجملة الخبرية الحضور الكبير في كل ذلك، وسبب ذلك أن هناك أموراً تكون معالجتها من خلال الصورة الهادئة التي لا تشوبها الظنون والشكوك، وذلك يكون في الأمور التي لا تحتاج إلى كثير استدلال للتوصل لمعرفة، بل تكاد تكون من صميم فطرة الإنسان وقناعاته الداخلية، وخاصة في الأمور المصيرية، وقد أدّت جملة التذييل المثبتة دورها في تلك المعاني ومنها :

المعنى الأول : الشعور بالاستسلام لله سبحانه وتعالى.

المعنى الثاني: الحث على الدخول في رحمة الله عز وجل.

المعنى الثالث: التذكير بالمصير.

1 الإيضاح، المجلد الأول، ج ١، ص ٥٦ من الهامش.

إن كثرة الإثبات في التذييل، تفسره كثرة القضايا التي يعترف بها الكافرون فضلا عن المسلمين، فلم يحتاجوا في إثباتها إلى التوكيد، فهي أمور انكشفت لهم واتضحت، ويكون ذلك في معرض اعترافهم بهذه الحقائق، أو أن الأمر هكذا يحدث ولا مجال للشك فيه ليجتاح إلى التوكيد، وعلى كل حال فإن المعاني تختلف وتتوَّع حسب المقام، لتقوم التذييلات بأخذ النفس من مكان إلى آخر بأسلوب يستسلم فيه الجميع إلى الحقائق، إن كان يبحث عن الحق.

المعنى الأول : الشعور بالاستسلام لله سبحانه وتعالى:

تحت هذا العنوان جاءت مجموعة تذييلات يكمل بعضها بعضا، منها:

قوله تعالى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (غافر: ١٢)، وهذا التذييل جاء بعد رسم صورة العودة للحياة الآخرة، التي اعترف فيها الكافرون بذنوبهم، وهم الآن يتمنون خروجا من موقفهم الحرج قائلين: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (غافر: ١١)، ثم تأتي الآية تقول: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ (غافر: ١٢).

هكذا كان حالهم، وفي ذلك اليوم يعرف أولئك أن الحكم لله تعالى، فليس لهم إلا الاستسلام إليه سبحانه وتعالى، والحكم المطلق يكون للعلي القدير، وليس هناك من له العلو والكبر المطلقان اللذان دل عليهما التعريف في "العلي" وكذلك في "الكبير"، وفي الآية ((تهديد، ويتأكد التهديد باختتامها بالاسمين العلي الكبير))^١.

وفي المقابل كانوا طلبوا خروجاً، أي خروج ممكن، فكأنهم يبحثون في كل مكان، ولكن العلي الكبير لهم بالمرصاد. ويلاحظ أن كلمة "الكبير" هي المعنى الذي يحتاجه من أراد الخروج من المأزق الحرج.

١ الميزان في تفسير القرآن، المجلد السابع عشر، ج ٢٤، ص ٣١٦.

ويتكرر ذلك العلو وتلك العظمة والقدرة والقوة والعزة في عدة تذييلات كي يعرف هذا الإنسان أن لا ولاية إلا لله سبحانه، إذ له ما في السماوات وما في الأرض، ويذيل هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (الشورى: ٤)، واستخدام كلمة "العظيم"؛ لأن النفس إذا نظرت إلى خلق السماوات والأرض تستعظمهما، وكأن التذليل يقول: إن العظمة لله وحده، الذى خلق هذا الخلق الذى ترونه عظيما، ويقول الطبري: ((يقول تعالى ذكره لله ملك ما في السماوات وما في الأرض من الأشياء كلها، وهو العلي، يقول وهو ذو علو وارتفاع على كل شيء، والأشياء كلها دونه لأنهم في سلطانه جارية عليهم قدرته، ماضية فيهم مشيئته، العظيم الذى له العظمة والكبرياء...))^١.

وفي الآية التاسعة من السورة نفسها، تصريح بأن الله تعالى هو الولي، يقول تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وضمير الفصل في ﴿هُوَ الْوَلِيُّ﴾ قصر الولاية عليه سبحانه وتعالى كما قصر عليه سبحانه إحياء الموتى قصرا حقيقيا، فليس هناك من يقدر على إحياء الموتى سواه سبحانه، مما يدعو إلى الاستسلام له وحده. وفي قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الشورى: ٩، لفظ "قدير" وهو في هذا المقام أنسب من صيغة "العلي" أو "الكبير"، أو "العظيم"، ((والقدير: العظيم القدرة الفاعل لما يشاء بقدر ما تقتضيه الحكمة، وهو من صفات الله تعالى))^٢، وهذا القدير هو الذى علينا التسليم له.

ثم إن الإنسان الذى يشعر بالخذلان والضعف يتطلع إلى من ينقذه من هذين الشعورين، أما الضعف فيتمثل في عدم قدرة أحد أن يغني عن أحد شيئا، وأما الخذلان والذل فيكمنان في عدم وجود من ينصرهم، وجاء هذا المعنى في التذليل التالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (الدخان: ٤١)، ((والمعنى: يوم لا تغني عنهم مواليتهم))^٣.

1 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٥، ص ٦.

2 البرهان في غريب القرآن، ص ٣٣٥.

3 التحرير والتنوير، المجلد الثانى عشر، ج ٢٥، ص ٣١٢.

وذكر لفظ "يوم" إشارة إلى يوم الاستسلام والتسليم الحقيقي، فالحكم لله تعالى، يوم لا يغنى مولى عن مولى، وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ فيه بيان لما يختلج نفوسهم؛ إذ يتمنون أن يُنصروا^١ في ذلك الموقف، وإيغالا في خذلانهم يأتي النفي على الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ﴾ فهم الذين لا ينصرون، ففي نفي الضمير تركيز على نفيهم أكثر من نفي النصر عنهم، أي أنهم المخصوصون بالإبعاد عن النصر، ولكن من آمن بالله واستسلم إليه فإن الله سبحانه ووليه وناصره، وقد قال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ (محمد: ٧).

ويأخذ التذليل النفس للوقوف أمام عظمة الله من خلال ما يعظمه الإنسان من الخلق، وهناك دور كبير لاسم الإشارة في هذا الموضوع، ففي مقام الخلق تأتي بعض التذييلات ومنها:

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (غافر: ٦٢).

قوله تعالى ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٦٤).

قوله تعالى ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت: ١٢).

أما التذييلان الأولان فقد جاء اسم الإشارة - فيما يبدو - لتعظيم الله ومدحه، فخطاب الجمع فيه تعظيم للمشار إليه وهو الله سبحانه وتعالى، ويلاحظ أيضا أن التذييلين جاءا في مقام الخلق، فذكر الخلق جاء في الآية "٥٧"، والذي سبق التذيل مباشرة هو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١)، ومعنى التذيل هو أن ((الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس، الله، مالكم ومصلح أموركم، وهو خالقكم، وخالق كل شيء، لا إله إلا هو...))^٢.

1 النصر يعني الإعانة والتأييد. ينظر البرهان في غريب القرآن، ص ٤٥١.

2 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٥٢.

والملاحظ في التذييل الثالث أن "ذلك" جاء بصيغة المفرد، ولم يأت بصيغة الجمع الدال على التعظيم كما في التذييلين السابقين، وذلك مراعاة للسياق الذى يتواصل من الآية التاسعة إلى نهاية التذييل فى الآية الثانية عشرة؛ إذ فيه افتراء المشركين على الله سبحانه وتعالى بأن جعلوا له أندادا، فالأنداد جمع، والله سبحانه واحد، فناسب أن يكون اسم الإشارة دالا على الأفراد مقابل ما ادعوه من الأنداد.

وتضيف كلمة "تقدير"^١ دلالة أخرى فى صلب موضوع الاستسلام لله سبحانه وتعالى، إذ تعنى أن الله سبحانه وتعالى حدد الأشياء ومقدارها فى الهداية وغيرها، وهذا الأمر يأخذ بالإنسان إلى الاستسلام لله والخضوع له.

المعنى الثانى: الحث على الدخول فى رحمة الله سبحانه وتعالى. تتوالى التذييلات فى هداية الإنسان من خلال حثه على الدخول فى رحمة الله سبحانه وتعالى من خلال ترغيبه فى الجنة.

كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الدخان: ٥٧)، وهذا التذييل مسبق بقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۖ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الدخان: ٥٦، ٥٧)، مما يشير إلى أن الحالة التى يكون الإنسان فيها فائزا هي الوقاية من عذاب الجحيم، ويعنى ذلك أن طريق الفوز تبدأ بالتقوى أى الوقاية من عذاب الجحيم.

ومن الحث والترغيب فى رحمة الله تعالى تذييل الآية ٢٢ من سورة الشورى، وهو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، ونجد جملة التذييل بدأت باسم الإشارة الدال على البعد، أى بُعد مكانتها ومترلتها، ((فهذا الذى أعطاهم الله من النعم، وهذه الكرامة فى الآخرة هو الفضل من الله عليهم الكبير الذى يفضل كل نعيم وكرامة فى الدنيا من بعض أهلها على

١ ((والتقدير: مصدر قدر، ويُقصد به تحديد قيمة الشيء أو مقداره)). البرهان فى غريب القرآن، ٣٣٥.

بعض))^١، فإذا دخل الجنة يرى فضل^٢ الله الكبير، وهذا الحث يؤثر في الإنسان لما في غريزته من حب الخير.

المعنى الثالث: التذكير بالمصير.

تناولت التذييلات موضوع المصير بصور مختلفة، تتناسب والمقام الذى جاءت فيه، فقد يكون الحديث عن مصير الإنسان بصورة عامة، وقد يكون خاصا بيوم القيامة، أو قد يكون موجها للكافرين، وهكذا.

فمثلا قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (غافر: ٣)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (فصلت: ٢١) تذييلان، ونلاحظ أن التذييل الأول فيه كلمة "المصير" وهي كلمة أعم من الرجوع، إذ تعني ((الرجوع والانتهاء))^٣.

وأما التذييل الآخر ففيه كلمة "ترجعون" وهو فعل مضارع مبنى للمجهول، ولم يأت للمعلوم لأن الرجوع ليس بيدهم، والرجوع درجة من درجات المصير، والخطاب لأعداء الله الذين يخاطبون جوارحهم: لم شهدتم علينا ؟ فيكون الرد عليهم: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (فصلت: ٢١)، وهذا الرجوع هو المستوى الذى يستوعبونه. وفي مستوى آخر في مسألة المصير كما في:

قوله تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (غافر: ٧٨)
وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ (الجاثية: ٢٧)

التذييل الأول فيه الفعل الماضى مما يعنى أنه حصل وانتهى، والخسارة هي مصير حدث في الماضى، وهي جزئية من المصير، وقوله "هُنَالِكَ" ((ظرف مكان استعير للزمان، أي وخسر

1 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٥، ص ١٥.

2 ((الفضل: الزيادة عن الاقتصار)). البرهان في غريب القرآن، ص ٣١٦.

3 التحرير والتنوير، المجلد الثانى عشر، ج ٢٥، ص ١٥٦.

في ذلك الوقت الكافرون))^١، وفي الظرف إشارة للبعد، فالخسارة بعيدة بسبب الادعاء الباطل، فيزداد المعنى بوجود الماضي البعيد؛ إذ يظهر معنى الخسارة، ويتبين المعنى الماضي أكثر إذا عرفنا أن السياق جاء في الحديث عن الدنيا.

والتذييل الثاني: فيه الخسارة بفعل مضارع، وقد جاء الحديث عن الخسارة في تصور حضور القيامة "يوم تقوم الساعة"، فالخسارة لم تحدث بعد ولكنها ستحدث مع المبطلين، فالفعل المضارع يفيد الحديث عن المصير المستقبلي، أما في التذييل الأول فقد جاء ماضياً لأنه يتحدث عن ماضٍ في الدنيا، وقد ناسب مضيه ما جاء قبله في التذييل من المضي في الفعلين: جاء وقُضي.

ويشترك التذييلان في أن الخسارة وقعت على "المبطلين"، فلماذا لم تكن الكلمة "الباطلون"؟

والجواب هو أن "الباطلين" كلمة تصف أشخاصاً وصوراً للباطل فحسب، أما "المبطلون" فتشتمل على "الباطلين" وعلى "ما يبطونه"^٢، فقد قالوا مما قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (الجاثية: ٢٤)، ففي هذا السياق يأتي التذييل وكلمة "المبطلون" فيها دلالة على سعيهم في إبطال الحق، فإذا خسر المبطلون خسر الباطل وأصحابه.

فهذان التذييلان يرسمان مصير فئة من الناس، إذ يكونون في طريق الخسارة، وهذا تذكيرهم حتى يدركوا مستقبلهم قبل الضياع.

ولأمثال هؤلاء الخاسرين يأتي تذييل يرسم مصيرهم فيقول: ﴿وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الزخرف: ٨) فعبارة "ومضى" مثل "تحقيق لسنة ماضية، وهي هلاك المستهزئين بالأنبياء، ولأن السنة لا تقف عند حدث واحد، فهي متواصلة مع مرور الزمن، وهذا المعنى

1 تفسير البحر المحيط، المجلد السابع، ص ٤٧٩.

2 (... ويُقال أبطل فلان: إذا ادعى باطلاً، فهو مبطل، وهم مبطلون)). البرهان في غريب القرآن، ص ٣٥.

3 مضى: أي سبق وسلف. السابق، ص ٤٢٢.

يتحقق بكلمة "مثل"، فلو كانت العبارة: مضى الأولون لانتهى الموضوع، ولكن كلمة "مثل" جعلت الأمر مستمرا استمرار الأمثال.

ب- التوكيد.

جاء التوكيد في موارد عديدة، ومما لاحظت، الحضور المتكرر لـ "إن"، بل إن ذلك ظاهرة من أكثر الظواهر انتشارا في التذييلات، ويجيء التوكيد في أمور يُحتمل فيها الالتباس أو الشك، مما يعنى أن التوكيد من غاياته رفع الالتباسات، ويقول الجرجاني: ((إذا كان الخبر بأمر ليس للمخاطب ظنٌ في خلافه ألبته، ولا يكون قد عَقَدَ في نفسه أن الذى تزعم أنه كائن غير كائن، وأن الذى تزعم أنه لم يكن كائن فأنت لا تحتاج إلى "إن"، وإنما تحتاج إليها إذا كان له ظنٌ في الخلاف، وعَقَدَ قلب على نفي ما تثبت، أو إثبات ما تنفى، ولذلك تراها ترداد حسنا إذا كان الخبر بأمر يَعمد مثله في الظن، وبشيء قد جرت عادة الناس بخلافه...))^١، ثم التوكيد بـ "إن" وأداة أخرى ليناسب مستوى الجدال بالباطل والجحود والإنكار، ثم تثبت قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن معه، والتوكيد لعظم شأن المترلة التى يصلون عليها، وهذه من جملة الأمور التى حضرت فيها التوكيدات، وقد جاءت مؤكدة بـ "إن" بصور مختلفة نتاولها في نقاط هي:

أولاً: دخول "إن" على الضمير.

يكثر دخول "إن" على الضمير في جملة التذييل بصوره المختلفة، فقد تدخل على ضمير المخاطب المفرد، وعلى ضمير الغائب المفرد أو الجمع، ولكل تذييل دلالة الخاصة به، وفيما يلي نتعرض لبعض هذه الصور:

١/ دخول "إن" على ضمير المخاطب المفرد.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الزخرف: ٤٣).

1 دلائل الإعجاز، ص ٢٥٠.

"إن" لا تؤكد المفرد وإنما تؤكد الجملة، فالمؤكد هنا كونه على صراط مستقيم، ثم إن هذا التذييل جاء خطاباً من الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا كانت الكاف تدل على قرب المخاطب، فإن فيها هنا دلالة على تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويدل على ذلك ما جاء قبل التذييل وهو قوله تعالى ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ (الزخرف: ٤٣).

٢/ دخول "إن" على ضمير الغائب المفرد.

من المسلّم به عود ضمير الغائب على مذكور سابقاً، فإذا كان الأمر كذلك، فإن المتلقى للكلام يستوعب هذا التوكيد بعد استيعابه لما سبق بصورة مباشرة، فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (غافر: ٢٢) تذييل يؤكد حقيقة، ويفهم هذا التوكيد من بعد استيعاب القول السابق، فالتذييل ذكر بعد قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (غافر: ٢١، ٢٢)، فمن نظر إلى عاقبة السابقين الذين هم أشد قوة وثبت ذلك بما تركوه من آثار، فإنه يقر بالحقيقة التي أكدها القرآن وهي أن الله شديد العقاب، ((وختم الكلام بـ ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ مبالغة في التحذير والتخويف)).^١

وقد يرتبط الإضمار بمعنى العلو والرفعة من خلال دلالة الخبر، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١)، فالضمير مرتبط بدلالة ما جاء بعده، وهو كلمة "عليٌّ" فارتبط الضمير بمعنى العلو بتوكيده؛ لأن المقام جاء في سياق طريقة تكليم الله تعالى للبشر إذ يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١)، ومن هنا كان معنى العلو علوًّا يليق

1 تفسير الرازي، ج ٢٧، ص ٥٣.

بمقامه تعالى، فالله لا يكلم البشر مباشرة، فالله سبحانه عليّ ((أي من أن يواجه ويُخاطب، بل يفنى ويتلاشى من يواجهه، لعلّوه من أن يبقى معه غيره... وقال المهايئي: أي لا يبلغ البشر حد مكالمته شفاهاً، ولا يحتمل سماع كلامه مع رؤيته. انتهى. "حكيم" أي يدبر بالحكمة وجوه التكليم...))^١، والضمير أيضاً يفيد ارتباط الجملة المؤكدة بما قبلها؛ لأنه يعود على معانٍ سابقة، ويتجلى هذا الأمر فيما لو قرئ التذييل بلفظ الجلالة دون الإضمار، فإن التذييل سيكون جارياً مجرى المثل لا يعتمد على سابقة في فهم المعنى، ولذا لن يحمل المعاني السابقة.

ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ وهو تذييل الآية (٥٠) من سورة الشورى، وهو ((تعليلاً لما تقدّم، أي عليم، لا يزيد ما يزيد للجهل، قدير لا ينقص ما ينقص عن عجز))^٢، فقد حوى الضمير معاني سابقة، ومنها العلم والقدرة، وهي في قوله تعالى:

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِثْنَانًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ (الشورى: ٥٠).

٣/دخول "إن" على ضمير الغائب للجمع.

من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢٥)

و قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف: ٥٤)

و قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (الدخان: ٣٧)

إن وجود ضمير الغائب للجمع يجعلنا نستحضر جموعاً وليس أفراداً، يكون التأكيد فيها دالاً على معنى ينطبق على بعض من الناس؛ فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢٥) فيه الضمير يؤكد معنى خسارة أولئك، ومعنى الخسارة هي أنهم كانوا يتوقعون شيئاً، ولكن خاب ظنهم، كمن يتاجر فيخيب ظنه فيكون خاسراً، والحسابات التي كانت لديهم تتمثل في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنْنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمْ

1 تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ج ١٤، ص ٣٢٣.

2 تفسير الميزان في تفسير القرآن، المجلد الثامن عشر، ج ٢٥، ص ٦٩.

الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (فصلت: ٢٢، ٢٣)، فهاتان الآيتان توضحان سبب الخسارة، ويقول الزمخشري عن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾: ((تعليل لاستحقاقهم العذاب))^١، وإذا كان التوكيد يؤكد ما يحويه الضمير من المعاني، فإنه يزداد دلالة أخرى بوجود الفعل الناسخ بصيغة الماضي، وهذه الدلالة هي أنهم في خسارة لا محالة بسبب ما هم فيه، أي أن الطريق الذي يمشون فيه طريق خسارة.

وفي ضمير الغائب في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ جاء الخطاب لصنف من البشر يختلف عن السابق، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢٥) يؤكد على خسارة، عليّة القوم أو عمومهم، فبداية سورة فصلت كان الكلام عن المعرضين والمشرّكين والكافرين الذين يجعلون لله أندادا... أما التذييل الآخر فيتحدث عن صغار القوم، أي التابعين الذين يسمعون كلام فرعون ويطيعونه بعد أن استخفهم، وهذا ما يفهم من السياق.

وفي التذييل الثالث وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (الدخان: ٣٧)، جاء التوكيد تصديقا لقول النبي موسى عليه السلام، إذ قال الله تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ (الدخان: ٢٢)، ((أي دعاه بأن هؤلاء قوم مجرمون، وقد ذكر من دعائه السبب الداعي له إلى الدعاء، وهو إجرامهم إلى حد يستحقون معه الهلاك))^٢، ويتمثل معنى الإجرام بالقتل والفتك، والنتيجة من ذلك هي الهلاك، ولذا قال تعالى لنبيه ﴿فَأَسْرِ بِعَبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ (الدخان: ٢٣)، إلى أن جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُّجْرِمِينَ﴾ تصديقا لقول النبي موسى عليه السلام، وهو ((تهديد للقوم بالإهلاك كما أهلك قوم تبع والذين من قبلهم من الأمم))^٣.

1 الكشاف، ج ٣، ص ٤٥٢.

2 الميزان في تفسير القرآن، المجلد الثامن عشر، ج ٢٥، ص ١٤٢.

3 السابق، المجلد والجزء نفسهما، ص ١٤٨.

ثانيا: تعدد التوكيدات.

من الظواهر في التذييلات_محل الدراسة_ أن يكون في بعضها أكثر من توكيد، ويعود ذلك إلى الموارد التي يكون فيها المخاطب منكرا، أو أن الأمر عظيم لا يكفيه توكيد واحد، وذلك أن بعض المواضيع الواضحة قد يُبالغ في نكرانها أو الجحود بها أو أن المواقف المنحرفة - بمبالغتهم في النكران - تؤثر على قلب المؤمنين مما يحتاج ذلك إلى تثبيت قلوبهم، فقابل نكران الأمور الواضحة التوكيد بدلالات تفند كل المزاعم الباطلة، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٨)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١)

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ (الزخرف: ١٥)

ولتعدد التوكيدات دلالات تختلف باختلاف الموضوع؛ أما التذييل الأول فقد جاء على لسان المستكبرين الذين دخلوا النار حينما طلب منهم أتباعهم الضعفاء العون والنصرة، فكان رد المستكبرين بالتوكيد على قضيتين:

الأولى: إخبار بأن الله سبحانه وتعالى قد حكم، فخير "إن" هو قوله تعالى: ﴿قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾، ((أي بأن أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ولا معقب لحكمه)).^١ فلن نغني عنكم شيئا، وليس لنا من الأمر شيء.

الثانية: التوكيد على أن الحكم قد تم، وذلك في قوله: ﴿قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾، فـ﴿قَدْ﴾ حين دخلت على الفعل الماضي "حكم" قد حقيقته، أي صار وانتهى، فصار غرض التوكيد الثاني تئيس الضعفاء من طلبهم، فقد حكم الله بين عباده، وهذا الحكم لا رجعة فيه.

1 تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ج ١٤، ص ٢٣.

وفي التذييل الثاني وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١)، نجد دلالة أخرى تختلف عن دلالة التذييل السابق، ففي هذا التذييل توكيدان:

التوكيد الأول هو أن صاحب الفضل على الناس هو الله سبحانه وتعالى.
والتوكيد الثاني هو أن هناك فضلاً ظاهراً على الناس لا خفاء فيه، ولكن من طبعهم كفران النعم^١، ففي التذييل ((امتنان عليهم بالفضل، وتقريع لهم بعدم شكرهم له قبال هذا الفضل العظيم))^٢، وفي التوكيد الثاني ذم أولئك الذين لا يشكرون الله سبحانه وتعالى، فكيف لا يشكرونه سبحانه وفضله واضح وجليل! وإضافة لما يوحيه التوكيد من الذم، فإنه يثير الاستغراب، إذ بعد كل الأفضال الإلهية الواضحة لا يشكرون، وهذه القضية عرضتها الآية الكريمة قبل التذييل، حيث يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١)، وقد يثير التذييل تساؤلاً يقول: إذا لم يشكر هؤلاء الناس ربهم على هذه الأفضال التي يعايشونها كل لحظة في حياتهم، فمن يشكرون؟!.

ثالثاً: البدء بالحرف "ألا" الاستفتاحية.

((«ألا» أداة تنبيه مركبة، مركبة في الأصل من همزة الاستفهام، و"لا" النافية، لإفادة توكيد مضمون الجملة))^٣، ولقد ساهمت "ألا" الاستفتاحية بتوكيدها وتنبيهها، بإبراز دلالات وأغراض مختلفة، حيث إن دلالة التوكيد شيء ودلالة التنبيه شيء آخر، فإذا اجتمعا صار المعنى أكثر جلاءً ومباشرة؛ إذ لم يقتصر الأمر على التوكيد، بل احتاج هذا التوكيد إلى التنبيه عليه، ثم إن التنبيه والتوكيد يأتیان في المواطن التي فيها الشك والغفلة في آن واحد، وفي هذه النقطة عدة تذييلات، منها: قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ (فصلت: ٥٤)،

^١ تُنظر فقرة: وضع المظهر وضع المضمر، "٢- الإمعان في الذم.

^٢ الميزان في تفسير القرآن، المجلد السابع عشر، ج ٢٤، ص ٣٤٤.

^٣ دراسات لأسلوب القرآن الكريم، المجلد الأول، القسم الأول، ج ١، ص ٢١٨.

فالتوكيد له معنى وجود الشك في قلوبهم، ولكن عندما دخلت "ألا" الاستفتاحية أضافت معنى آخر وهو التنبيه على أنهم ((لا ينتفعون بالاحتجاج على وحدانيته تعالى بكونه شهيداً على كل شيء وهذا أقوى براهين التوحيد وأوضحها لمن تعقل؛ لأنهم في مرية وشك من لقاء ربهم وهو كونه تعالى غير محجوب بصفاته عن شيء من خلقه))^١.

فالدلالة تعني استفحال مرض الشك في قلوبهم، وللخروج من الحديث عن مريتهم جاء تذييل آخر وهو قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ وفيه توكيد سبقه تنبيه^٢؛ ليكون في مستوى الرد على شكهم، فمقابل كلمة "إنهم" كلمة "إنه"، ومقابل "في مرية" قوله تعالى: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾، وفي الأمرين تنبيه، فبعد التنبيه على شكهم صار التنبيه على الأكبر منه، وهو إحاطة الله بكل شيء.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الشورى: ٥) ((أي كثير المغفرة والرحمة لأهل طاعته وأوليائه، أو لجميع عباده، فإن تأخير عقوبة الكفار والعصاة نوع من أنواع مغفرته ورحمته))^٣.

فالخرف "إن" يؤكد المغفرة والرحمة لله سبحانه وتعالى، ولكن التنبيه جاء لأمر يحتمل أن يُغفل عنه ولا يُنتبه إليه، وهذا الأمر هو أن من مغفرة الله ورحمته تأخير العقوبة عمّن يستحقونها، وسبب هذا التأخير هو كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الشورى: ٥)، فاستغفار الملائكة ((بمعنى السعي فيما يستدعي المغفرة لهم وتأخير عقوبتهم طمعاً في إيمان الكافر وتوبة الفاسق))^٤، فالتنبيه فيه يعني الإمهال، وهو نوع من الرحمة والمغفرة.

1 الميزان في تفسير القرآن المجلد السابع عشر، ج ٢٥، ص ٤٠٦.

2 ((﴿ألا﴾ أداة استفتاح تنبه السامع على ما يُقال)). تفسير البحر المحيط، المجلد ٧، ص ٥٠٦، ويقول صاحب البحر المحيط أيضاً: ((وفي إثارة الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها، وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقريره مالا يخفى)). السابق، المجلد ١، ص ١٧١.

3 فتح القدير، ج ٤، ص ٦٥١.

4 السابق، المجلد والجزء والصفحة نفسها.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (الشورى: ١٨).

جاء هذا التذييل في سياق استعجال الكافرين للساعة في مقابل إشفاق المؤمنين منها، فالتنبية كأنه يقول: إن ضلالهم نتيجة طبيعية؛ لأن من يستعجل بالساعة وهو منكر لها لاشك أنه في ضلال، ثم إن شكهم هذا بعيد، ودلالة البعد أنهم من الصعوبة بمكان أن يرجعوا، ويظهر هذا المعنى بدخول التنبيه على توكيدات متعددة على ضلالهم.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ (الشورى: ٤٥).

وفي التذييل تنبيه على مسألة مؤكدة، وهي أن الظالمين في عذاب مقيم، وجاء ذلك في حالة تمنيههم إلى الخروج مما هم فيه، يقول تعالى: ﴿وَوَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى: ٤٤)، وفي هذا السياق وأمام هذه الصورة يأتي التذييل: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ من الآية (الشورى: ٤٥).

((والمقيم: الذى لا يرتحل. ووصف به العذاب على وجه الاستعارة، شبه المستمر الدائم بالذى اتخذ دار إقامة لا يرحلها))^١. وفي ذلك تيئيس، فليس من مخرج أبدا، وإذا كانوا يتمنون الخروج، فإن كلمة "مقيم" تقطع الطريق أمامهم.

رابعا: أثر التوكيد بـ "إن" في ربط جملة التذييل بما قبلها. وقد أشار الجرجاني إلى هذه المسألة بقوله: ((... هل شيء أبين في الفائدة، وأدل على أن ليس سواءً دخولها، وأن لا تدخل من أنك ترى الجملة إذا هي دخلت، ترتبط بما قبلها، وتأتلف معه وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغا واحداً،... حتى إذا جئت إلى "إن" فأسقطتها رأيت الثانى منهما قد نبا عن الأول وتجافى معناه عن معناه، ورأيت لا يتصل به، ولا يكون منه بسبيل حتى تجيء بالفاء...))^٣.

1 التحرير والتنوير، المجلد الثانى عشر، ج ٢٥، ص ١٢٩.

2 أي دخول "إن"

3 دلائل الإعجاز، ص ٢٤٣.

ومن ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (غافر: ١٧)، ولو حاولنا حذف "إن" لرأينا أن جملة التذييل ترتبط بما قبلها من خلال التعويض عن حرف التوكيد بالفاء حيث يقال: لا ظلم اليوم فالله سريع الحساب، فالمعنى صحيح ولكنه خلا من التوكيد الذي أراده القرآن الكريم، ولكن المعنى ينبو بسبب تباعد التذييل عن المذيل، وذلك إذا أسقط حرف التوكيد ولم يُستعض عنه بحرف الفاء.

خامساً: القصر.

وهو من أقوى صور التوكيد، وقد جاء بطرق مختلفة، و((هذه الطرق تشترك كلها في شيء واحد وهو إفادة القصر))^١، ومنها:

أ- القصر بطريق ضمير الفصل.

ب- القصر بطريق النفي والاستثناء.

ج- القصر بطريق التقديم والتأخير.

أ/ القصر بطريق ضمير الفصل.

لقد تكرر ورود ضمير الفصل في أكثر من تذييل، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (غافر: ٨)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: ٢٠)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: ٥٦)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الدخان: ٦)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الدخان: ٤٢)

١ الإيضاح، المجلد الأول، ج ٣، ص ٢٩، التعليق من الهامش.

وضمير الفصل يدل على المبالغة في القصر، فإذا جاء في سياق التوكيد زادت الدلالة على تلك المبالغة، ويزايد الغرض من القصر بمقدار زيادة المبالغة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (غافر: ٨)، ففي التذييل قصر العزة والحكمة على الله سبحانه، ويعلق ابن عاشور بقوله: ((واقتران هذه الجملة بحرف التأكيد للاهتمام بها. و﴿إِنَّ﴾ في مثل هذا المقام تغني غناء فاء السببية، أي فعزتك وحكمتك هما اللتان جرأتانا على سؤال ذلك من جلالك، فالعزة تقتضي الاستغناء عن الانتفاع بالأشياء النفيسة، فلما وعد الصالحين الجنة، لم يكن لله ما يضمنه بذلك^١، فلا يصدر منه مطل، والحكمة تقتضي معاملة المحسن بالإحسان))^٢.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: ٢٠)، وفي ضمير الفصل "هو" تعريض بالظالمين؛ إذ إنهم يدعون من دون الله مالا يستحق دعوته، فالله تعالى يقول عنهم: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: ٢٠)، فإذا كان هذا حالهم، فإنهم يستحقون التعريض بهم لأنهم يدعون من لا يملك السمع والبصر المطلقين، ويقول ابن عاشور: ((فتوسط ضمير الفصل مفيد للقصر، وهو تعريض بأن آلهتهم لا تسمع ولا تبصر، فكيف ينسبون إليها الإلهية... وتأکید الجملة بحرف التأكيد تحقيق للقصر))^٣.

وفي تذييل آخر يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: ٥٦)، وفيه تثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمام أذى الناس إليك، ويتضح المعنى حين نطالع الآية كاملة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: ٥٦)، فالجدال الباطل غايته هدم الحق وإبطاله، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن

^١ ضمن بالشيء... أي بخل. مختار الصحاح، مادة: ض ن ن.

^٢ التحرير والتنوير، المجلد الحادي عشر، ج ٢٤، ص ٩٣.

^٣ السابق، والمجلد والجزء نفسيهما، ص ١١٨.

يستعين به، وتثبيتاً لقلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، أي فما ثبت فؤادك أني أسمع استعاذتك ودعواتك وبصير بحالك، ((والتوكيد بحرف "إن"، والحصير بضمير الفصل مراعى فيه، التعريض بالمتحدث عنهم وهم الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان. والمعنى: أنه هو القادر، على إبطال ما يصنعونه لا أنت فكيف يتم لهم ما أضمره لك))، ولا شك أن هذا المعنى فيه تثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي تذييل ثالث يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦)، وغرض القصر فيه تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن أمام وساوس الشيطان، ويفهم ذلك من السياق حيث يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦). وفيه يقول ابن عاشور: ((وضمير الفصل في قوله ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لتقوية الحكم، وهو هنا كنائي؛ لأن المقصود لازم وصف السميع العليم، وهو مؤاخذه من تصدر منهم أقوال وأعمال في أذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والكيد له ممن أمر بأن يدفع سيئاتهم بالتي هي أحسن، والمعنى: فإن سول لك الشيطان أن لا تعامل أعداءك بالחסنة، وزين لك الانتقام، وقال لك: كيف تحسن إلى أعداء الدين، وفي الانتقام منهم قطع كيدهم للدين، فلا تأخذ بنزغته، وخذ بما أمرناك، واستعذ بالله من أن يزلك الشيطان، فإن الله لا يخفى عليه أمر أعدائك، وهو يتولى جزاءهم))^٢.

وتذييل رابع يتطابق لفظاً مع الثالث وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الدخان: ٦) ولكنهما يختلفان في الغرض، فإذا كان السابق لتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن هذا التذييل فيه التعظيم لله سبحانه وتعالى، وذلك ليتسق مع التوكيدات السابقة له التي فيها التعظيم سمة بارزة، فالله سبحانه وتعالى يقول بعد القسم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا

1 السابق المجلد والجزء نفسهما، ص ١٧٥.

2 السابق، المجلد والجزء نفسهما، ص ٢٩٧ وص ٢٩٨.

كُنَّا مُنْذِرِينَ» (الدخان: ٣)، وفي الآية الخامسة يقول تعالى: ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (الدخان: ٥)، فالقسم، والضمير "نا" الدالة على العظمة المسبوق بأداة التوكيد "إن"، كلها تدلُّ على التفخيم، فالتوكيد في التذييل يقرر ما سبق، ومن هنا يسهم ضمير الفصل في هذا التعظيم بقصر صفتي "السميع" و"العليم" على ذات الله سبحانه وتعالى بالتعظيم في الآيات التي تسبق التذييل.

وأخيرا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الدخان: ٤٢) وفيه قصر العزة والرحمة على الله سبحانه وتعالى، وتبيّن هذا المعنى من خلال قراءة ما سبق هذا التذييل، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» (الدخان: ٤١، ٤٢) فما قبل التذييل تأكيد على مسألة عدم إغناء مولى عن مولى، وكأن هناك من يظن بوجود ولي آخر غير الله سبحانه، فجاء دور القصر ليدفع ذلك الظن.

وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (الشورى: ٢٢).

جاء القصر من خلال ضمير الفصل دالا على عظمة فضل الله سبحانه وتعالى، ففضله سبحانه وتعالى ما بعده فضل، ولا يمكن لأحد أن يدّعي مثله في غير الجنة، وهذا هو المعنى الذي أدّى إليه القصر.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الشورى: ٥). يقول ابن عاشور: ((تذييل لجملة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ إلى آخرها، لإبطال وهّم المشركين أن شركاءهم يشفعون لهم، ولذلك جيء في هذه الجملة بصيغة القصر بضمير الفصل، أي أن غير الله لا يغفر لأحد، وصُدّرت بأداة التنبيه للاهتمام بمفادها)).^١

ب- القصر بطريق النفي والاستثناء.

١/ "ما" و"إلا".

— كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (غافر: من الآية ١٣)

1 التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٣٤.

إن الاهتمام في التذييل يتركز على الفعل "يتذكر"، وهو مستوى عال من الوجدان، فهو ((فوق التفكير؛ فإن التفكير طلب، والتذكر وجود، فهو ثمرة التفكير، وحاصلة الانتفاع بالعظة))^١، وتأتي أهمية الإنابة في أنها الوسيلة الوحيدة للتذكر، ولأن هذا القصر في أصل معناه يقوم مقام جملتين؛ إحداهما مثبتة والأخرى منفية، فالقصر هنا أثبت التذكر لمن ينيب ونفاه عن غيره.

وهناك دلالة أخرى من خلال صيغة الفعل في هذا القصر، فالفعلان "يتذكر" و"ينيب" مضارعان يدلان على التجدد، فقصر التذكر على من ينيب مستمر أبداً الدهر. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأحقاف: ٩).

لو كان المخاطب يحتاج معرفة بعض شخصية النبي صلى الله عليه وآله لكفى الجواب بالقول: أنا نذير مبين، ولكن المخاطب غير ذلك، فقد قالوا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنه ساحر، واتهموه بالافتراء، ولأن الأصل في "ما" و"إلا" ((أن يكون ما استعمل فيه مما يجمله المخاطب وينكره))^٢، فقد ناسب القصر بطريق النفي والاستثناء، فقد نفى أن يكون كما قالوا، ونفى أن يكون بدعا من الرسل وتعدد النفي كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾. (الأحقاف: ٩)، فهذا المعنى كله تقرر في قوله: ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا﴾، ثم قوله: ﴿إِنِ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، قرر في ﴿إِلَّا نَذِيرٌ﴾.

وفي هذا القصر تفنيد لآرائهم، وهو قصر الموصوف على الصفة. وهنا ثلاث تذييلات متشابهة بأسلوبها الذي جاء على طريق القصر، وفيها التركيز على كيد الكافرين وضلالهم في تذييلين منها، وهذه التذييلات هي: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر: ٢٥) قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (غافر: ٣٧)

1 الإكليل في استنباط التزيل، ص ١٨٨. الشيخ جلال الدين السيوطي الشافعي، دار الكتاب العربي، القاهرة. ب. ت.

2 الإيضاح، المجلد الأول ن ج ٣، ص ٣٤.

قوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر: ٥٠)

فهذه التذييلات عاجلت موضوعها بإحكام في كل لفظة من ألفاظها.

أما في التذييل الأول فنلاحظ أن الذى يسبق التذييل هو الحديث عن فرعون وهامان وقارون، وقد كان فرعون يرأسهم بخطرسته، ولذا قد يتصور بعض أن يكون التذييل مرتبطاً بلفظ فرعون فيكون مثلاً: وما كيد فرعون إلا...، كما جاء في التذييل الثانى، والسبب يكمن في أن سورة غافر من بدايتها وبالتحديد من الآية الرابعة تتحدث عن الكافرين، ثم استمرت الآيات تتنوع مواضيعها، وخلال ذلك جاءت نماذج لأولئك الكافرين كقوم نوح والأحزاب، واستمرت المواضيع تتوالى، وخلالها كان الحديث عن الكافرين وضرب نماذج لهم، ومنهم فرعون وهامان وقارون، فصار كيدهم هو ديدن الكافرين الذين هم من أمثالهم، أي ((وما احتيال أهل الكفر لأهل الإيمان بالله إلا في جور عن سبيل الحق وصدّ عن قصد المحجّة، وأخذ على غير هدى))^١، فلا خصوصية لأن يُذكر "فرعون" وحده، لا سيما أن الذى ذكر معه اثنان، فالثلاثة يناسبهم الجمع الذى جاء في كلمة "الكافرين".

وبسبب تكرار هذا النموذج جاءت جملة التذييل تخبرنا بأسلوب القصر، فليس هناك سبيل

آخر لذلك الكيد.

وإذا كان من أسباب جمع كلمة "الكافرين" ليشمل الثلاثة؛ فلأن القرآن أشركهم في الكيد إذ قال تعالى: ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر: ٢٥)، وإذا كان ذلك كذلك، فإن تذييل الآية (٣٧) من سورة غافر، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾، قد ذكر فيه "فرعون" ولم يُذكر "الكافرون" والسبب أن القرآن خصص القول لفرعون بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (غافر: ٣٦)، فكان التذييل محكما بتخصيص الكيد بفرعون.

1 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٣٧.

وسبب الاختلاف في الكلمتين "ضلال" و"تباب"، هو أن الضلال عدم وصول كيد الكافرين إلى هدفه، إذ إن الكافرين قالوا: ((ما قالوا لئلا يؤمن به أحد لكن الله أضل كيدهم فلم يصب المؤمنين معه))^١، فكيدهم كان متجها ناحية ما ولم يصل إليها، فالضلال هنا يعنى الخسران^٢، أما كلمة تباب ((أي هلاك وانقطاع))^٣، فجاءت لأنها تناسب كلمة " الأسباب " أي الطرق، والقرآن الكريم في غير هذا المورد استخدم الانقطاع مع الأسباب أيضا إذ قال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (البقرة: ١٦٦)، فيكون المعنى في التذييل أن طريق فرعون منقطع لا يمكنه بلوغ مرامه.

ومن هذين التذييلين نفهم أن كلمة " الكيد " لها أكثر من دلالة، ففي التذييل الأول دلت على محاولة قتل موسى ومن معه، وأما في التذييل الثاني فتعني التخطيط لبلوغ أسباب السماوات والأرض والاطلاع إلى إله موسى كما ادّعى فرعون.

وأما التذييل الثالث ففيه كلمة "دعاء"، ولمعرفة مناسبة هذه الكلمة لهذه الجملة، نطالع المشهد الذي يعرضه القرآن، ففي التذييلين السابقين كان المشهد في دار الدنيا، فمن الوارد أن يقوم الكافرون بالكيد بشئ أنواعه في الدنيا، أما التذييل الثالث فيرسم صورة لمشهد القيامة، فماذا سيكيدون؟! لا يستطيعون إلا الدعاء الذي لا يفيدهم شيئا. فهؤلاء خزنة النار -عليهم السلام- تخاطبهم كما يقول تعالى: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا﴾ (غافر: ٥٠)، ولكن هذا الدعاء لا يفيدهم، وهو معنى التذييل: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر: ٥٠)، ((أي أن دعاءهم قد أحاط به الضلال فلا يهتدى إلى هدف الإجابة))^٤.

1الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٣٢٧.

2 البرهان في غريب القرآن، ص ٢٥٤.

3الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٣٣٢.

4 السابق، ج ١٧، ص ٣٣٧.

وفي هذه التذييلات نرى ضخامة الحدث وحجمه، ومن هنا استخدمت الأدوات "ما-إلا"، وهما أقوى أدوات القصر لما فيهما من وضوح معنى القصر^١، فالأول تمثّل فيه كيد الكافرين بقتل أبناء المؤمنين واستحياء نسائهم، وفي الثاني فيه تجرؤ فرعون ليأمر ببناء صرح ليطلع - كما يدعى - على إله موسى عليه السلام، وفي الثالث وقوع الكافرين في عذاب شديد.

٢/ القصر بـ "لا" و "إلا".

كقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (غافر: ٦٢).

وهذا هو قصر حقيقي فليس هناك إله معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى، وقد جاء التذييل في سياق استعراض آيات الله، والمتفكر من خلالها يقول بفطرته - مباشرة - "لا إله إلا الله" من عجب خلقه سبحانه وتعالى.

٣/ القصر بـ "إن" و "إلا".

كقوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (الزخرف: ٢٠).^٢

وقد جاء هذا التذييل في أمر شديد الوضوح، وفيه دلالة على سخافة تفكيرهم، ويظهر هذا المعنى في السياق، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۖ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۚ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (الزخرف: ٢٠، ١٩، ١٨)، فهكذا هو ظنهم بعيد عن الصواب إلى درجة أن يُكتفى بوصمهم بالكذب أو مجرد التخمين.

1 من بلاغة القرآن، ص ١٢٢، بتصرف.

2 (("إن" نافية و "هم" مبتدأ، وإلا" أداة حصر)). إعراب القرآن وبيانه، المجلد التاسع، ج ٢٥، ص ٧٦.

٤ / القصر بـ "هل" و "إلا".

كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ (الأحقاف: ٣٥) وهل هنا بمعنى النفي، ويقول ابن عاشور: ((والاستفهام مستعمل في النفي، ولذلك صح الاستثناء منه))^١، والقصر في هذه الآية في معرض الاسترسال للوصول إلى الحقيقة التي قررها التذليل، وتأثير القصر في النفوس يتمثل في تجدد الهلاك لدائمي الفسق، فالقضية المحورية تشير إلى تجدد الهلاك؛ فهو ليس قضية ثابتة مطلوبة بذاتها، إنما تأتي مع الإصرار على دوام الفسق.

ج- القصر بطريق التقديم والتأخير.

١ / تقديم المسند إليه على المسند الفعلي.

كقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ (غافر: ٣١)، فوقع النفي على لفظ الجلالة "الله" سبحانه وتعالى مع ملاحظة أن النفي لم يقع على لفظ الجلالة من حيث هو، ولكن وقع عليه في حال إرادته ظلم العباد^٢، فما وقع عليهم من العقاب ليس ظلما، وإنما ((تدميرهم كان استحقاقا بما اجتروحوه واقترفوه من آثام))^٣، وإذا كان في الفعل المضارع النفي "ينصرون" ثبت الخذلان، فإن النفي للاسم يعني وجود ظالم آخر سبب ذلك الدمار فتقدم المسند إليه على المسند الفعلي يفيد القصر، والقصر يساوي جملتين، فالقصر هنا يفيد اختصاص الله سبحانه وتعالى بنفي الظلم عنه وإثباته لغيره، فالعباد يظلم بعضهم بعضا، والعبد يظلم نفسه أيضا.

ومن التذييلات التي فيها القصر على طريقة التقديم :

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: ٢٨)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤٠)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٠)

1 التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٦، ص ٦٩.

2 تعالى الله علوا كبيرا من أن يظلم أو أن يريد ظلما، فالله سبحانه وتعالى هو العدل .

3 إعراب القرآن وبيانه، المجلد ٨، ج ٢٤، ص ٤٨٣.

وفيها أمور هي:

أ/ أن الفعل المنفي في جميع هذه التذييلات جاء بصيغة المضارع: يهدى _ يحب، ولذلك دلالاته المهمة؛ فأما التذييل الأول ففيه تحذير للمتكبرين من آل فرعون بأنه قد يصيبكم ما يعدكم هذا النبي عليه السلام، فخير العذاب قد يقع عليكم الآن أو في المستقبل، والله سبحانه وتعالى لن يجبركم على الهداية كي تُنقذوا من العذاب، ولذا كان التذييل بعد تهديدهم، فقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾ (غافر: ٢٨)، فما قبل التذييل مثبت، والقول المباشر الواضح يفترض العبارة التالية: إن الله يضل من هو مسرف كذاب، ولكن جاء النفي بأسلوب غير مباشر، أي أنكم مخيرون في ذلك، فالضلال بيدكم ولن يجبركم الله تعالى على الهداية.

وأما التذييل الثاني وهو في قوله تعالى:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤٠)، ففيه حث على العدل والعفو، فإن لم يكن العفو، فالسيئة بالسيئة فقط، فـ ((جزاء سيئة المسيء ما مائلها؛ إذ النقصان حيف والزيادة ظلم، ثم بين تعالى أن العفو أولى، فقال، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾، أي بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، أي ثوابه عليه))^١، فخلافاً للعدل والعفو هو الظلم، والله سبحانه وتعالى لا يحب الظالمين، وفي ذلك تنفير عن الظلم، ومن صار عنده نفور عن الظلم سيكون عنده حب العدل والعفو.

وقد وقع النفي على الفعل المضارع "يحب"، وجمال التعبير يتضح عندما نبذل النفي بالقول: إن الله سبحانه وتعالى ييغض الظالمين، وذلك أن التعبير بشيء محب للنفس، أدعى للتوبة، ففي المحبة يعنى أنها موجودة فعلاً يمكن أ، يُحصل عليها من الله سبحانه ، وذلك بترك الظلم،

1 تفسير القاسمي المسمى بمحاسن التأويل، ج ١٤ ص ٣١٨.

ويوجد معنى آخر، وهو أن الله سبحانه وتعالى يحب العادل البعيد عن الظلم، وهذه المعاني لا تكون مع الفعل "يغض".

أما في التذييل الثالث وهو في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٠).

فلاحظ أن المضارع الوحيد في الآية هو الفعل المضارع المنفي "لا يهدي"، في مقابل "أرأيتم-كان-كفرتم-شهد-آمن-استكبرتم" وهي أفعال ماضية، ودلالة هذا المضارع أن لدى المستكبرين فرصة الرجوع عما هم فيه، فإذا أصروا فإن الله سبحانه وتعالى لا يهديهم حاضرا أو مستقبلا، فإذا أرادوا الهداية فعليهم ترك الظلم حتى يهديهم الله سبحانه وتعالى في المستقبل.

ب/ كما نلاحظ النفي بالحرف "لا" يؤدي معنى يختلف عن معاني الحرفين: "لم" و"لن"؛ فالحرف "لم" يقلب المضارع إلى ماضٍ، ولا يبقى مجالا للتجدد والاستمرار، والحرف "لن" ينفي الفعل مستقبلا، وكلا الأمرين يُحِلُّ اليأس على كل من يريد التوبة من المنحرفين، وأما الحرف "لا"، فلا يقلب المضارع إلى ماضٍ، ولا يجعل النفي مؤبدا.

ج/ كما نلاحظ أن الفرق بين نفي الحب وبين نفي الهداية، يستدعيه حال المقصود، ومما يلفت الانتباه أن هذا الفرق ارتبط مع مصطلح واحد وهو "الظالمين"، وذلك في تذييل الآية (٤٠) من سورة الشورى، وفي تذييل الآية (١٠) من سورة الأحقاف وهما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ و ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

و "الظالمين" في تذييل سورة الشورى يختلفون عن "الظالمين" في سورة الأحقاف بسبب اختلاف الموضوع؛ أما في سورة الشورى فإن موضوع التذييل ليس موضوع هداية وضلال، إنما موضوع العدل أو العفو، فمن عدل، فالسيئة مقابل السيئة، أو العفو وهو أفضل، وهذا مورد الحب فالإنسان السوي إذا رأى من يعفو عنه _مثلا_ فإنه يكن له المودة والمحبة، ولا

يتبادر في ذهنه أن الذي عفا عنه ليس ضالاً أو غير ضال؛ لأن الموضوع بعيد عن مسألة الضلال والهداية، فالظالمون هنا يقصد بهم ((البادئين بالسيئة والمعتدين في الانتقام))^١.

وأما تذييل الآية (١٠) من سورة الأحقاف؛ فالموضوع يتحدث عن الكفر والاستكبار، وهما متعلقان بالاعتقاد والاهتداء بالدين أو الضلال عنه، فمن كان كافراً مستكبراً، فإنه من الضالين والله لا يهديه، والمعنى هو: ((أن الله لا يوفق لإصابة الحق وهدى الطريق المستقيم، القوم الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بإيجابهم لها سخط الله بكفرهم بها))^٢، وحتى لو كان المؤمن يأخذ موقف الحب أو الكره من الكافر والمستكبر، إلا أن أساس الموضوع هو في ضلالتهم ولذا كان مناسباً القول "لا يهدي"، وفي تذييل الآية (١٠) الأحقاف، تغطي مسألة "القوم"، إذ إن مسألة الاعتقاد -عادة- تتمثلها أمة من الأمم أو فئة من البشر؛ لذا كان مناسباً أن يقع الفعل المنفي "لا يهدي" على القوم الظالمين، أما في تذييل الآية (٤٠) من سورة الشورى، فتغطي مسألة الأفراد، لأن من يجازى السيئة بالسيئة أو يبادر بالعفو -غالباً- أفراد، إما شخص و إما عائلته، ولكن من الصعب تصوّر أن تعفو أمة عن أمة بإجماع كل أفرادها.

- قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ (غافر: من الآية ٣١).

التذييل أفاد القصر، وفيه يقول ابن عاشور: ((وتقديم اسم "الله" على الخبر الفعلي لإفادة قصر مدلول المسند على المسند إليه، وإذ كان المسند واقعاً في سياق النفي كان المعنى: قصر نفي إرادة الظلم على الله تعالى قصر قلب، أي الله لا يريد ظلماً للعباد، بل غيره يريدونه لهم، وهم قادة الشرك وأيمته إذ يدعونهم إليه ويزعمون أن الله أمرهم به))^٣.

1 تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ج ١٤، ص ٣١٨.

2 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادي عشر، ج ٢٦، ص ٩.

3 التحرير والتنوير، المجلد الحادي عشر، ج ٢٤، ص ١٣٥.

٢/ تقديم المسند إليه على الخبر المشتق.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ﴾ (الجاثية: ٣٢).

ففى التذييل تقديم المسند إليه "نحن" على الخبر المشتق، وقد سبق القصر بقصر أيضا، وهو قوله تعالى: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ (الجاثية: ٣٢) ((فمدلول الحصر إثبات الظن لأنفسهم ونفى ما عداه، ومن جملة ما عداه اليقين، والمقصود نفيه، لكنه نفى ما عدا الظن مطلقا للمبالغة فى نفى اليقين، ولذلك أكد بقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ﴾))^١.

٣/ تقديم الجار والمجرور، وفيه مجموعة تذييلات منها:

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (غافر: ٣)

وقوله تعالى: ﴿وَالِإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (غافر: ١٥)

وقوله تعالى: ﴿وَالِإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (فصلت: ٢١)

لقد جاء التذييل الأول فى سياق وصفه تعالى لذاته، ومن تلك الصفات أنه تعالى ﴿غَافِرٌ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (غافر: ٣)، فإذا كان ذكر المصير مهماً، فإن كونه إلى الله أهم، والمصير يشغل بال الإنسان دوماً، وهو يدعو إلى الإيمان بالله وتوحيده، فـ ((ذكر كون مصير الكل ورجوعهم إليه وهو البعث، للإشارة إلى أنه هو السبب العمدة الداعى إلى الإيمان...))^٢، وبالإضافة إلى ذلك الاهتمام بالمصير، فإن التقديم يبين أن هناك ما هو أهم منه ويجب الالتفات إليه، ولذا تقدم الجار والمجرور، وهذا يتناسب مع السياق، وكأن التذييل يضيف صفة إلى جنب تلك الصفات، والصفة الجديدة هي أن الله هو المالك لمصير العباد، وهذا هو القصر، وهو يتناسب بصورة كاملة مع قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، ولو قيل: والمصير إليه، لكان خروجاً عن السياق الذى يتحدث عن صفات الله سبحانه إلى حديث آخر عن المصير.

1 إعراب القرآن وبيانه، المجلد ٩، ج ٢٥، ص ١٦٣، ويُنظر الكشف، المجلد الثالث، ص ٥١٤.

2 الميزان فى تفسير القرآن، المجلد السابع عشر، ج ٢٤، ص ٣٠٥.

والتذليل الثاني يطابق لفظا التذليل السابق، ولكن الدلالة فيهما مختلفة، فإذا كان السابق فيه التعظيم لله سبحانه، فإن هذا التذليل يشتمل على التهديد، فإذا أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم: ﴿آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ (الشورى: ١٥)، فقد اتبعوا أهواءهم، ومن كان هذا حاله، فإن مصيره سيكون شديدا عليه إذا كان من يحاسبهم هو الله سبحانه الذى يخالفون أوامره، ولا شك أن هذا يخيفهم، لذا كان التذليل: ﴿وَالِيهِ الْمَصِيرُ﴾ بما فيه من تخصيص المصير إلى الله سبحانه وتعالى، وهو يحمل معنى التهديد، أي عليك أن تخاف من الله لا من المصير.

وهكذا بالنسبة للتذليل الثالث، فقد جاء على لسان الجلود، فالله تعالى يقول: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (فصلت: ٢١)، وفى التذليل: ﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ حقيقتان: الحقيقة الأولى: أنهم يرجعون إلى الله سبحانه.

الحقيقة الثانية: أن الرجوع إليه تعالى لا إلى غيره، وهذا القصر يناسب قوله "وهو خلقكم"، وقد ناسب قوله: "تُرجعون"، ما يقابله وهو قوله: "أول مرة"، ومادام المقام فيه استدلال على مستوى الخلق والرجوع؛ فقد ناسب القول: "تُرجعون" وليس المصير وهو يشمل على الرجوع.

وتتضح دلالة تقديم الجار والمجرور فى أن قصر الرجوع عليه مهم وفيه يتجلى الملك الحقيقي، ويقول صاحب الميزان: ((يقول: إن وجودكم يبتدى منه تعالى، فعندما تظهرون من كتم العدم — وهو خلقكم أول مرة — يعطيكم الوجود، ويملككم الصفات والأفعال، فتنسب إليكم، ثم تُرجعون وتنتهون إليه، فيرجع ما عندكم من ظاهر الملك الموهوب إليه فلا يبقى ملك إلا وهو لله سبحانه. فهو سبحانه المالك لجميع ما عندكم أولا وآخرا...))^١، والذين تخاطبهم الجلود فى مستوى من الجهل لا يمكنهم من استيعابه لولا هذا التقديم، والدليل على

١ الميزان فى تفسير القرآن، المجلد السابع عشر، ج ٢٤، ص ٣٨١.

جهلهم أنهم يسألون جلودهم: "لم شهدتم علينا؟" فلربما كان في ذهنهم أن الرجوع قد يكون بغير هذه الصورة، وإلى من كانوا يعبدون من دون الله سبحانه وتعالى.

٢- الجملة الإنشائية

((الإنشاء ضربان: طلب وغير طلب))^١.

والأول يشمل الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمنى، والنداء، والثاني يدخل فيه التعجب، والقسم، وأسلوب "نعم" و "بئس" ...
ومما وجدته في هذه الدراسة يندرج تحت هذا العنوان هو: الاستفهام، والأمر.

الجملة الإنشائية في التذييل قليلة جدا قياسا على الجملة الخبرية، وهذا القليل من الجمل الإنشائية في أغلب أساليبها جمل استفهامية.

أ- الاستفهام^٢.

تتغير وظيفة الاستفهام بسبب تغير الموضوع الذي يجيء فيه، فعندما يكون الموضوع هو نكران آيات الله سبحانه وتعالى فإن وظيفة الاستفهام قد تكون التوبيخ أو الاستنكار، ثم إن الاستفهام قد يكون تقريريا في مواضع أخرى، فالاستفهام له معان أخرى تخرج عن معناها الأصلي، ومنها:

1 الإيضاح، المجلد الأول، ج ٣، ص ٥١.

2 الاستفهام ((هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، أي بأدوات مخصوصة، فيخرج مثل علمي - والمراد بالصورة، المعلوم وقيل العلم)). السابق، المجلد والجزء نفسهما، ص ٥٥، والتعريف من الهامش.

- قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (غافر: ٥)، فالتذليل فيه استفهام تقريرى^١ فيه تعجب^٢، وفي الاستفهام تهويل و تخويف، وأن السؤال واقع على الفعل "كان" وليس على العقاب، وهذا يعنى أن العقاب موجود وانتهى، والسؤال عن كيف كان حاله، فهذا "الكيف" يساعد المتلقى على رسم صورة ما عن حالة وقوع العذاب، وهي صورة مخيفة، ترتسم فيها البلاد والعباد بشكل ما يتخيله ذلك المتلقى، أكثر من تصور العذاب مجرداً من حالة مجيئه؛ إذ سيكون مجرداً من المؤثرات القوية، فتصور النار وحدها لا يخيف كما لو تصور الدخول فيها، وهذا الحال هو الذى يدخل التهويل والتخويف، وهذا الاستفهام التقريرى بهذا الوقع الشديد على النفس لم يكن فجأة، بل جاء بعد عدة آيات تناولت هذا العقاب؛ إما بذكره صريحاً كقوله تعالى فى الآية الثالثة من سورة غافر: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾، أو ذكر وقوعه كقوله تعالى فى الآية الخامسة: ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾، ويزداد وقع هذا الاستفهام إذا عرفنا أن هؤلاء المعاقبين لم يكونوا ضعاف القوم، بل كانوا قوماً طاغين، ولذا يقول تعالى لنبىه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَلَا يَغْرُزُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ (غافر: ٤)، ومن جرأتهم أنهم أرادوا أخذ رسولهم، ومع ذلك كانوا يجادلون محاولين إبطال الحق، فقطع الله الطريق عليهم إذ قال تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ﴾^٣ (غافر: ٥)، وما أسرع هذا العقاب الذى رسمه التذليل بقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (غافر: ٥).

- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣)، وهذا التذليل فيه استفهام انكارى ((والمعنى أو لم يكف فى تبيين الحق كون ربك مشهوداً على كل شيء؛ إذ ما من شيء إلا وهو فقير من جميع جهاته إليه، متعلق به، وهو تعالى قائم به، قاهر فوقه؛ فهو تعالى معلوم لكل شيء، وإن لم يعرفه بعض الأشياء))^٤.

1 يُنظر: الكشف، ج ٣، ص ٤١٥، وروح المعاني، ج ٢٤، ص ٦٧.

2 التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٨٧.

3 ((الأخذ: حوز الشيء وتحصيله بالتناول... ويكون بمعنى يهلك... وبمعنى الإهلاك)). البرهان فى غريب

القرآن، ص ١١.

4 الميزان فى تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٤٠٥.

فإن الله معروف ومشهود من خلال خلقه؛ لذا مهد لهذا التذليل بقوله تعالى: ﴿سُتْرِيهِمْ أَيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهَ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣)، والآيات في كل مكان؛ في الآفاق^١ والأنفس، وفي هذا التذليل أمور منها:

أولاً: إن هذا المعنى الذي جاء بصيغة الاستفهام الإنكاري، لو وضعناه في صيغة الخبر، لقلنا: "وكفى بربك شهيدا"، ولكن هذا العدول إلى الاستفهام فيه إثارة في نفس المتلقى، حيث تحرك فيه استجابة ما؛ فحين يرى استنكارا عليه، سيكون التأثير فيه أكثر مما لو كان إخبارا خاليا من الاستنكار، ويناسب هذا الاستفهام ما سبق التذليل من آيات تتحدث عن آيات الله سبحانه وتعالى؛ إذ إن الاستفهام يفتح العقل أمام هذه الآيات ليرى إن كان يستحق الإنكار عليه أم لا، وإذا كان من صميم معنى الاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوما لدى السائل، فإن هذا الاستفهام يطلب من المتلقى البحث عن المجهول من خلال آيات الله التي أخبر الله تعالى عنها بقوله تعالى: ﴿سُتْرِيهِمْ أَيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهَ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣)، وبعد هذا القول جاء التذليل.

ثانياً: نلاحظ الضمير في قوله تعالى: ﴿بِرَبِّكَ﴾، وفي الظاهر لن يكون هناك خلل لو كان الضمير للغائب أي عند القول "بربهم"، ويبدو أن وجود ضمير المخاطب فيه إشارة إلى أن هذه الشهادة لم يعترفوا بها، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعترف بذلك، فخص بالخطاب دونهم.

- قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: ٥١).

التذليل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، هذا الخطاب جاء على لسان فرعون، ولأنه لا يريد قلبا يبصر، خاطب عيونهم، ويلاحظ أن الاستفهام وهو تقرير^١، واقع على النفي

1 ((الأفق: الناحية من الأرض أو من السماء، وجمعه آفاق...)). البرهان في غريب القرآن، ص ١٩.

((تحقيقاً لإقرارهم حتى أن المقرر يفرض لهم الإنكار فلا ينكرون))^٢، ثم إن الفاء توسطت النفي والفعل، والفاء ((عاطفة على مقدّر))^٣، تفيد التعقيب من دون تراخ، ولم تحذف الفاء، ويبدو أن السبب أنه أراد من قومه أن يجعلوا ما قاله دليلاً على صدقه، وكأن المعنى: أفبعد ما قلت لكم لا تبصرون.

وإذا تعطل العقل بسبب الاقتصار على البصر في الأمور التي أرادها فرعون، فإن الله سبحانه وتعالى يحث الناس على التذكر كي يصلوا إلى الحق، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ٢٣).

لقد استقرت جملة "أفلا تذكرون"، في مكانها، ولو كانت الجملة: "أفلا تبصرون" لمسا تناسبت دلالتها مع السياق الذي فيه مادة للتذكر؛ فليس هناك مادة للاستدلال بها من خلال البصر كما في الآية "٥١" من سورة الزخرف، التي تحدثت عن ملك مصر والأنهار التي تجري من تحته، إنما هناك مادة يُعمل فيها العقل تأملات ومراجعات ليصلح طريقه ويتبع الحق، وهذه المادة تمثلت في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ (الجاثية: ٢٣)، فرؤية من اتخذ إلهه هواه وإضلال الله له والختم على سمعه وقلبه لا يرى بالعين المجردة، إنما يحتاج إلى العقل؛ لأن القضية تُطرح من أجل التذكر الذي يوصل الإنسان إلى الهداية، والقضية التي يعرضها القرآن في هذه الآية توصل إلى التذكر، فإذا أرى الإنسان التذكر استحق أن ينكر عليه، فناسب ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، ف... الهمة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف مقدّر، أي تصرون على الغي))^٤.

1 ينظر التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٢٣٠.

2 السابق، المجلد والجزء والصفحة نفسها.

3 إعراب القرآن وبيانه، المجلد ٩، ج ٢٥، ص ٩٤.

4 السابق، المجلد ٩، ج ٢٥، ص ١٥٥.

وإذا كثر الاستفهام لما قدمنا؛ فإن الجمل الإنشائية الأخرى تتحدث عن أمور مباشرة، وفي دلالتهما ما يغنيها عن الاستفهام بسبب ما فيها من لطائف كفيلة بإثارة النفس والعقل بصورة مباشرة.

ب- الأمر^١.

ومن الجمل الإنشائية قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت: ٤٠) وإذا كان الأمر طلب فعل الشيء على سبيل الإيجاب، فإن الأمر في هذا التذييل لا يعنى ذلك، ولكنه يرجعنا إلى الآيات الأولى من السورة، فالمشركون هم الذين بدؤوا بقولهم ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُ غَيْرَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (فصلت: ٥) وما زالوا في استكبارهم وإلحادهم حتى جاء التذييل لبيان إصرارهم على طريقهم المنحرف، فقوله: ﴿اعْمَلُوا﴾ فيه قطع الرجاء من رجوعهم للحق، وهذا مثل من نحاول هدايته مراراً فنجد فيه العناد، ثم نقوم بترغيه وترهييه ويصر على عناده، وعندما نستنفد معه كل سبل الإقناع، نقول له: أنت وشأنك، افعل ما تريد، ولكنك ستندم في آخر المطاف!

والأمر في هذا التذييل يمتزج فيه قطع الرجاء من هدايتهم مع التهديد، فالله سبحانه حين يقول: ﴿اعْمَلُوا﴾ فلا يعنى أنهم متروكون إذا عملوا ما شاؤوا، بل عقّب على الأمر بقوله: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت: ٤٠).

و الفعل "اعملوا" دال على المستقبل، والفعل الماضي "شئتم" يدل على أن نيتهم مبيتة من الماضي، وهذا منع هدايتهم وإقناعهم، فإن الذى شاؤوه فى الماضى لم يتغير، فيكون المعنى اعملوا الذى كنتم تشاؤون عمله ومازلتم، ما يعنى إصرارهم وعدم تغيير قناعتهم.

1 ((والأمر هو طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء، بأن يعد المتكلم نفسه عالياً - وذلك بأن يكون كلامه على جهة القوة لا التواضع)). الإيضاح، المجلد الأول، ج ٣، ص ٨١، والتعريف من الهامش.

ولو كان التعبير بالفعل المضارع "تشاؤون" لثبت أن قناعتهم موجودة الآن ولكن ليس من الضرورة أن تكون النية كانت ومازالت، فكان التعبير بالماضي أكثر دلالة في هذا المقام على عنادهم.

وإصرارهم على الباطل لم يترك من دون رقيب، فالله سبحانه وتعالى لا يريد منهم الباطل، فخوفهم كي يرجعوا عن غيهم، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وفي نهاية التذييل إنصاف لهم، فالاسم الموصول في قوله ﴿إِنَّهُ بِمَا﴾ يقابل الاسم الموصول في قوله ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^١، حتى لا يتصور أولئك أن شيئاً يخفى على الله سبحانه، ويتمثل العدل في قوله ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، فلم يقل تعالى "بما شئتم"، أي أنهم محاسبون على أعمالهم، أما إذا شاؤوا شيئاً ولم يعملوه توبة أو خوفاً... فإن الله سبحانه لا يعاقبهم عليه، ويدل على هذا المعنى كلمة "بصير"^٢ فالبصر يناسب رؤية عملهم السيء الظاهر والعلم به، وهذا الذي يدعو لمعاقبتهم، ولذا لم يقل "خبير"، لأنها كلمة تفيد في إبطار خبايا النفوس ومشئاتها دون الحديث عن شيء ملموس في الظاهر.

1 (("اعملوا" فعل أمر، والمراد به التهديد)). السابق، المجلد ٨، ج ٢٤، ص ٥٦٩. وقال ابن عاشور في "اعملوا": ((وعيد

بالعقاب على أعمالهم على وجه الكناية)). التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٣٠٥.

2 ((بصر: يطلق البصر على العلم القوي المضاهى لإدراك الرؤية، فيقال: بصر بالشيء: علمه عن عيان فهو به بصير... وبصير صفة من بصر به، بمعنى رآه وعلمه...)). البرهان في غريب القرآن، ص ٣٢.

ثانيا: وضع المظهر موضع المضمّر

وهو يدخل في باب "إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر"، فعندما يُذكر الاسم في سياق الكلام، فإن الأصل أن يضمّر عند ذكره مرة أخرى في جملة واحدة، أو في السياق نفسه، لا سيما إذا لم يكن هناك أي التباس عند إضمّاره، وقد ركزت في البحث هنا على ما خالف الأصل، وهو وضع المظهر موضع المضمّر، ومن ذلك:

١/ ما جاء في تعظيم الله سبحانه وتعالى.

كقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٦٤)، فقد ذكر المسند إليه وهو لفظ الجلالة "الله" سبحانه وتعالى في ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾، ومما قاله ابن عاشور في هذا التذييل: ((وإظهار اسم الجلالة... لتكون الجملة كلمة ثناء مستقلة))^١.

وأعتقد أن في الموضوع مسألة أخرى، تتمثل فيما لو تصورنا أن قيل في غير القرآن: فتبارك رب العالمين، لضاع من هذا القول معانٍ كثيرة، لأن في الآية عندما يُذكر لفظ الجلالة "الله" سبحانه وتعالى وهي في سياق التعظيم، فإن إظهار المعظم لفظاً أُجري لإظهار النعمة، وخصوصاً إذا ارتبطت كلمة "تبارك" بـ "العالمين" في جملة واحدة، فلو لم يُذكر لفظ الجلالة لفهم أن المباركة مرتبطة بربوبية العالمين، ولكن مع ذكر لفظ الجلالة يُفهم أن الله مبارك قبل وبعد ربوبيته للعالمين، فقبل الربوبية لأنه كان ولم يكن أحد، وبعد الربوبية، أي بعد خلقهم.

ومن الأمثلة أيضاً التذييل قوله تعالى:

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (الشورى: ٥٣).

1 التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٩١، وص ١٩٢.

التذييل هو قوله تعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾، فقد ذكر لفظ الجلالة: "الله" سبحانه وتعالى، ولم يكن التعبير بـ: ألا إليه تصير الأمور، لأن الموضوع لا يقتصر على إحصاء الأمور إليه، بل إنه في معرض التعظيم، ودليل ذلك قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهذه أمور عظيمة كلها لله سبحانه، فتحقيقا للتعظيم جاء ذكر لفظ الجلالة "الله"، إذ فيه إبراز لعظمة جلاله وإبراز إلى أنه المالك الذي لا يُنازع في ملك، وما دام الأمر كذلك، فإن الفعل "تصير" فيه دلالة لا تقتصر على المستقبل فحسب، فـ((أخبر بالمضارع والمراد به الديمومة؛ كقوله: زيد يعطى ويمنع، أي من شأنه ذلك، ولا يُراد به حقيقة المستقبل))^١.

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الزحرف: ٨٢)، فقد ذكرت كلمة "رب" في مقام التعظيم والتسبيح لله سبحانه بدليل قوله: ﴿سُبْحَانَ﴾.

٢/الإمعان في الظم.

في هذا الموضوع أمثلة عديدة منها:

قوله تعالى حكاية لكلام فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (غافر: ٣٦، ٣٧). في الآية تذييلان، الأول: هو قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾، والتذييل الثاني هو: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾، ويلاحظ في التذييل الثاني تكرار كلمة "فرعون" ولو قيل: "وما كيد" لصار نبو في النفس^٢، فالتذييل الأول فيه كلمة "فرعون" مجرورة بحرف الجر، وفيه أن فرعون انقلبت أمامه صورة الواقع، فالسوء يراه

1 تفسير البحر المحيط، ج ٧، ص ٥٢٨.

2 ينظر مثل هذا الرأي في: دلائل الإعجاز، ص ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣.

زينة، وهو كلام مرتبط بكلام سابق يوضح الصورة المقلوبة التي يعيشها فرعون، ولا شك أن في إشهاره بهذه الصورة ذما كبيراً، ثم في التذييل الآخر قضية أكبر تشمل الكلام السابق - أي التذييل الأول ومذيله -، ولذا صرح بلفظ " فرعون " لتوكيد مسألة أخرى مرتبطة بفرعون، وهي مسألة " الكيد "، فـ " كيد فرعون " هو كلام عام لكل فرعون، أي هذا طبعُ الفراعنة، ولو أُضيف " الكيد " إلى الضمير وقال: " وما كيده "، لتصور أن المقصود بالكيد هو كيد ذاك الفرعون المذكور في التذييل الأول؛ لأن الضمير سيعود عليه خاصة، ولكن بالتصريح احتل الأمرين.

ومثال آخر التذييل في الآية (٦١) من سورة غافر حيث يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

فالتذييل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، وكان يجوز القول: إنه لذو فضل على الناس، ولكن إظهار لفظ الجلالة - والله أعلم - يسبب إتمام الفضل على الناس، فجعل الليل سكناً نعمة، والنهار مبصراً نعمة، وإظهار لفظ الجلالة أكبر نعمة، وفرحة المؤمن بذكر الله لا تعادله الفرحة بالليل أو النهار.

وفي هذا التذييل إظهار آخر؛ ففيه إظهار لكلمة " الناس "، ويقول صاحب الكشف: ((فإن قلت: فلو قيل: ولكن أكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس قلت: في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ الزخرف: "١٥")^١، وقيل إن ((وضع ﴿الناس﴾ الثاني موضع الضمير للإشارة إلى أن من طبع الناس بما هم ناس كفران النعم))^٢.

ولقد أدّى الاستدراك المعنى بصورة أخرى، ويقول صاحب المحيط: ((وهذا الاستدراك بـ " لكن " مما تضمنه قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾، والتقدير: فيجب عليهم

1 الكشف، المجلد الثالث، ص ٤٣٤.

2 الميزان في تفسير القرآن، المجلد السابع عشر، ج ٢٤، ص ٣٤٤.

أن يشكروا الله على فضله، فاستدرك بأن أكثرهم لا يشكرون، ودل على أن الشاكر قليل))^١.

٣/التخويف.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ﴾ (غافر: ٩)
(والظاهر أن الآية من الآيات الدالة على أن الجزاء بنفس الأعمال خيرها وشرها))^٢، وفيه تخويف وحث على الاتقاء، لأن المراد بالسيئات — كما قيل — ((هي الأهوال والشدائد التي تواجههم يوم القيامة...))^٣، فإذا تكرر ذكر هذه الأهوال، انبعث الخوف في النفس وصار ذلك مدعاة للاتقاء منها.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ (الشورى: ٤٥)، وقد ورد لفظ "الظالمين" في الآية "٤٤" الشورى، واستمر الحديث عنهم إلى أن جاء هذا التذييل، ((وإعادة لفظ «الظالمين» إظهار في مقام الإضمار اقتضاه أن شأن التذييل أن يكون مستقل الدلالة على معناه لأنه كالمثل))^٤، وقد يكون مجيء لفظ الظالمين ظاهرا إمعانا في إخافة الظالمين وإذلالهم، فقد تحدثت الآية التي فيها التذييل وما قبلها عن هؤلاء الضالين عندما يرون العذاب ويريدون الرجوع بأي طريقة، وعند عرضهم عليها يذلون، ففي يوم القيامة خسروا كل شيء، فجاء التذييل إمعانا في هذه المعاني.

1 تفسير البحر المحيط، المجلد الثاني، ص ٢٥١.

2 السابق، المجلد السابع عشر، ج ٢٥، ٣١١.

3 تفسير الميزان المجلد السابع عشر ج ٢٤، ص ٣١١.

4 التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ١٢٩.

وقوله تعالى: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الزخرف: ٨).

يقول ابن عاشور عن هذا التذييل: ((وذكر ﴿الأولين﴾ إظهار في مقام الإضمار لتقدم قوله: ﴿فِي الْأَوَّلِينَ﴾، ووجه إظهاره أن يكون الإخبار عنهم صريحا وجاريا مجرى المثل))^١.

٤/ الاستئناس بذكر الله سبحانه وتعالى: ومثاله، قوله تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٤) التذييل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ وقد جاء هذا القول على لسان مؤمن آل فرعون، وقد كان متخفيا في إيمانه، وتخفيه يعنى خوفه، ومثله يحتاج إلى الاستئناس والاطمئنان، ولأنه مؤمن بالله، فإن ذكر الله يطمئن قلبه، فذكر لفظ الجلالة مرتين إشارة إلى تلذذه به واستئناسه.

٥/ الامتنان، والإنكار.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (غافر: ٨١).

((﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (غافر: ٨١) عطف على جملة ﴿لَكُمْ الْأَنْعَامُ﴾ أي الله الذي يريكم آياته، وهذا انتقال من متعدد الامتنان بما تقدم من قوله ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ﴾ فإن تلك ذكرت في معرض الامتنان تذكيرا بالشكر، فنبه هنا على أن في تلك المن آيات دالة على ما يجب لله من الوجدانية والقدرة والحكمة.... وفرع على إراءة الآيات استفهام إنكاري عليهم من أجل إنكارهم ما دلت عليه تلك الآيات))^٢.

1 السابق، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ١٦٧.

2 التحرير والتنوير، المجلد الحادي عشر، ج ٢٤، ص ٢١٧، وص ٢١٨.

ففى قوله: ﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ إنكار مفاده، أن الآيات التى ترونها فى كل مكان، حتى لا يمكن إنكار أي واحدة منها، التى لا يعلم إحصاءها إلا الله سبحانه وتعالى، فإنكم بدل أن تشكروا الله عليها، أنكرتموها، فكان ذكر كلمة "آيات" مكررة، يعنى إحضارها للامتنان من ناحية، وللإنكار من ناحية أخرى.

ثالثاً: الحذف

وهو يدخل فى باب "الإيجاز"، وهو ((تقليل الكلام من غير إحلال بالمعنى))^١، والإيجاز نوعان؛ الأول: إيجاز حذف، والثانى: إيجاز قصر؛ فأما إيجاز القصر فهو ينطبق على جلّ التذييلات، وأما إيجاز الحذف فهو ما ندرسه فى هذا المبحث فنقول:

الأصل فى الكلام الذكر، وما جاء على أصله لا يُسأل عن سبب ذلك، ولكن لا يُصار إلى الحذف إلا لغرض بلاغي؛ ولذا اقتصرنا عليه، ومما جاء فيه:

أ/ حذف "اسم مضاف إليه".

كقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (غافر: من الآية ٥).

التقدير: عقابى^٢، يقول الطبري: ((وقوله فأخذتهم فكيف كان عقاب، يقول تعالى ذكره، فأخذت الذين هموا برسولهم ليأخذوه بالعذاب من عندى، فكيف كان عقابي إياهم ألم أهلكهم فأجعلهم للخلق عبرة...))^٣. وقد نجد فى الحذف عناية للعقاب، فالحذف يجعل

1 النكت فى إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن الكريم، ص ٧٦.

2 "عقاب" ((اسم كان مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة، على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة اتباعاً لرسم المصحف)).

إعراب القرآن وبيانه، المجلد الثامن، ص ٤٥٧.

3 جامع البيان فى تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٢٩، ٢٨.

القارئ يتوقف عنده؛ لأن كلمة "عقاب" مذكورة، والحذف يؤكد على العناية بها، أي أن العقاب الذى كان، لم يكن عقابا عاديا، بل هو عقاب الله سبحانه وتعالى، وهذا معروف من السياق، فلا أحد يشك أن العقاب هو أخذ الله لهم، وهذه العناية بكلمة "عقاب" التى أكدها حذف الياء، تتجلى أكثر عندما نلاحظ أن السؤال فى "كيف" يعنى بكيفية كون العقاب، وليس بأصل وقوعه أو مدته....

ب/ حذف المسند إليه "المبتدأ".

كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ (فصلت: ٢٨).
النار: خبر لمبتدأ محذوف، وقيل فى إعراب النار إنها بدل و((اعترض بعضهم على هذا الإعراب بأن علامة البدل صحة حلوله محل المبدل منه، فيصير التقدير ذلك النار، وهذا لا يصح، ولذلك ينبغى العدول عن الإعراب الأرجح إلى المرجوح، وهو أن تكون خيرا لمبتدأ محذوف أو مبتدأ سيأتى فيما بعد))^١، واستبعاد البدلية عن "النار" أدّى إلى معنى آخر مع الجزاء، فـ"ذلك" خبره جزاء، والنار -لأنها أعربت خيرا- تخبر عن شيء آخر غير الجزاء وهو محذوف، وهذا يضيف أهوالا متعددة على أعداء الله سبحانه وتعالى، فالجزاء لا يقف على مجرد الدخول فى النار. ثم إنه يُخبر عنها بأن فيها دار الخلد^٢، وقد يكون هذا سببا من أسباب عدم صلاحية النار لكونها بدلا، فحينها يُخبر عن الجزاء بشيء، ويُخبر عن النار بشيء آخر، ولو كانت بدلا كان الخبر واحدا.

وكقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (فصلت: ٤٦)
ففى الآية حُذف المبتدأ^٣، والتقدير: من عمل صالحا فعمله لنفسه، وقد يكون من أسباب حذف المبتدأ أن الإنسان يستأنس بالنتيجة الطيبة أكثر من الذكريات الشاقة-أحيانا- التى

1 إعراب القرآن وبيانه، المجلد الثامن، ص ٥٥١.

2 أعرب ما بعد النار خيرا لها. يُنظر السابق، والصفحة نفسها.

3 يُنظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، المجلد ٨، القسم ٣، ج ١، ص ٢٩٥، ٢٩٤.

تصاحب العمل الصالح؛ لأن العمل الصالح لا يخلو من صعوبات، واستحضار هذه الصعوبات قد تعكّر صفو الأنس الذي ينشده الإنسان، فيكون إضمارها وعدم ذكرها آنس وألطف.

ج/ حذف المسند إليه "ما أصله مبتدأ".

ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ (فصلت: ٤٣)

لقد كان المتوقع أن يتكرر قول "إن ربك" في الجملة المعطوفة فتكون: وإن ربك ذو عقاب أليم، ولكنها حذفت؛ لأن "إن ربك" المذكورة بيان لتلك المحذوفة، وفي الحذف تهديد، إذ قيل إن ((المعنى: ما يوحى إليك من أمر هؤلاء الذين كفروا بالذكر إلا ما قد أوحى للرسول من قبلك وهو أن ربك لذو عقاب أليم...))^١، وحذف المسند إليه -وفيه معنى الربوبية- يأخذ المخاطب إلى معنى آخر، وهذا المعنى مخيف خلافاً لكلمة "ربك" التي تُشعر بالأنس، لما في كلمة "ربك" من التريبة التي فيها الرحمة والرفقة.

د/ حذف المسند "خبر إن".

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ (فصلت: ٤١).

خبر إن محذوف تقديره: ((فهم هالكون))^٢، فإذا كان في ذكر الكفر تشنيع بكفرهم وأنه سبب ما سيأتى إليهم، فإن في الحذف تهويلاً، لأنهم يعرفون أن نتيجة كفرهم وخيمة، وعدم الإفصاح عنها يخيفهم، وهذا حال كل من ينتظر مصيراً سيئاً دون أن يعرف شكله، فالحذف ((ليذهب فيه وهم السمع أي مذهب ممكن، والكلام مسوق للوعيد))^٣.

1 الميزان في تفسير القرآن، المجلد السابع عشر، ج ٢٥، ص ٣٩٩.

2 تفسير القاسمي المسمى بمحاسن التأويل، ج ١٤، ص ٢٧٩.

3 الميزان في تفسير القرآن، المجلد السابع عشر، ج ٢٥، ص ٣٩٧.

هـ/ حذف المسند "الفعل".

ومثاله قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الزخرف: ٨٢).

((فسبحان: مفعول مطلق لفعل محذوف))^١، فهو يدل على درجة عالية من التسبيح، وهي الدوام والثبوت، والسياق يتطلب ذلك، ف ((قوله ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره تبرئة وتزيتها لمالك السماوات والأرض، ومالك العرش، المحيط بذلك كله، وما في ذلك من خلق مما يصفه به هؤلاء المشركون من الكذب، ويضيفون إليه من الولد، وغير ذلك من الأشياء التي لا ينبغي أن تُضاف إليه))^٢، وبحذف الفعل الدال على مجرد التجدد والاستمرار دون الدوام، صار المعنى عظيماً فـ "سبحان" تدل على الدوام والثبات.

و/ حذف المفعول به.

يقول الزركشي: ((وكثيراً ما يعتري الحذف في رؤوس الآي نحو: ﴿ولو كانوا يعلمون﴾ و﴿لقوم يشكرون﴾ و﴿أفلا تسمعون﴾))^٣.
ومثل ذلك :

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: ٥١)، ((أي ما أنا فيه من النعيم والخير))^٤، فالمفعول به، وهو الاسم الموصول وصلته المقدران محذوفان، وهذا الحذف فيه دلالة على افتخار فرعون وغروره بملكه، إذ إن الخطاب فيه إلى قومه، وكأنه يقول هذا الخير والنعيم الذي لا يخفى على أحد.

1 إعراب القرآن الكريم، ج ٣، ص ٢٠٦.

2 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادي عشر، ج ٢٥، ص ٦١.

3 البرهان في علوم القرآن، ج ٣، ص ١٦٤، ١٦٥.

4 تفسير القاسمي المسمى بحاشن التأويل، ج ١٤، ص ٣٤٥.

وقوله تعالى: ﴿... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١) فقد حذف المفعول به لأنهم يعرفونه تماماً، وعرفوا وجوب شكره تعالى لكثرة ما أنعم عليهم، فالله سبحانه وتعالى قد ((جعل لكم أيها الناس سكناً لتسكنوا فيه، فتهدؤوا من التصرف والاضطراب للمعاش... وجعل النهار مبصراً... نعمة منه بذلك عليكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾، يقول: إن الله لمفضل عليكم أيها الناس بما لا كفاء له من الفضل... ولكن أكثرهم لا يشكرونه...))^١، فلكثرته هذه النعم الدالة على فضل الله توجه الخطاب لهم، فهم يعرفون من يشكرون، وفي كلا التذييلين ((مفعول معلوم... قد علم أنه ليس للفعل الذى ذكرت مفعول سواه بدليل الحال أو ما سبق من الكلام، إلا أنك... تدعه يلزم ضمير النفس لغرض... أن تتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعل...))^٢.

ز/ موصوف "الكاف" من "كذلك".

كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (غافر: ٦).

فـ "الكاف" ((صفة لمفعول مطلق محذوف أو خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: والأمر كذلك))^٣. والحذف يعنى أن الإنسان يعرفه حق المعرفة، ولم يبق إلا أن يتصوره يقع مرة أخرى كما وقع من قبل، وقد تناولت هذا الأمر في مبحث "الصورة".

ح/ حذف الجملة.

كقوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (غافر: ٩).

1 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٥٢.

2 دلائل الإعجاز، ص ١٢٩.

3 إعراب القرآن الكريم، ج ٣، ص ١٥٠. وينظر إعراب القرآن وبيانه، المجلد الثامن، ص ٤٥٧.

فـ((التنوين عوض عن جملة محذوفة، وقصده من الكلام السابق، أي يوم إذ تُدخل من تشاء الجنة، ومن تشاء النار))^١، وحذف الجملة يتطلب الاستحضار العقلي لشيء معروف مسبقاً، وقد بات واضحاً إلى درجة عدم الحاجة إلى ذكره، فإذا استحضرت هنا "السيئات"، كان مدعاة لاستحضار عواقبها الوخيمة^٢، وهذا مدعاة لأن يعتنى الإنسان بالوقاية من السيئات، ففي هذه الدنيا يعمل الإنسان لآخريته، ويتجنب السيئات ومتى عمل ذلك في الدنيا، فإن مجيء اليوم الذى يلاقى فيه أعماله سيأتى حتماً، فعليه أن يركّز على عمله فحسب، لأن يوم الحساب لن يستطيع تقديمه أو تأخيره مهما حاول ذلك.

ط/ حذف أكثر من جملة.

كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (غافر: ٣٣).

((وفي الكلام إيجاز بحذف جمل تدل عليها الجملة المعطوفة، والتقدير: هذا إرشادكم، فإن هداكم الله عملتم به، وإن أعرضتم عنه، فذلك لأن الله أضلكم، ومن يضلل الله فما له من هادٍ))^٣، وفي الحذف توبيخ؛ لأن الجمل المحذوفة تدل على أن الحجة قد أُلقيت عليهم، ولكنهم أصروا على الضلال، فكانت النتيجة الحتمية التى جاءت فى التذييل وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

1 إعراب القرآن وبيانه، المجلد الثامن، ص ٤٦٢.

2 وقد قيل: ((المراد بالسيئات المعاصي والذنوب)). الميزان فى تفسير القرآن، المجلد السابع عشر، ج ٢٤، ص ١١١.

3 التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٣٧.

رابعاً: التنكير والتعريف

١- التنكير.

((النكرة يراد بها واحد من أفراد الجنس، ويؤتى بها عندما لا يُراد تعيين هذا الفرد))^١، والتعريف إما أن يراد به جنس المعرف وإما بعضه وإما شيء بعينه. ولا تعطى النكرة دلالة خاصة بما هي نكرة، وإنما تعطى الدلالة من خلال السياق الذى تجئ فيه؛ فهي تؤدي معاني ودلالات متعددة بتعدد السياقات والمقامات التى تكون فيها، وهكذا بالنسبة للمعرفة، إذ إنها منسجمة تماماً مع السياق الذى جاءت فيه^٢. وقد جاء التنكير فى جملة التذييل فى سور الحواميم بدلالات عديدة، منها :

أ- الترغيب.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ (الشورى: ٢٣). فى التذييل نكرتان، هما: "حسنة" و"حسناً" ويفهم من النكرة الأولى، الأفراد، فمن يقتترف حسنة أي حسنة يزيد الله له فيها حسناً، وهذا للترغيب فى عمل الخير مهما بدا صغيراً، ويفهم من النكرة الثانية الكثرة؛ فالحسنة بعشرة أمثالها، وقد تصل إلى سبع مئة ضعف كما فى آية البقرة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١)، ويضاعف الله سبحانه ذلك لمن يشاء.

1 من بلاغة القرآن، ص ١٠٢.

2 فى كتاب " من بلاغة القرآن " يقول الدكتور أحمد أحمد بدوى عن النكرة: ((لا تفيد معناها مطلقاً من كل قيد، وإنما استفادتها من المقام الذى وردت فيه، فكأنما المقام هو الذى يصف النكرة، ويحدد معناها، فكلمة حياة مثلاً تدل على معناها المجرد، والمقام يهبها معنى التحقير حيناً، والتعظيم حيناً آخر...)). ص ١٠٢.

ب- التعظيم.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١).
(تنكير "فضل" للتعظيم؛ لأن نعم الله تعالى عظيمة جلية؛ ولذلك قال "لذو فضل"، ولم يقل: لمتفضل، ولا لمُفضل، فعدل إلى إضافة "ذو" إلى "فضل" لتأتي التنكير المشعر بالتعظيم.
وعدل عن نحو: له فضل، إلى "لذو فضل" لما يدل عليه "ذو" من شرف ما يضاف هو إليه))^١.

وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢)، أي ((تدعو إلى دين مستقيم، وهو الإسلام طريق الله الذى دعا إليه عباده...))^٢.

وهذا الطريق لم يكن معروفا لديك وقد استجد الآن، بدليل قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (الشورى: ٥٢)، ولأنه جديد يخالف ما يعبد الآباء، فقد خالفوه وحاربوه، فكان التذليل مدعاة لتثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المؤمنين، لأن الطريق الجديد الذى يخالف ما يعبد الآباء عظيم وإن كان يجد مخالفة شديدة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (غافر: ٢٢)، ومعناه أن ((الله ذو قوة لا يقهره شيء، ولا يغلبه، ولا يعجزه شيء أراده، شديد عقابه من عاقب من خلقه، وهذا وعيد من الله...))^٣، فدلالة النكرة في "قوي" تتضح من خلال السياق الذى جاءت فيه، وتدخل الرعب فى صدور الكافرين، فالله تعالى يقول: ﴿فَأَخَذَهُمْ﴾ (غافر: ٢٢)، هذا الأخذ الذى يذهل كل عاقل يختلجه سؤال: كيف كان ذلك؟، والجواب لم يكن حديثا عن الكيفية، بل بتنكير يرعبهم أكثر من الأخذ، إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ﴾، والضمير يستحضر صورة الأخذ لأولئك الكافرين السابقين، و"قوي" نكرة لا تجيب على من يسأل: من هو الآخذ؟ وإلا كان الجواب بـ "القوي"، ولكن النكرة تجيب على من يسأل: كيف حدث هذا؟

1 التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٨٦.

2 جامع البيان فى تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٥، ص ٢٩.

3 السابق، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٣٦.

والجواب لم يكن بالحديث عن الكيفية، بل عن سبب من الأسباب التي صنعت هذا الأخذ، ففي النكرة مبالغة في التخويف، إذ تعني أن الأخذ كان بقوة لا يمكن تصورهما، أي أن ذلك الأخذ الذي يربحكم لا تعرفون مداه، ويكتمل المعنى "شديد العقاب"؛ لأن من يكون هو القوي، فإنه هو القادر على أن يأتي بعقاب شديد مثل الذي أصاب أولئك .

ج- التحقير.

مثاله: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف: ٥٤)

في التذييل نكرتان؛ الأولى: "قوما" والثانية "فاسقين" وهي صفة للأولى، ولو اقتصر على ذكر الفاسقين هنا لاختلف المعنى؛ حيث سيعني فسق عموم المجتمع أو فسق أفراد هنا وأفراد هناك، ولكن كلمة "قوما" فيها إشارة إلى نوع من الفسق كان في الأمم السابقة، وهو الفسق الجماعي، وهو أن تجتمع كلمة قوم ضد نبيها، وفي هذا التنكير تشنيع وذم لهم بما يستحقون؛ فهم ضعاف العقول مما جعلهم يطيعون فرعون، فقد استخف ((خلقا من قومه من القبط بقوله الذي أخبر تبارك وتعالى عنه أنه قال لهم فقبلوا ذلك منه، فأطاعوه وكذبوا موسى... لأنهم كانوا قوما عن طاعة الله خارجين...)).^١

٢- التعريف.

وهو أيضا يؤدي دلالات مختلفة تعتمد على السياق الذي يجيء فيه، ومنها:

أ- المعرف بأل.

فمثلا كلمة "الظالمين" تدخل في سياق العذاب، كما قد تدخل في سياق الضلال، فأما سياق العذاب فكقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ (الشورى: ٤٥).

١ السابق، المجلد الحادى عشر، ج ٢٥، ص ٥٠.

"أل" في كلمة "الظالمين" جنسية، وهي مرادفة لـ "كل" حقيقة، فكل الظالمين في عذاب مقيم، وقد رُسمت صورة الظالمين، الذين وصفتهم الآية قبل التذيل بأوصاف كأنهم حاضرون في ذلك الموقف الذى قال عنه تعالى:

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ (الشورى: ٤٥)، فالتعريف في الظالمين من خلال السياق، أضاف تنكيلا بهؤلاء الظالمين، وخاصة أن الظرف الذى وُضعوا فيه هو عذاب مقيم، وهذا المعنى قد لا يتصوره عندما تكون كلمة "الظالمين" نكرة، لأنه حينها قد يتصور بعض الظالمين أنهم خارجون عن موضوع العذاب، وتعريفهم ناسب رؤية النبي صلى الله عليه وآله لهم كما في قوله تعالى:

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾، ويتضح لنا شعورهم بالتنكيل أكثر إذا علمنا أنهم يتمنون ألا يراهم أحد، فهذا حال من ينظر من طرف خفي، فلا شك أنه لا يتمنى أن يكون في هذا الموقف، ففى ((قوله: ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ تجسيد بارع وتصوير رائع لمن يقف أمام الموت الذى ينتظره والسيوف مصلت على رأسه يرأى بأجفانه ويحركها تحريكا ضعيفا خفيا يمكنه من مسارقة النظر، فإن من ينظر إلى أمر مكروه يستهول أمره، ويزوى ناظره عنه، بيد أنه لا يتمالك دون أن يرمى ما يكرهه وما يتوقع حدوثه رمقا سريعا))^١.

وأما سياق الضلال فمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٠). ويبدو أن التعريف وصف الظالمين بأنهم وصلوا إلى مستوى من الظلم، والسياق وضح ذلك، فالله تعالى يقول: ﴿فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ (الأحقاف: ١٠)، والاستكبار هو الارتفاع إلى أعلى مستويات الظلم والكفر، إلى حد لا يوفقون فيه للهداية، فالله سبحانه وتعالى ((لا يوفق لإصابة الحق وهدى الطريق المستقيم القوم الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بإيجابهم لها سخط

1 إعراب القرآن وبيانه، المجلد ٩، ج ٢٥، ص ٤٩.

الله بكفرهم به))^١، ويتعاضم مستوى هذا الظلم إذا علمنا أن الظالم ليس مفردا، بل هم قوم اتفقوا على كلمة الكفر، وكان الاستكبار استكبارا جماعيا متفقا عليه، ومن اجتمعت كلمتهم على الاستكبار فقد وصلوا إلى ظلم متعاضم قد يوصف بالظلم الكامل الذى لا يُتصوّر بعده العودة إلى الإيمان.

ب- اسم الإشارة.

اسم الإشارة من أسماء المعارف، وضمن هذه الدراسة تكاد تكون الدلالة التى أداها فى إطار التعظيم، وأول التعظيم تعظيم الله سبحانه وتعالى، والتعظيم فى اسم الإشارة لعب دورا مهما فى ربط الإنسان بمصيره من خلال تعظيم ما يؤول إليه؛ فإما أن يدخل الجنة، وإما أن يدخل النار، فتعظيم الجنة أو تعظيم النار، أو تعظيم الأفعال أو الأقوال، كل ذلك يجعل الإنسان يتفكر فى مصيره ويراجع حساباته، ومن ذلك :

١/ اسم الإشارة: " هذا " .

وهو يُستخدم فى الأصل فى الإشارة إلى القريب الذى يُدرك بالبصر أو ما يتزل منزلته من الأمور المعنوية، ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (الجاثية: ٢٠)، مما يعنى أن ما ذكر قبل هذه الآية يفترض أن يبصره كل ذى بصر، والجمع فى "بصائر" يدل على أن كل أحد عنده الوسيلة للهداية، يقول ابن عاشور: ((وجمع البصائر: إن كانت الإشارة إلى القرآن باعتبار المتبصرين بسببه كما اقتضاه قوله "الناس" لأن لكل أحد بصيرته الخاصة، فهي أمر جزئي بالتبع، لكون صاحب كل بصيرة جزئيا مشخصا، فناسب أن تورد جمعا، فالبصيرة: الحاسة من الحواس الباطنة))^٢، فما لدى الإنسان من حواس، وما عنده

1 جامع البيان فى تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٦، ص ٩.

2 التحرير والتنوير، المجلد الثانى عشر، ج ٢٥، ص ٣٥٠.

من البصائر، يجعله قادرا على الاهتداء، ولأن بعض الناس لم يهتدوا لما عليهم من غشاوة، احتاجوا إلى التنبيه الذى تمثل فى " الهاء " من اسم الإشارة.

٢/ اسم الإشارة: " ذلك " .

وهو يستخدم فى الأصل فى الإشارة إلى البعيد؛ بُعد مكان أو بُعد مكانة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (غافر: ٩)، ووجود لام البعد قد يعطى معنى المكانة العظيمة، فهذا الأسلوب فيه إعلاء للمكانة؛ ولذا أشير ((إلى الجنة باسم إشارة البعيد تعظيما لشأنها))^١، وكاف الخطاب جعل الجنة ماثلة أمام الإنسان حتى يكاد يتنعم فيها.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (فصلت: ٩)، ((وفى الإشارة نداء على بلادة رأيهم إذ لم يتفطنوا إلى أن الذى خلق الأرض هو رب العالمين؛ لأنه خالق الأرض وما فيها، ولا إلى أن ربوبيته تقتضى انتفاء الند والشريك، وإذا كان هو رب العالمين فهو رب ما دون العالمين من الأجناس التى هي أحط من العقلاء كالحجارة والأخشاب التى منها صنع أصنامهم))^٢.

وكما أستعمل لفظ الإشارة "ذلك" فى إعلاء مكانة الجنة، فإنه قد يفهم منها التـهويل من العذاب الشديد، فالعذاب بعيد فى شدته وهوله، ومثاله قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾ (فصلت: ٢٨)، وفى التذييل أمور منها:

الأول: التهويل من خلال اسم الإشارة، فذلك الجزاء بعيد فى شدته وألمه.
الثانى: فى كاف الخطاب تصوير للجزاء وكأنه أمام الإنسان، فيتمثلها، حتى يكاد يناله فى الدنيا قبل الآخرة، وهذا يساعد على إدخال الخوف فى النفس.

1 بلاغة القرآن فى سور حم، ص ١٩٨.

2 التحرير التنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٢٤٣.

وقوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ (الأحقاف: ٢٨)

واسم الإشارة - هنا - قد يكون ما فيه من لام البعد وكاف الخطاب، إشارة إلى أنه ضلال بعيد عن الحق والعقل، وكاف الخطاب كأنه يوحى إلى سذاجة افتراءهم وأنه بيّن يكاد لا يحتاج إلى أدنى تأمل، فقد وصلتهم الحجج الدامغة، وبيّنت الآيات، ((فأبوا إلا الإقامة على كفرهم والتمادى في غيهم...))^١.

٣/ اسم الإشارة " تلك " .

وفيه الإشارة إلى المؤنثة المفردة، إضافة إلى لام البعد وكاف الخطاب، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف: ٧٢)، وفي التذييل التفات، ((فقد التفّت من الغيبة إلى الخطاب للتشريف، والمخاطب كل واحد من دخل الجنة، ولذلك أفرد الكاف، ولم يقل "وتلكم" مع أن مقتضى أورثتموها أن يقول "وتلكم"، وذلك للإيذان بأن كل واحد من أهل الجنة مقصود بالذكر لذاته))^٢، وقد يفهم من استعمال اسم الإشارة هنا الترغيب في الجنة لما فيها من زينة، فـ "تلك" إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهُيهِ الْأَنْفُسُ وتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف: ٧١، ٧٢، ٧٠)، أي تلك التي فيها ما ذكر في الآيتين السابقتين، فالمؤمنون ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾، و((الصحف جمع "صحفة" وهي آنية الأكل، والأكواب جمع "كوب" وهو ما يشرب منه كالكوز، إلا أن الكوب ما لا عروة له))^٣، ولعل هذا التفصيل يفيد الترغيب.

1 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٦، ص ١٩.

2 إعراب القرآن وبيانه، المجلد التاسع، ج ٢٥، ص ١٠٦.

3 تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل، ج ١٤، ص ٣٥٣.

٤ / اسم الإشارة "ذلكم".

وقد أُضيف إليه لام البعد، و"كم" للمخاطبين، وهو يستخدم في الأصل في الإشارة إلى البعيد. ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاَتَى تُؤَفِّكُونَ﴾ (غافر: ٦٢)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٦٤).

وقد جاء الاسم في التذييلين في سياق الدعوة إلى الله وحده دون سواه، فمعنى التذييل الأول كما يقول الطبري: ((يقول تعالى ذكره، الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس، الله مالكم ومصلح أموركم، وهو خالقكم وخالق كل شيء، لا إله إلا هو، يقول: لا معبود سواه تصلح له العبادة...))^١، ومعنى التذييل الثاني قريب من معنى الأول^٢ ثم إنه يلاحظ ظهور لفظ الجلالة ثم إردافه بالقول ﴿رَبُّكُمْ﴾ في كلا التذييلين و أنهما قد جاءا في موضوع واحد وهو خلق كل شيء في الآية (٦٢: غافر)، وتصوير الإنسان في الآية (٦٤: غافر)، والكاف والميم لخطاب الجمع، يساعد على انتباههم؛ لكي يستوعبوا شيئاً من الربوبية.

٥ / اسم الإشارة: "أولئك".

وهو يستخدم للجمع، والكاف للخطاب، وقد تنوعت الأغراض والسياقات في هذا الاستخدام ومن ذلك:

التعريض كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٤)، والتعريض في هذا التذييل من خلال تشبيه حال من لا يؤمن بالله ((في النبوة عن قبول مواعظ القرآن ودلائله بحال من يُنادى من مكان بعيد، فكما أنه لا يفهم ولا يقبل قول المنادى، فكذلك هؤلاء، لا

1 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٥٢.

2 ينظر السابق، ص ٥٣.

يقبلون دعوة من دعاهم إلى الرشـد والصلاـح لاستـيلاء الضلالـة عليـهم))^١، وهذا بسبب اختيار بعدهم عن الله تعالى في الدنيا.

وقد يأتي هذا الاسم في سياق التهويل والتهديد، ومثاله قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٤٢).

وقد يأتي في سياق التحقير والإهانة، ومثاله قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (الجاثية: ٩).

وقد يكون في سياق المدح أو الترغيب، ومثاله قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأحقاف: ١٤).

والملاحظة العامة في اسم الإشارة في جميع هذه النقاط، أنه يشتمل على تنبيه إما بصورة مباشرة مثل "هذا"، فالهاء حرف تنبيه، وإما بصورة غير مباشرة، فالبقية فيها كاف الخطاب الذي يكون فيه المخاطب كأنه حاضر، أو مترا متراة الحاضر، وإلا فلا معنى لكاف الخطاب إن كان غائبا.

1 إعراب القرآن وبيانه، المجلد ٨، ج ٢٤، ص ٥٧٣.

المبحث الثاني: الصورة

إن الصورة الفنية في القرآن الكريم تنشّط ذهن المتلقّي؛ حيث يكون متفاعلا معها من خلال ما ترسمه من معنى.

وكلما امتزجت الصورة بواقع الحياة، كان تأثيرها أكبر، وقد أدّت الصورة دورا كبيرا في التمهيد لذلك التفاعل الذى ينتهى بالإفصاح عن المعنى.

وإن ندر وجود التشبيه في التذييلات^١ - محل الدراسة -، فإن المجاز كان له الدور الأكبر في رسم الصورة، وهذا يرجع بفائدة عظيمة للمتلقى، إذ إن مدى التأثير في العقل والنفس بعد تمام الكلام، يحتاج - أحيانا - إلى تعقيب كالتذييل، ليجمع الأفكار فتكون قاعدة عامة في الحياة، فيصبح ذلك تقريرا، وهذا قد يُستعمل فيه المجاز بشكل واسع دون أن يخرج الكلام عن التقرير، وهذا ما لا يتسنى للتشبيه، إذ غالبا ما يكون التشبيه فيه تفصيل بسبب المقارنة بين شيئين، وفي هذا المبحث سنتناول :

١ - التشبيه.

٢ - الحقيقة والمجاز.

٣ - الاستعارة.

٤ - الكناية.

1 هذا إذا استثنينا "كذلك" اعتمادا على من يقول بأن "كذلك" لا تكون دائما للتشبيه. يُنظر: من بلاغة القرآن،

١ - التشبيه.

يقول القزويني: ((التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى))^١.
واتفق على أن التشبيه هو الذى يكون بالأداة، واختلف فيما إذا حذفت^٢، وأتخذ طريق آخر
في مسألة التشبيه وهو النظر إليه من زاوية التأثير النفسي، فإذا لم يكن له أثر في ذلك فلا قيمة
له، فـ ((التشبيه لمح صلة بين أمرين من حيث وقعهما النفسي، وبه يوضح الفنان شعوره نحو
شيء ما، حتى يصبح واضحا وضوحا وجدانيا، وحتى يحس السامع بما أحس المتكلم به، فهو
ليس دلالة مجردة، ولكنه دلالة فنية... ليس الحس وحده هو الذى يجمع بين المشبه والمشبه به
في القرآن، ولكنه الحس والنفس معا، بل إن للنفس النصيب الأكبر...))^٣، وهذا يستدعى
التوقف عند التشبيه لاستخراج أسرارهِ، ومنه قوله تعالى:
﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الزخرف: ١١).
والتذييل هو قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، وفيه أمور:
الصورة تكونت من عناصر ثلاثة:

الأول: المشبه هو إخراج الإنسان إلى الحياة من بعد مماته.
والثاني: المشبه به وهو إحياء البلدة بعد موتها.
الثالث: وهو الأداة المتمثلة في الكاف.
السياق يتناول إلقاء الحجة على المنحرفين في العقيدة وخاصة في مسألة الخلق، فكان
استدراجهم فكريا بقوله تعالى:
﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (الذى
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (الذى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) (الزخرف: ٩، ١٠، ١١).

1 الإيضاح، المجلد الثاني، ج ٤، ص ١٦.

2 ينظر كتاب الطراز، ص ٢٠٢.

3 من بلاغة القرآن، ص ١٤٨، ١٤٧.

أدوات هذه الصورة تكوّنت من السماء والأرض وغيث السماء "الماء" الذى يترل بمقدار محدد، ثم تفاعل هذه الأدوات أمام الإنسان فتخرج إلى الحياة بعد موتها، والنتيجة "كذلك تخرجون"، أي أن الإنسان أصبح أداة من أدوات هذه الصورة، وخصوصا إذا تحيل الإنسان نفسه مثل الأرض الميتة فيحيا من جديد بعد موته، ولاسيما أن الإنسان مخلوق من الأرض وإذا مات تحلل فيها وأصبح ترابا.

((والغرض من التشبيه هو الوضوح والتأثير))^١، والوضوح مقدمة للتأثير، أما الوضوح فيتمثل في المشبه به، واختيرت تلك الأدوات؛ لأن الإنسان يعايشها، ويرى مسألة الإحياء بشكل واضح، بل إنه يستأنس به للمناظر الجميلة التي تسره، أو أنه يستفيد منه للاستهلاك الغذائي، وأما التأثير فتكون ذروته عند المشبه وهو إحياء الإنسان بعد موته، فإذا آمن بالمشبه به بفطرته فعليه أن ينقل هذه الصورة إلى نفسه.

إن الميزة التي اكتسبها التشبيه من الصورة في الطبيعة هي بساطة التقرير، وهذا ما يتفق مع أهداف التذليل الذي يعنى إطلاق قواعد حياته يسهل على الناس التمثل بها واستيعابها. أما تحليل المثال، ففيه أمور:

من طبيعة التشبيه أن يتقدم المشبه على المشبه به، وفي هذا التشبيه تقدم المشبه به، ففي الصورة التي في الآية، ينصب الاهتمام على إحياء الموتى الذى يتساءل عنه المنكر بقوله: كيف يحيينا الله بعد موتنا؟ وجوابه بعرض صورة إحياء الأرض بعد موتها وهو شيء حي متكرر أمام الناس، وهذا ما يصنعه المشبه به ليوضح المشبه.

أسلوب تقدم المشبه به على المشبه استدراج للمتلقى حتى يصل للحقيقة من دون اصطدام بالفكرة، فمن خلال هذا الأسلوب يقترب الإنسان من الاقتناع أكثر من الأسلوب المباشر. الدليل على تقدم المشبه به ما ذكر من توضيح معنى "كذلك" في أكثر من موطن، فالمعنى: الأمر كذلك^٢، فـ "الأمر" مشبه، و"الكاف" أداة تشبيه، وذلك مشبه به، فيكون _في المثال_

1 السابق، ص ١٤٧.

2 روح المعاني، ج ٢٥، ص ١٠٣.

الأمر وهو إحياء الموتى الذى ينكرونه "هو المشبه"، و"الكاف" أداة التشبيه، وذلك "أي الذى تقدم من إحياء الأرض " هو المشبه به. إن التشبيه لم يكتف برسم صورة مجردة من الدقة، بل إنه دخل فى التفصيل، ومما يدل على هذا التفصيل لدقائق هذا التشبيه، الفعل "نزل" و"بقدر" و"بلدة ميتة"، وهذا التريل يسير على مقدار محدد، ثم إن التشبيه انصبَّ على "بلدة ميتة" ليركز التشبيه على صورة محدودة تساعد على التأثير المباشر.

"كذلك"

لقد وردت فى بعض التذييلات كلمة "كذلك"، وفيها رأيان؛ الأول يراها للتشبيه دائما، والثانى يرى أنها قد تكون للتشبيه وقد تكون لغيره.

يقول الدكتور أحمد أحمد بدوى: ((وردت كذلك... لمعان ثلاثة:

التشبيه... وتأتى كاف "كذلك"... بمعنى مثل... وتأتى "كذلك" أيضا لتحقيق المعنى وتثبيته^١. وقد يكون مما عناه بدوى ما ذكره ابن عاشور فى تعليقه على قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ (غافر: ٧٤)

إذ يقول: ((والتشبيه فى قوله: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ يفيد تشبيه إضلال جميع الكافرين بإضلاله هؤلاء الذين يجادلون فى آيات الله، فتكون جملة ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ تذييلا، أى مثل إضلال الذين يجادلون فى آيات الله، يضل الله جميع الكافرين، فيكون إضلال هؤلاء الذين يجادلون، مشبها به إضلال الكافرين كلهم^٢، وعلى قول ابن عاشور، فإن التشبيه فى "كذلك" يبقى، وفى الوقت نفسه تكون الكاف بمعنى "مثل"، وينتج من ذلك أن المشبه هو طريقة إضلال جميع الكافرين، ولأن المسألة تحتاج إلى بيان وتوضيح وتوكيد فقد جاء المشبه به — وهو مقدم — يصوّر هذه الطريقة لإضلال الكافرين، وتوضح

1 من بلاغة القرآن، ص ١٦٣ إلى ص ١٦٥.

2 التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٢٠٥.

الطريقة من خلال التصوير الذى بدأ من "الآية ٦٩ غافر"، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿غافر﴾ (٧٠، ٩٦، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤)، فقد كانوا يتمنون اللقاء بأولئك ليعينوهم، ولكن وجدوا أنهم واهمون، ويقول الطباطبائي عن معنى الإضلال :

((إضلاله تعالى للكافرين وهم الساترون للحق يشبه هذا الضلال، وهو أنهم يرون الباطل حقا فيقصده، ثم يتبين لهم بعد ضلال سعيهم أنه لم يكن إلا باطلا في صورة حق وسرابا في سماء الحقيقة... والمعنى على الوجه الثانى أعنى كون قولهم: ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾، كذبا منهم : كمثل هذا الإضلال يضل الله الكافرين فيؤول أمرهم إلى الكذب حيث لا ينفع مع علمهم بأنه لا ينفع)).^١

ومن هنا نقول إن هذا التذليل لا يمكن أن يكون تشبيها على الحقيقة؛ فلو أريد أخذ المعنى على التشبيه الحقيقي لقل إن المشبه هو إضلال الكافرين، والمشبه به هم الكافرون يوم القيامة الذين لا يجدون من كانوا يدعون من دون الله وعلموا في الحقيقة أنهم لم يكونوا يدعون شيئا، فمن الصعوبة بمكان تحيل هذا التشبيه على حقيقته؛ لأن صورة عدم إيجاد من كانوا يدعون من دون الله ليست موضحة لكيفية إضلال الكافرين، وخصوصا إذا علمنا أن صورة المشبه به موجودة في يوم القيامة، وذلك بعيد عن إدراك الناس، فكيف يشبهون الغامض عليهم بواقع يرونه، وقد التقى الرأيان في قول بدوي: ((ويقدر بعض العلماء في مثل هذا التركيب أن

1 الميزان في تفسير القرآن، المجلد السابع عشر، ج ٢٤، ص ٣٥١.

كذلك خبر لمبتدأ محذوف تقديره، الأمر كذلك^١، وبعد ذلك يمكن أن يقال إن "كذلك" تأتي:

(١) للتشبيه، وقد مرَّ.

(٢) بمعنى التعليل.

وفي كلا الأمرين تصلح "كذلك" أن تكون تقريراً لما سبق، كما يمكن أن يكون معناها "لام تعليل" كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ (غافر: ٣٤)، أي لذلك يضل الله من هو مسرف، وفي الوقت نفسه لا مانع أن يكون ذلك تأكيداً^٢.

كما أن التذييل يمكن أن يكون معناه، ((أي مثل هذا الخذلان المبين، يخذل الله كل مسرف^٣ في عصيانه مرتاب في دينه))^٤.

وعلى كل حال، فإن مما تقدم نصل إلى أن "كذلك" قد تحمل أكثر من تفسير، وهي مع مبتدئها المحذوف جملة اسمية والتقدير: الأمر كذلك، ولكن الأهم في كل ذلك - كما أعتقد - هو أن "كذلك" تعني إعادة الصورة المذكورة سابقاً، وهذه الصورة المعادة لا بد لها من أغراض، ومنها:

أ/ التحقير.

كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ (غافر: ٣٤).

1 من بلاغة القرآن، ص ١٦٥.

2 يُنظر الميزان في تفسير القرآن، المجلد السابع عشر، ج ٢٤، ص ٣٣١.

3 وقال ابن عاشور: إن المراد ((هنا مسرف في الكذب؛ لأن أعظم الكذب أن يكون على الله...)). التحرير والتنوير،

المجلد الحادي عشر، ج ٢٤، ص ١٣١.

4 الكشف، المجلد الثالث، ص ٤٢٧.

قبل هذا التذييل هناك عرض لاستمرار شك من في قلبه مرض مما جاءهم من الحق، وبقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ حضرت صورة استمرار شكهم ورييهم، ولذا استحقوا هذا التحقير الذى تمثل فى وصفهم بالإسراف والارتياح.

ب/ التجهيل.

كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (غافر: ٣٥). الصورة التى قبل التذييل تتناول أناساً يجادلون فى آيات الله عبثاً من دون سلطان، فجداهم من أجل الباطل، ولكنها لم تنته عند رسمها، بل إن "كذلك" أعادتها مجدداً إلى الذهن فوضحت بطلان جداهم الذى ينم عن عناد وجهل، فالتذييل ((يفيد أن قلوبهم مطبوع عليها، فلا يفقهون حجة ولا يركنون إلى برهان))^١.

ج/ الخذلان.

كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ (غافر: ٧٤)، ففى "كذلك" تكرار لمسألة ما، مما يعنى التأكيد عليها، وهى أنهم يوم القيامة لن يجدوا من ينصرهم، وفى إعادة الصورة من خلال الإيجاز فى "كذلك"، صار الأمر أكثر تأثيراً من أى صورة أخرى.

د/ الترغيب.

كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ (الدخان: ٥٤). إن "كذلك"، تدخل حافزاً وترغيباً فى الجنة، لأن فيها إعادة المشهد السابق من جديد، أى أن ((المراد تقرير ما تقدم تحقيقه))^٢، فبعد أن ذكر القرآن لباسهم السندسي والاستبرق وحالهم متقابلين، أعاد المشهد من جديد بقوله كذلك، أى والأمر الذى يعنى لباسهم وتقابلهم ذاك، فهو لباس الفائزين وتقابل السعدين، وذلك يزيد من الرغبة فى السعي للجنة.

1 الميزان فى تفسير القرآن، المجلد السابع عشر، ج ٢٤، ص ٣٣١.

2 روح المعاني، ج ٢٥، ص ٢٠٦.

هـ / تعظيم نعم الله سبحانه وتعالى.

كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (الدخان: ٢٨).

وتتجلى عظمة الصورة في "كذلك" إن علمنا أنها تستحضر أو تكرر إحضار الصورة السابقة وهي: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (الدخان: ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨)، فما قبل "كذلك" نعم عظيمة، أعطاه الله سبحانه وتعالى لأناس، ثم أورثها آخريين، والمراد من "كذلك" ((التأكيد والتقرير))^١، ولا يكون الأمر للتقرير إلا باستحضار الصورة السابقة، وهي صورة الجنات والعيون والمقام الكريم، وكل ذلك عظيم، فيكون التقرير تقريراً لتلك الصورة العظيمة.

و/ التخويف.

كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (غافر: ٦).

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأحقاف: ٢٥).

قبل التذييل الأول كان الحديث عن أخذ الله سبحانه وتعالى لأناسٍ جادلوا بالباطل، وقد كان العقاب شديداً، وقبل التذييل الثاني كان الحديث عن عذاب أليم وهو ريح مرعبة، فكلتا الأمرين اللذين سبقا التذييل كفيل بإدخال الخوف إلى القلب، فكيف يكون الأمر إذا أعيدت صورة كلٍّ منهما، فقد أعيدتا من خلال "كذلك" مما يعنى أن الأمور الناتجة عنها هي زيادة الخوف، وفي إعادة الصورة في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ((إعطاء ضابط كلي في مجازاة المجرمين بتشبيه الكلى بالفرد الممثل به والتشبيه في الشدة، أي أن سُتُنَّا في جزاء المجرمين على هذا النحو الذى قصصنا عليك))^٢، وهذا مدعاة للخوف.

1 السابق، ج ٢٥، ص ١٨٩.

2 الميزان في تفسير القرآن، المجلد الثامن عشر، ج ٢٦، ص ٢١٦.

ز/ التعجب.

كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (غافر: ٦٣)، إذا كانوا يُصرفون عن عبادة خالقهم وطاعته، فهذا عجيب أمام كل الآيات الباهرات، وقد تكرر ذكرها في قوله "كذلك" مما يعنى التعجب من زيادة الجحود الذى وصل إلى درجة لا يمكن فيها أن يعود هذا الجاحد إلى الحق مع كل هذه الآيات. يقول ابن عاشور: ((هذه الجملة معترضة بمنزلة التعليل لمضمون الجملة التى قبلها، وهو التعجب من إنصرافهم عن عبادة ربهم))^١.

ح/ التسلية.

كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣)، فالنبي صلى الله عليه وآله عندما قرأ عن المعاندين قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٠، ٢١، ٢٢)، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم علم بالأمر، ولكن فى إعادته بقوله "وكذلك" تسلية لقلبه صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه.

١ التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٨٨.

٢- الحقيقة والمجاز.

وهذا من أعظم قواعد علم البيان^١، ويتحدث القزويني عن هذين الأسلوبين فيقول: ((الحديث عن المجاز وحقيقته مشهور معروف، فالتعبير في شتى اللغات يجرى على إحدى طريقتين؛ إما أسلوب الحقيقة الذي تجد فيه الألفاظ والكلمات مستعملة فيما وضعت له، والجمل موضوع على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه عاريا عن التأول لا بسا ثوب الإسناد المؤلف والمعروف، وإما على أسلوب المجاز الذي تجد فيه الكلمات قد أريد بها غير ما أرادته اللغة وجرى عليه الوضع المؤلف، لمعنى سوَّغ هذه الإرادة، وارتباط بين ما تجوزها إليه وبين أصلها الوضعي اقترن اسمها بالدلالة عليه، أو نجد فيه الجمل وقد أخرج الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل وطريقته في المؤلف من الإسناد لضرب من التأويل والتقدير))^٢.

أ/ الحقيقة.

يعرفها ابن جني بأنها: ((ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة))^٣، وقال ابن فارس: أنها: ((الكلام الموضوع في موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير))^٤. فالحقيقة هي صورة مباشرة للمعنى لا تحتل التأويل، فهي عاكسة عن المراد بشكل يستوعبها الناس عموماً، ونلاحظ أن استخدام الألفاظ على حقيقتها في التذييل تأتي في مواضع منها:

1 كتاب الطراز، ص ٤٤.

2 الإيضاح، المجلد الثاني، ج ٥، ص ٢١٧.

3 الخصائص، ج ٢، ص ٤٤٢.

4 الصاحي، ص ١٩٧.

١/ إذا كان الكلام السابق للتذليل يتناول الظواهر الكونية التي ينبهر الإنسان بعظمتها، فيرى الإنسان حقيقة الخلق بلا تأويل، ويتأثر بواقع تلك الظواهر، فحينها يكون التعبير المباشر أسرع إلى التأثير في نفس الإنسان وعقله، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٥٠).

فقد جاء هذا التذليل بعد استعراض بعض آيات الله سبحانه وتعالى من مظاهر كونية، وفي الأنفس، إذ قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ ذَكَرًا أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٤٩، ٥٠)، فالملتقى عندما ينظر إلى السماوات والأرض، ويتفكر في الذكور والإناث، والحالات المختلفة من الإنجاب والعقم، يتساءل منبهاً: كيف صنع ذلك؟ والجواب المباشر في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾، فالقضية تحتاج إلى عنصرين مهمين؛ العلم والقدرة، فعظمة الآيات واضحة، ((قال ابن عباس: عليم بما خلق، قدير على ما يشاء أن يخلقه))^١، وهذه الدلالة في التذليل مباشرة لا يناسبها المجاز.

- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت: ١٢).

هذا التذليل جاء في سياق استعراض آيات عديدة فيها تفصيل واسترسال، وهذه الصورة التي ترسمها الآيات لترد على من يدعى أن الله أنداداً، وكأن هذا الشخص يقف أمام لوحة فنية متحركة الزمان، إذ فيها الرياح والطيور والبشر، ثم بعدها يصل إلى نتيجة حقيقية مباشرة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ أَنتَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ○ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ○ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ○ فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (فصلت:

١٠، ١١، ١٢).

1 تفسير الرازي، ج ٢٧، ص ١٨٦.

يقول الرازي: ((وما أحسن هذه الخاتمة، لأن تلك الأعمال لا تمكن إلا بقدره كاملة وعلم محيط))^١.

وفي هذا الإطار نلاحظ أن استعمال اللفظ جاء في سياق الاستدلال عن طريق هذه الآيات الظاهرة العظيمة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ﴾ (فصلت: ٣٩)، فالكلمات على وضعها الحقيقي وقد عبرت عن صورة حقيقية ملموسة، ويفترض أن يصل المتلقى إلى الحقيقة عبر ذلك.

وقد يكون التعبير بالقول على الحقيقة في سياق نكران لهذه الآيات الواضحة العظيمة، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان: ٣٩)، فهو ((تذييل وتجهيل فخيم لمنكرى الحشر وتوكيد؛ لأن إنكارهم يؤدي إلى إبطال الكائنات بأسرها))^٢، كما قد يكون في إطار تعظيم الله سبحانه، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجاثية: ٣٧)، فقد جاء التذييل مسبقا بقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الجاثية: ٣٧)، وهي عبارة في تعظيم الله سبحانه وتعالى، والتذييل بعدها على الحقيقة، وقد يكون السياق يتناول نعم الله على الإنسان، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١)، فالصورة السابقة للتذييل من نعم الله عليهم، وقد رُسمت بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ (غافر: ٦١)، فإذا كان الأمر بهذا الوضوح، فإن العبارة القرآنية أوضحت نكرانهم.

٢/ إذا كان الكلام السابق للتذييل يتحدث عن المواقف الشديدة أو المواقف التي تحتاج إلى حزم، حيث يكون ذلك في مكان القضاء، أو المواقف التي يضطرب فيه الفكر، كالمواقف الشديدة، فإن ذلك كله يناسبه اللفظ المباشر على الحقيقة، بل هذا ما ينتظره الناس وما يتوقعونه، فالموقف الحرج الذي يكونون فيه، يناسبه التعبير الواضح، ومن التذييلات التي

1 السابق، ج ٢٧، ص ١٠٩.

2 روح المعاني، ج ٢٥، ص ٢٠٠.

جاءت في سياق الشدة:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (غافر: ٢٢)، والصورة التي يعقب عليها هذا التذييل، تتناول موقفاً مربعاً للكافرين، فالله تعالى يقول: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (غافر: ٢١، ٢٢)، فإذا كان هذا مصير الكفار الأقوياء، فما حال من هم أضعف منهم؟! وقد لاحظنا أن الشدة تجلت من خلال الصورة المخيفة لأخذ الله سبحانه وفيها ((مبالغة في التحذير والتخويف))^١، فلا يحتاج المتلقي لأكثر من هذا التعبير ليفهم التحذير والتخويف.

وإذا كانت صورة هذه الشدة قد رُسمت على الأرض، فإن هناك ما هو أشد في عالم الآخرة، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (فصلت: ١٦)، وهو تعبير مباشر على الحقيقة، يدل على شدة الموقف الذي يكون فيه هذا المرء، فما حال من لا يجد له ناصرًا في يوم الشدة^٢، فالله تعالى يقول: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ (فصلت: ١٦).

وفي المواقف التي تحتاج إلى الحكم والقضاء، فكقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الدخان: ٤٢)، وقد جاء هذا التعبير في سياق الفصل الذي يقطع الرجاء من إغناء مولى عن مولى، إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۖ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الدخان: ٤٠، ٤١، ٤٢)، فالعبارة الواضحة المباشرة تناسب الموقف الذي يحتاج فيه الإنسان أن يحسم أمره بصورة تقطعه عن كل شيء يتصوره وهو غير وارد، كإغناء مولى عن آخر، وهذا يوحى إلى اضطراب النفوس التي تحمل كل أعمالها من الدنيا، فهل ستدخل الجنة وقد كفرت، أو أن من جعلوهم

1 تفسير الرازي، ج ٢٧، ص ٥٣.

2 يُنظر التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٢٦١.

شركاء الله سينصرونهم ؟ فيقطع كل ذلك الاضطراب بالفصل والحكم، ومن ذلك أيضا، قوله تعالى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (غافر: ١٢)، وكأن التذليل يقول للكافرين: قفوا عن محاولاتكم للنجاة في هذا اليوم العصيب، فلا خروج ولا مهرب، فهذا يصور حالة الهلع والاضطراب الذي يعيشه أولئك، فكانت الكلمات بمعانيها الحقيقية، كقيلة بقطع السبيل عليهم، فالله تعالى يقول: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ۝ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (غافر: ١١، ١٢)، وإذا كانت هذه الشدة وما نتج عنها من حالة اضطراب، فإن ذلك يزداد عندما يدخلون العذاب، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيًّا مِنَ النَّارِ ۚ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٧، ٤٨).
فالتذليل وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾، يقطع على أولئك اللغظ والحجاج الباطل.

٣/ الكلام السابق للتذليل يتناول أمورا لطيفة أو خفية، ومن تلك الأمور، ما يتعلق بالملائكة، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (غافر: ٨)، وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الشورى: ٥)، فالتذليل الأول جاء على لسان الملائكة في سياق دعواتهم للمؤمنين، والثاني بعد ذكر تسبيح الملائكة ودعائهم لمن في الأرض.

ونلاحظ جمال التعبير حيث جاء على لسان خلق خفي عنا، وهذا يُظهر قربهم من العباد المؤمنين، فقد وصلوا بكلامهم إلى عقولنا، بصورة مباشرة، وكان ذلك بكلام على الحقيقة لا على المجاز، من أجل أن نفهم ونشعر بقرب فكرهم منا.

فالأمر الخفية يناسبها التعبير بلفظٍ على صورته الحقيقية لكي لا يحدث التباس ما.

ومن الأمور اللطيفة الخفية أيضا، مسألة الرزق، فذيلت بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (الشورى: ١٩)

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٦٤).
فالتذييل الأول جاء مسبوقا بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾، والتذييل الثاني بعد قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، ونلاحظ أن إظهار اللفظ على حقيقته أظهر للنعمة عند عموم الناس.

ومن الأمور التي فيها مظنة الخفاء، ما يفعله الكافرون الذين يظنون ذلك، فكانوا يحتاجون إلى لفظ مباشر يفهمونه جميعا، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الشورى: ٢٥).

ب/المجاز.

عرّف ابن جنيّ المجاز بعد أن عرّف الحقيقة قائلا إن الحقيقة ((ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز ما كان بضد ذلك))^١، وقال ابن الأثير: ((وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة))^٢.

والمجاز قسمان؛ مجاز في الإسناد ويُعرف بالمجاز العقلي، ومجاز في اللفظ ويُعرف باللفظي،
((واللفظي استعارة ومرسل))^٣، وفي هذا المبحث سنتناول:

أولاً: المجاز العقلي.

ثانياً: المجاز المرسل.

ثالثاً: الاستعارة.

رابعاً: الكناية.

1 الخصائص، ج ٢، ص ٤٤٢.

2 المثل السائر، ج ١، ص ٥٨.

3 الإيضاح، المجلد الثاني، ج ٥، ص ٢١٨.

أولاً: المجاز العقلي.

وهو ((إسناد الفعل أو معناه^١ إلى غير ما هو له عند المتكلم في الظاهر لعلاقة مع قرينة صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له))^٢.

ومثال ذلك :

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ (الجاثية: ٢٧).

و هذا التذييل جاء في سياق يرسم صوراً لبعض مشاهد القيامة، ويبدأ السياق بالحديث عن إحياء الموتى، يقول تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ٢٦، ٢٧)، فالجواز العقلي في قوله تعالى: ﴿تَقُومُ السَّاعَةُ﴾، حيث أسند إلى الفعل ما ليس له، فإسناد القيام إلى الساعة غير حقيقي؛ لأن الذي يقوم هو الإنسان، غير أن الساعة هي الزمان الذي يحصل فيه القيام، فهذا مجاز عقلي علاقته الزمانية.

1 معنى الفعل ((يشمل المصدر واسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبهة)) السابق، المجلد الأول، ج ١، من هامش ص ٨٠.

2 السابق، المجلد الأول، ج ١، من هامش ص ٨٣.

ثانيا: المجاز المرسل.

((وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه))^١.

والعلاقة التي يقوم عليها المجاز المرسل في التذييلات نوعان :

النوع الأول: العلاقة الكلية:

النوع الثاني: خاص بالسبب، وفيه:

أ/ العلاقة السببية.

ب/ العلاقة المسببية.

النوع الأول: العلاقة الكلية، أو ((تسمية الجزء باسم كله))^٢.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى: ٢٧).

فيه مجاز علاقته الكلية في كلمة "الأرض"، والمعنى بعض الأرض، فلا يسع الإنسان البغي في كل الأرض، ولكن الفساد القليل يؤثر كثيرا، وهذا مثل من قتل نفسا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا، فهذا المجاز يهول أمر البغي، وتظهر أيضا أهمية التقدير من أجل ألا يصل الإنسان إلى مستوى بغي يكون فيه كأنما بغي في كل الأرض.

النوع الثاني: الخاص بالسبب.

أ- العلاقة السببية.

وهي ((تسمية المسبب باسم السبب))^١.

^١ الإيضاح، المجلد الثاني، ج ٥، ص ٢٠.

^٢ السابق، المجلد الثاني، ج ٥، ص ٢٦.

كقوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ (غافر: ٩).
المجاز في قوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾، والسيئات سبب للعقاب، والذي ذكر سببه وهو
السيئات.

فالذى يُتقى هو العذاب، والمسبب له هو السيئات، وفي هذا المجاز نلاحظ :

١/ أن الطريق الذى يفترض أن يسلكه الإنسان ليس مجرد الخوف من العقاب، إنما عليه أن
ينظر إلى سببه، وهو السيئات.

٢/ أن الوقاية من العذاب تبدأ من الدنيا بالوقاية من السيئات، فيكفى للوقاية من العذاب
الوقاية من السيئات، والوقاية خير من العلاج، وحماية الإنسان من السبب ووقايته منه خير من
علاج النتائج.

٣/ ((والظاهر أن الآية من الآيات الدالة على أن الجزاء بنفس الأعمال خيرا وشرا))^١،
فالجزاء من نفس العمل، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠).
٤/ أن الأهم بالنسبة للإنسان ترك السيئات وهو المطلوب منه.

ب- العلاقة المسببية.

وهي: ((تسمية السبب باسم المسبب))^٢.

كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ
بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى: ٢٧).

المجاز في كلمة "الرزق"، فهو مسبب يكون بسبب ما يتزل من السماء وهو الغيث، والدليل
على أن المراد هو الغيث الاستدراك في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾، فالرزق
الذى يتزل من السماء هو الغيث، فهذا الاستدراك في مسألة التزيل يعود على تزيل سابق
جاء بعبارة "يسط"، كما أن هناك مجازا آخر في "ولكن يتزل" أي الرزق، إذ يعود على كلمة

1 الإيضاح، المجلد الثانى، ج ٥، ص ٢٧.

2 السابق، المجلد السابع عشر، ج ٢٤، ص ٣١٠.

3 الإيضاح، المجلد الثانى، ج ٥، ص ٢٨.

"الرزق" السابقة، ويكون المعنى أن المقدّر هو المسبب ولم يذكر السبب، كما أن هناك مجازاً آخر في قوله: ﴿لَبِغُوا فِي الْأَرْضِ﴾، أي في بعض الأرض، وقد مر في "العلاقة الكلية".
وأما دلالات ذلك فتتمثل في أن المذكور من الجواز ينصب عليه الاهتمام لقوّة تأثيره في نفس المتلقّي؛ فالرزق هو المرجو الذي ينتظره الإنسان، فهو سعيد بترول الغيث لما يرجوه من الرزق الناتج عنه، فلحب الإنسان للخير والرزق ذكر للفت الانتباه، ومسألة تقديره من أجل ضبط النفس كي لا تبغي في الأرض، ففي ذلك كله دلالة على أهمية الرزق بالنسبة لحياة الإنسان، حتى إنه قد يؤثر في التزامه بالمبادئ أو إنحرافه.

٣- الاستعارة.

((وهي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دال على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به))^١.
والاستعارة أنواع، منها: التصريحية، والمكنية، والتمثيلية، والتعليقية.

واستيعاب الاستعارة التصريحية عند عموم الناس أيسر من المكنية، ولذا كانت التصريحية أكثر ذكرا، فمثلا لو قيل في مواقف البطولة والشجاعة :جاء الأسد، لفهم الجميع أن الذى جاء هو البطل الشجاع، فهذه الاستعارة حُذِفَ طرفها الأول، فهي تصريحية، وفي مثال الاستعارة المكنية وهي التى يُحذف طرفها الثانى، ومثاله قول لبيد:

وغداة ريح قد كشفت وقرّة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها
فقد جعل للشمال يداً، ومعلوم أنه ليس هناك مشار إليه يمكن أن نجري عليه كإجراء الأسد على الرجل^٢، فاستيعاب هذه الاستعارة لا يكون كاستيعاب الاستعارة التصريحية.
والاستعارة في التذييلات التى ندرسها تناول القضايا التى فيها جدال وتشكيك، وهذا يتطلب الوضوح الأسرع، والاستعارة التصريحية هنا أقرب فى أمر سرعة الوضوح من المكنية، كما يتناول عمق الإحساس الإنسانى، وهذا العمق قد يعنى الخوف الشديد كما قد يعنى الرغبة الشديدة، وهذا العمق يتناسب مع الاستعارة المكنية، إذ إنها تتطلب طولا فى التأمل وعمقا فى التفكير، من أجل لمس العمق الإنسانى وإحساسه، وهذا نجده فى :

أ- الاستعارة التصريحية :

ومنه :قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢)
وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الزخرف: ٤٣)

1 مفتاح العلوم، ص ١٧٤.

2 معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص ٨٨. هذا النقل بتصرف.

وقوله تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (الزخرف: ٦١).
وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى: ٤٦).

في التذييلات الثلاثة الأولى شبه الدين بـ "الصراط"، ويتركز الموضوع على التمسك بهذا الدين والثبات عليه، فتذيل الآية "٥٢ من الشورى"، جاء في سياق الجدال في الله تعالى بغير الحق، وفي تذيل الآية "٤٣ من الزخرف" نرى سياقاً آخر وهو سياق ذكر فيه محاولات الصد عن سبيل الله، وإضلال الناس، ثم يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه أنه قادر عليه، ثم جاء التذيل لتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتذيل الآية "٦١: الزخرف" جاء في سياق جدل في النبي عيسى عليه السلام وما هي شخصيته، إلى أن يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُون﴾ (الزخرف: ٦١)

فنلاحظ الجدل والتشكيك في مسألة عقائدية وهي وحدانية الله سبحانه، وقد كان الخطاب من الله سبحانه، وتذيل الآية "٦٤" وهو قوله تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (الزخرف: ٦٤)، جاء على لسان النبي عيسى عليه السلام يردُّ عليهم مزاعمهم أيضاً.

ثم إن قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى: ٤٦)، فيه استعارة تصريحية أيضاً، إذ المشبه هو الحق، والمشبه به هو السبيل، فَمَنْ ضلَّ عن الحق فلن يجد حقاً آخر، ومن يخذله الله سبحانه وتعالى بإبعاده عن طريق الحق فماله من طريق إلى الوصول إليه^١، وقد ذكرت كلمة سبيل لتكون أبلغ في قطع الرجاء لأولئك الذين يحاولون، لأن كلمة صراط نكرة موصوفة بالاستقامة، أما سبيل فهي نكرة غير موصوفة، ولكن السياق يقتضى أن تكون هناك صفة محذوفة، أي سبيل حق يوصلهم إلى الجنة.

1 جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الحادى عشر، ج ٢٥، ص ٢٦، ٢٧.

ب- الاستعارة المكنية:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢٣).

وقد جاء التذييل في سياق يَصوِّرُ أعداء الله في الحشر، حيث يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم، فصاروا يخاطبون جلودهم كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢١، ٢٢، ٢٣)، وفي هذه الصورة يظهر ظنهم على صورة مصارع قاهر يردبهم، فالصورة في يوم الحشر، ويَصوِّرُ الظن على أنه مصارع قوي يوصلهم إلى الهلاك، وهذا المصارع القوي هو الذي صنعوه في الدنيا، فيكون ذلك مدعاة إلى الابتعاد عنه والوصول إلى العلم، ومن هنا لا يكون المعنى مجرد فكرة، بل فكرة ومعنى مؤثر في النفس، يدعو إلى الابتعاد عن الظن السيء بالله سبحانه وتعالى؛ لأنه لا ينفع، ثم يقتل صاحبه أيضا، يقول صاحب البحر المحيط: ((وذلكم إشارة إلى ظنهم أن الله لا يعلم كثيرا من أعمالهم وهو مبتدأ خبره أَرْدَاكُمْ، وظنكم بدل من ذلكم أي وظنكم بربكم ذلكم أهللكم))^١.

وقوله تعالى: ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الشورى: ١٢).

وفي هذا التذييل ركزت الاستعارة على مسألة البسط، و((بسط الشيء... نشره... والبسطة السعة... والبساط ما يبسط، ومكان بسيط أي واسع))^٢.

ومن خلال هذه الاستعارة نجد أن الصورة ذات بعدين، الأول يتناول الرزق، والثاني يتناول البسط، وقد حذف المشبه به بعد أن تمكنت النفس من معناه بسبب المعاشة المستمرة للفرش،

1 تفسير البحر المحيط، المجلد السابع، ص ٤٩٣.

2 مختار الصحاح مادة: ب س ط.

فالنفس تَوَاقَّة إلى سعة الرزق وليس إلى مجرد الرزق، وقد جاءت هذه الاستعارة في سياق نفي الولاية عن غير الله سبحانه وتعالى، فينتج معنى جديداً عند الناس، وهو أن الذى ييسط الرزق هو الذى له الولاية المطلقة، وهذا الواقع للتمسك بولاية الله سبحانه وتعالى، انطلق من الرغبة الشديدة في بسط الرزق.

ج- الاستعارة التمثيلية.

وعند القزويني هي المجاز المركب إذ يقول: ((وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه))^١، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٤) ((أي مثلهم كمثل الشخص الذى يُنادى من بُعد فلا يسمع، وإن سمع لم يفهم))^٢.

وفي هذا التذييل ((استعارة تمثيلية شبهت حالهم في النبؤ عن قبول مواعظ القرآن ودلائله، بحال من يُنادى من مكان بعيد، فكما أنه لا يفهم ولا يقبل قول المنادى فكذلك هؤلاء لا يقبلون دعوة من دعاهم إلى الرشد والصلاح لاستيلاء الضلالة عليهم))^٣.

ووجه الشبه الذى هو عدم القدرة على الفهم بسبب البعد، مأخوذ من تشبيه صورة بصورة طبيعية، وهذه الاستعارة تؤكد استحالة استيعابهم بسبب عدم إيمانهم، وأن الإيمان هو الضمانة لذلك الاستيعاب.

ويحضر التأثير النفسي للمتلقى من خلال إحضار صورة من لا يقبل القرآن ودلائله، وساعد في إحضارهم ضمير المخاطب "الكاف"، فكأنهم موجودون بحيث يمكن رؤيتهم، ولكنهم في الوقت نفسه بعيدون، والاستعارة تؤكد على بعدهم بكلمة "مكان بعيد"، ولذلك لا

1 الإيضاح، المجلد الثانى، ج ٥، ص ١٠٧، ١٠٨.

2 غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ج ٢٥، ص ١٢.

3 إعراب القرآن وبيانه المجلد الثامن، ج الرابع والعشرون، ص ٥٧٣.

يستفيدون من النداء، فإذا خاطبهم العربي أو الأعجمي، فإن النتيجة على حدّ سواء، إذ إنهم لا يستفيدون شيئاً.

د- الاستعارة التمليلية.

و الاستعارة التمليلية ((هي استعارة اسم أحد الضدين أو النقيضين للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد وإحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم أو التلميح ثم ادّعاء أحدهما من جنس الآخر والإفراد بالذكر ونصب القرينة))^١، فيستعمل اللفظ الدال على المدح في نقيضه من الذم، ومثال قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٤٢)، استعارة تهكمية؛ لأن اللام في ﴿لَهُمْ﴾ تستعمل في جانب الخير، كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (فصلت: ٤٦) ففي قوله: ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ دلت اللام على الخير، وإذا دل حرف اللام على جانب الخير فإنه في قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ استعمل حرف اللام في جانب السوء على سبيل الاستعارة التهكمية.

I مفتاح العلوم، ص ١٧٧.

٤ - الكناية.

والكناية هي ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه، ومثال ذلك قولهم: "هو طويل النجاد" يريدون طويل القامة"))^١.

ومن الكنايات التي وجدتها هي:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ

النَّارِ﴾ (غافر: ٦).

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(الأحقاف: ١٤).

وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ (فصلت: ٥٤).

وقوله تعالى: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (الشورى: ٨).

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٤).

التذييلان الأول والثاني فيهما قوله: ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ وقوله ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾،

والصحبة في الأولى كناية عن عذاب دائم ينتظر، وفي الثانية كناية عن نعيم دائم ينتظر أيضاً، فكما أن صاحب يشناق لصاحبه ويأنس به، فكذلك النار تشناق إلى أصحابها وتنتظرهم هذا الزمن الطويل، فهي في شوق إليهم، ولهذا تستعد لهم، وهكذا الحال بالنسبة للجنة التي تشناق لأصحابها، ومن خلال هذه الكناية يتضح أمر مهم، وهو أن الكافرين تمادوا في انحرافهم حتى صار من المحتوم عليهم دخول النار، فهذا الانحراف ينسجم تماماً مع صور العذاب السيئة في جهنم، وهكذا من يريد أن يصاحب أناساً فعليه أن يلتزم بصفات تنسجم مع تلك الجماعة، فالمرء على دين خليله، فبصفات الخير يكون المرء صاحباً للخيرين، وبصفات الكفر يكون صاحباً للكافرين، وهذه المصاحبة الأخيرة تنسجم مع صفات النار لما فيها من ريح كريهة

١ دلائل الإعجاز ص ٦٦.

وغير ذلك، ولأن الصحبة تتسم بالملازمة، فإن النار ملازمة لأصحابها، من ذلك نرى في التذييل كناية عن الدوام إضافة إلى التعريض بهم بسبب صفاتهم السيئة. وفي مقابل أصحاب النار، هناك أصحاب الجنة، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ (الأحقاف: ١٤)، فإذا كان أصحاب النار أشقياء بصحبتهم، فإن أصحاب الجنة يسعدون بصحبتهم الجنة، وهذا التذييل فيه كناية عن صفات أهلها الطيبين إضافة إلى الدوام والخلود، فصاحب الجنة كمن يصاحب إنساناً، يتصف بصفاته الطيبة ويدوم لقاءهما، ففي التذييل كناية عن الدوام إضافة إلى الإشادة بصفات المؤمنين.

وقد لاحظنا في الكنيتين توصيفا لمن يدخل الجنة وتوصيفا لمن يدخل النار. وفي قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ (فصلت: ٥٤)، كناية عن قيام الساعة، وفي هذه الكناية أمور:

- هذا التذييل ((جماع ما تضمنته السورة من أحوال المشركين المعاندين، إذ كانت أحوالهم المذكورة فيها ناشئة عن إنكارهم البعث، فكانوا في مأمن من التفكير فيما بعد هذه الحياة، فانحصرت مساعيهم في تدبير الحياة الدنيا... والمرية الشك. وحرف الظرفية مستعار لتمكن الشك بهم حتى كأنهم مظروفون فيه...))^١، فهذا المعنى المفهوم من الكناية يلفت إلى عظيم غفلتهم عن البعث بسبب شكهم.

- كلمة "لقاء" جسدت صورة الوقوف للحساب بالمواقف الدنيوية التي تشابهها، إذ لا يخلو أحد من كونه التقى أو سيلتقى شخصاً ما في مسألة ما، والكناية تفرض على المتلقى الانتقال بوجدانه إلى ذلك الأمر المهم وترك المصريح به الذي كان وسيلة لتلك الكناية؛ إذ قيل: إن الكناية ((هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر لازمه المساوي، لينتقل الذهن منه إلى الملزوم المطوى ذكره))^٢.

1 التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٢١ و ص ٢٢.

2 أنوار الربيع، ج ٥، ص ٣٠٩.

- إذا فهم الإنسان موضوع اللقاء يوم القيامة من خلال صور حيوية في الدنيا، فإن في ذلك وقعا كبيرا، وهذا يحثه ليعدّ لذلك اللقاء إعداداً مناسباً.
- إن تقريب الصورة للفكر من خلال الكناية سبيل لترك المريبة والشك، لأن الشك - أحياناً - حالة نفسية تخالف ما يطمئن إليه العقل بالأدلة، والكناية هنا تعالج النفس من خلال صور حقيقية جاءت بها كلمة "لقاء".
- وفي قوله تعالى: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، يقول ابن عاشور: ((نفي النصير كناية عن كونهم في بؤس وضرر ومغلوبة بحيث يحتاجون إلى نصير لو كان لهم نصير))^١.
- وفي التذييل الأخير وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٤) كناية عن عدم فهمهم، وقد مرّ الحديث عن ذلك^٢.

^١ التحرير والتنوير، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٣٩.

^٢ هذا البحث ص ٢٠٤ وص ٢٢٩.

المبحث الثالث: التحسين

التحسين ((ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى، وضرب يرجع إلى اللفظ))^١، ومن التحسين المعنوى الذى سنعالجه هنا، طباق الإيجاب، والمقابلة، ومن التحسين اللفظي، سنقف على جناس الاشتقاق، والإرصاد والتسليم، ثم الفاصلة، ببعض التفصيل؛ لأنها موضوع بارز.

١ - المطابقة.

((وتسمى الطباق والتضاد أيضا. وهي الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة))^٢، ومع قلة المحسنات فيما نبحت، إلا أن المطابقة _لاسيما طباق الإيجاب^٣_ كان لها النصيب الأكبر، والتذييلات التي احتوت على ذلك هي:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ﴾ (فصلت: ٣٩).

المطابقة بين: "أحيائها" وبين "الموتى".

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ (فصلت: ٤٣).

المطابقة بين: "مغفرة" وبين "عقاب".

وقوله تعالى: ﴿يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الشورى: ١٢).

المطابقة بين: "ينسط" وبين "يقدر".

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا

يَشَاءُ﴾ (الشورى: ٢٧).

المطابقة بين: "بسط" وبين "يتزل بقدر".

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الزخرف: ٨٢).

المطابقة بين: "السموات" وبين "الأرض".

1 الإيضاح، المجلد الثانى، ج ٦، ص ٥.

2 السابق، المجلد الثانى، ج ٦، ص ٧.

3 ((وهو أن يكون اللفظان المتقابلان معنهما موجبا)). السابق، المجلد والجزء والصفحة نفسها، والتعليق من الهامش.

واللافت في هذه المطابقة أنها تعمل على ضبط ميزان للنفس لكي تستقيم في توجهاتها،
فمتى انضبطت النفس، استقامت حياة الإنسان في الدنيا وصلحت آخرته.

فلو أفرط الإنسان في النظر إلى المغفرة فحسب وغفل عن وجود العقاب، فلن يرده شيء
في داخله ليوقفه عن ارتكاب المنكرات، ولو أفرط في النظر إلى العقاب فحسب، ثم غفل عن
باب المغفرة، فإنه سيكون يائساً من رحمة الله، ولذا قد يسرف في الانحراف بحجة عدم فائدة
توبته، فهذان الأمران: "المغفرة" و"العقاب" إذا وُجدا في النفس بميزان، سيكون الأثر بارزاً
على الاستقامة في الحياة، وهذا الدور يؤديه المعنى الموجود في المطابقة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ
رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ (فصلت: ٤٣)، ومن جهة أخرى فإن هذه المطابقة تدعو
للصبر أيضاً على أذى المنحرفين، فمن كان معتقداً أن المغفرة والعقاب من شأن الله سبحانه
وتعالى وأن له الحكمة في كل شيء، فلن يحيد عن الحق، وقد قيل بأن هذا التذليل ((تعليل لما
يُستفاد من السياق من الأمر بالصبر كأنه قيل: ما يُقال لك إلا نحو ما قيل لأمثالك من
الرسل، فاصبر كما صبروا، إن ربك لذو مغفرة عظيمة لأوليائه، وذو عقاب أليم لأعدائهم،
فينصر أوليائه، وينتقم من أعدائهم...))^١.

ثم إن المطابقة في قوله تعالى: ﴿يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الشورى: ١٢)، وفي قوله
تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرِ مَا
يَشَاءُ﴾ (الشورى: ٢٧).

فيها إشارة إلى ميزان دقيق يساعد على انضباط البشر، ألا وهو إنزال الرزق بميزان، فيبسط
هنا ويقدر هناك، فقير لا يناسبه الغنى، فيكون الفقر من مصلحته، ولو اغتنى لبغى في الأرض،
وغني لا يناسبه الفقر، ولو افتقر لسلب ونهب وبغى في الأرض، فالبسط والتقدير ميزان إلهي
ليضبط النفس عن الطغيان، فالله خلق الناس وهو ((محيط بخفيات أمورهم وجلالها، فيقدر

1 روح المعاني، ج ٢٤، ص ٢٠٠.

لكل واحد منهم في كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنه، فيفقر ويغنى، ويمنع ويعطى، ويقبض ويسقط، حسبما تقتضيه الحكمة الربانية، ولو أغناهم جميعا لبغوا، ولو أفقرهم لهلكوا^١.

ومن القضايا المهمة التي تعيد للإنسان توازنه كلما اختل، قضية الحياة والموت، فطول الأمل، أو عدم تذكر الموت، يجعل الإنسان يفرط في ملذات الدنيا من دون حساب، ولو أنه فكر في الموت دون الحياة، لصارت حياته بائسة، ولذا يكون الطباقي في ذكر الموت والحياة مساعداً على هذا التوازن، وهذا الطباقي جاء في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ﴾ (فصلت: ٣٩)، إن الانطلاق من الشيء المعين وهو "إحياء الأرض بعد موتها"، يعين على استيعاب إحياء آخر غير مرئي في الدنيا، ويقول سيد قطب عن هذا التذييل:

((وتكرر في القرآن عرض مثل هذا المشهد واتخاذه نموذجاً للإحياء في الآخرة، ودليلاً كذلك على القدرة. ومشهد الحياة في الأرض قريب من كل قلب؛ لأنه يلمس القلوب قبل أن يلمس العقول، والحياة حين تنبض من بين الموات، توحى بالقدرة المنشئة إحياء خفياً ينبض في أعماق الشعور. والقرآن يخاطب الفطرة بلغتها من أقرب طريق^٢)).

٢- المقابلة.

وهي داخلة في المطابقة^٣، وقيل في تعريفها: ((أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلهما، أو يقابلها، على الترتيب^٤)).

ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (فصلت: ٤٦).

ففيه مقابلة بين أمرين:

1 السابق، ج ٢٥، ص ٦٠.

2 في ظلال القرآن، المجلد الخامس، ج ٢٤، ص ٣١٢٦.

3 ينظر الإيضاح، المجلد الثاني، ج ٦، ص ١٩.

4 السابق، المجلد والصفحة نفسهما.

الأول: من عمل صالحا فلنفسه.

الثاني : من أساء فعليها.

وفي المقابلة يمكن ملاحظة معنى استغناء الله عن نفع الناس، فمن عمل صالحا فنفع عمله له ، وتكتمل صورة المقابلة في رجوع الإساءة إلى أصحابها، فهم بأفعالهم السيئة لن يضرُوا الله شيئا، فالله سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة من أطاعه، ولا تضره معصية من عصاه، كما ان الإساءة التي تصل إليهم ليست من الله، بل من عند أنفسهم، فالله سبحانه وتعالى عادل ولذا قال تعالى : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

و قوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ (الشورى: ٢٤).

فقوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ فيه معنيان، الأول: محو الله، والثاني: الباطل، ويقابلهما معنيان هما قوله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾، فالأول إحقاق الله سبحانه وتعالى، والثاني الحق، والأول هنا قابل الأول هناك، والثاني هنا قابل الثاني هناك.

وعندما نتفحص هذه المقابلة، نلاحظ تقدُّم "محو الباطل" على إحقاق الحق، وقد يقال إنَّ الحق أفضل من الباطل، فلمَ لم يُقدِّم في الذكر؟

والجواب هو أن قاعدة التوحيد تقوم على محو الباطل أولاً ثم إحقاق الحق، ومن ذلك كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله"، نفي للألوهية الزائفة، و "إلا الله" إثبات للألوهية الحقة، وقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وهذا هو الأسلوب الذي جاءت به المقابلة، ولعل العلة في ذلك، أنَّ الأساس هو الحق المتمثل في الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فإذا جاء الباطل، فلا بد من إزالته ثم إحقاق الحق من جديد، وهذا شبيه بقول الأطباء بأنه لا بد من تطهير الجرح قبل العلاج.

٣- جناس الاشتقاق.

وهو ((أن يورد الكاتب أو الشاعر في نثره أو نظمه ألفاظا متقاربة الحروف في النطق))^١.
والتذييلات التي احتوت على هذا النوع من الجناس هي:
قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢٣).
الجناس بين "ظنكم" وبين "ظننتم".
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ﴾ (فصلت: ٣٩).
الجناس بين "أحيها" وبين "محى".
وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ (الشورى: ٢٣).
الجناس بين "حسنة" وبين "حسنا".
وقوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ (الشورى: ٢٤).
الجناس بين "يحق" وبين "الحق".

وفي هذا النوع من الجناس نلاحظ أن هناك تركيزا على الأمر المؤثر في الجملة، والذي يركز عليه هو المتقدم، وهذا شبيه بمسألة التوكيد إذ يتركز الاهتمام على المؤكد، ففي قولنا: جاء محمد نفسه، نريد التوكيد والتركيز على محمد، وهكذا بالنسبة لهذا الجناس، فما يُذكر أولا، ينصب الاهتمام عليه، فتذيل الآية "٢٣: فصلت" يركز على كلمة "ظنكم"، فهو الذي كان به إرداؤكم، ومن هنا لا يُلقى اللوم على أحد سواكم إذ رضيتم به ليرديكم، ففي التذيل تركيز وتوكيد على الكلمة الأولى وهي "ظنكم" وكأنها محور الكلام، ويقول ابن عاشور:

١ حقائق السحر في دقائق الشعر، ص ١٠٣. رشيد الدين محمد العمري المعروف بالوطواط. ترجمة الدكتور الشواربي.

القاهرة: ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م.

((وذلكم ظنكم)) الإشارة إلى الظن المأخوذ من فعل ((ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون))، ويستفاد من الإشارة إليه تمييزه أكمل تمييز وتشهير شناعته للنداء على ضلالهم. وأتبع اسم الإشارة بالبدل بقوله ((ظنكم)) لزيادة بيانه ليتمكن ما يعقبه من الخير، والخير هو فعل ((أرداكم)) وما تفرع عليه.

و((الذى ظننتم بربكم)) صفة لـ ((ظنكم))، والإتيان بالموصول لما في الصلة من الإيماء إلى وجه بناء الخير وهو ((أرداكم)) وما تفرع عليه، أي الذى ظننتم بربكم ظنا باطلا. ... وفي الإتيان بالمسند فعلا إفادة قصر، أي ما أرداكم إلا ظنكم ذلك، وهو قصر إضافي، أي لم تردكم شهادة جوارحكم حتى تلوموها بل أرداكم ظنكم أن الله لا يعلم أعمالكم فلم تحذروا عقابه)).¹

وفي مسألة الاستدلال ركز الجناس في الآية (فصلت: ٣٩) على كلمة "أحياء"، وهي كلمة تحمل المعنى الذى رآه منكرو البعث، فصار التركيز عليها كي يتحرك المعنى في العقل والنفس؛ لكي يتمكن من استيعابه، وكأن المعنى: انظر أيها الإنسان إلى إحياء الأرض بعد موتها، وتأمل، ومتى استوعبت ذلك انطلق إلى المعنى الذى لا تراه، فأنت تعرفه من خلال الاستدلال الذى يركز على كلمة "أحياء" من خلال جناس الاشتقاق.

ويؤكد على هذه الفكرة أيضا الاشتقاق في الآية "٢٣: الشورى"، فالتركيز جاء على كلمة "حسنة"، أي الحسنة التى يقترفها الإنسان، مع العلم أننا لو قارنا بين الحسنة التى يقترفها الإنسان وبين ما يعطيه الله سبحانه وتعالى، لرجحت كفة ما يعطيه الله سبحانه وتعالى، ولكن التركيز على الحسنة التى يقترفها الإنسان والفعل "يقترف" ساعد على معنى الاهتمام بالحسنة، ويقول ابن عاشور:

((والاقتراف: افتعال من القَرَف، وهو الاكتساب، فالاقتراف مبالغة في الكسب نظير الاكتساب، وليس خاصا باكتساب السوء وان كان قد غلب فيه، وأصله من قَرَفَ الشجرة، إذا قشر قرفها، بكسر القاف، وهو لحاؤها، أي قشر عودها... والحسنة: الفعلة ذات الحسن

1 التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ٢٧١، ص ٢٧٢.

صفة مشبهة غلبت في استعمال القرآن والسنة على الطاعة والقربة فصارت بمنزلة الجوامد علماً بالغلبة وهي مشتقة من الحسن وهو جمال الصورة. والحسن: ضد القبح وهو صفة في الذات تقتضى قبول منظرها في نفوس الرائيين وميلهم إلى مداومة مشاهدتها. وتوصف المعنويات بالحسن فيراد به كون الفعل أو الصفة محمودة عند العقول مرغوبا في الاتصاف بها.

ولما كانت الحسنة مأخوذة من الحسن جعلت الزيادة فيها من الزيادة في الحسن مراعاة لأصل الاشتقاق فكان ذكر الحسن من الجناس المعبر عنه بجناس الاشتقاق^١. ومن التركيز على موضوع اقتراف الحسنة يفهم الإنسان:

أولاً: أن عليه التحرك بنفسه لاقتراف الحسنة وعندها سيزاد حسناً، وإلا فمن اعتمد على حسنات تأتية بلا حراك منه فهو مخطئ.

ثانياً: أن الجزء من نفس العمل، لذا عليه اختيار حسنة من الحسنات الكثيرة، ومع أن تنكير "حسنة" تفتح المجال لعمل أي حسنة، بمعنى وفرة المجال لعمل الحسنات، إلا أن جناس الاشتقاق بتركيزه على الحسنة التي يقتربها الإنسان، جعلت الاهتمام ينصب أيضاً على اختيار نوع الحسنة التي تصل بالإنسان إلى طموحه، فلا شك أن من يصلى نافلة يقترب حسنة، ومن يتصدق على الفقراء والمساكين ويمسح دمعة اليتيم يقترب حسنة أيضاً، ولكن شتان بين الحسنتين.

وفي الاشتقاق الموجود في قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾ تركيز أيضاً على "يحق"، فالقضية التي يركّز عليها الجناس هو الفعل "يحق"، وعندما نقارن بين "يحق" و"الحق"، سنجد أن الأهم هو "يحق"، لأن فيه فعلاً وفاعلاً الإحقاق، وهو الله سبحانه وتعالى، فلولاه لما كان حق أبداً، وقد قال الإمام علي عليه السلام: ((فاعل الخير خير منه))^٢.

1 السابق، المجلد الثاني عشر، ج ٢٥، ص ٨٤، و ص ٨٥.

2 فتح البلاغة للإمام علي. ج ٤، ص ٤٠٧. شرح الشيخ محمد عبده، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. ١٤٢٥ هـ -

٤ - الإِرصاد والتسهيّم.

الإِرصاد أو التسهيّم، ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ (الزحرف: ٧٦)، فبداية الآية فيها ما يدل على نهايتها، فقوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ دليل على كلمة ﴿الظالمين﴾ وهذا ما يسمى بالإِرصاد أو التسهيّم^١، وفيه زيادة تقريع.

٥ - الفاصلة.

الفاصلة جمع فواصل و((الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني. والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب؛ وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها. وهو قلب ما توجه الحكمة في الدلالة))^٢.

والحروف الخاتمة للتذييل فيها إيقاعات تتناسب مع المخاطب^٣، وقال الزركشي: ((قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المدّ

1 يُنظر معجم علوم اللغة العربية (عن الأئمة)، ص ٢٧. الدكتور محمد سليمان عبد الله الأشقر. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.

2 النكت في إعجاز القرآن - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٩٧، وقريب من هذا القول ما قاله الباقلاني في: إعجاز القرآن، ص ٤٠٩. وقيل إن ((الفاصلة آخر الآية كقافية الشعر وفقرة السجع)). كشف الظنون، ج ٢، ص ١٢٩٢، تأليف مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي ت/ ١٠٦٧ هـ، دار الكتب العلمية. بيروت

١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م.

3 لمطالعة المزيد ينظر: مباحث في علوم القرآن، للدكتور صبحي الصالح، ص ٣٣٤، وص ٣٣٩، وص ٣٤٠. دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤ م.

واللين وإلحاق النون؛ وحكمته وجود التمكن من التطريب^١ بذلك^٢، وقال سيبويه [ت ١٨٠هـ] في ذلك:

((أما إذا ترغوا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون؛ لأنهم أرادوا مد الصوت))^٣.

وإذا كان الزركشي أشار إلى حسن خواتم السور ((لأنها آخر ما يقرع الأسماع... مع إيدان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوّف إلى ما يذكر بعد))^٤، فإن خاتمة التذييل وما فيه من حروف المد يساعد القارئ والسماع على ختام التذييل بانسجام تام، ويُفهم من ذلك أن التذييل هو حكمة خاتمة لموضوع سابق للتوكيد أو التوضيح أو التقرير ينبغي التوقف عنده والتأمل فيه.

يقول الرماني: ((والفواصل على وجهين: أحدهما على الحروف المتجانسة، والآخر على الحروف المتقاربة))^٥، فالحروف المتجانسة: كالتجانس في حرف الميم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (غافر: ٨) مع قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (غافر: ٩). أو حرف الراء، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت: ٣٩) مع قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت: ٤٠). أو حرف النون، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ٢٦) مع قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْذِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ (الجاثية: ٢٧).

1 قد يكون من المناسب استبدال كلمة تطريب بكلمة أخرى مثل الإيقاع الصوتي أو الجرس، لما لكلمة ((تطريب)) من شيوع عند أهل الغناء المحرم.

2 البرهان في علوم القرآن ج ١، ص ٦٩.

3 كتاب سيبويه، ج ٤، ص ٢٠٤. تأليف أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى.

4 السابق، ج ١، ص ١٨٢.

5 النكت في إعجاز القرآن - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٩٨.

والحروف المتقاربة فكالدال والباء، مثاله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (غافر: ٣٣)، مع قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ (غافر: ٣٤).
وكالطاء والدال، مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣) مع قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ (فصلت: ٥٤).
وكالميم والنون، مثل قوله تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (الزخرف: ٦١) مع قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الزخرف: ٦٢).

ويقول الرماني: ((وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة؛ لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة))^١.
وإذا أكد الرماني على الحرف الأخير فإننا ندعى أمراً آخر، وهو وجود دور أكبر لحرف المد السابق للحرف الأخير من الفاصلة لا سيما في المادة التي ندرسها، إذ إن التأمل فيها سيجد تغير الموضوع بتغيرها، حيث إنها تؤدي دوراً كبيراً في المعنى.
وسبب هذا الادعاء هو:

أ / كثرة الاختلاف في الحروف الأخيرة من الفاصلة وإن تقارب بعضها في النطق، مما يسبب بعض التكلف في حالة جمعها لوضعها تحت عنوان واحد.

ب / اشتراك جميع سور الحواميم في أن الحرف الأخير من الكلمة الأخيرة في كل آية منها مسبق بحرف مد، وهذه ظاهرة تدعو إلى الوقوف عندها والتفكير فيها.

ج / تقارب الموضوعات في الكلمات التي تُختم بحرف المد نفسه، مع أننا نلاحظ — أحياناً — تجانس حرف المد واختلاف الموضوع، والأمر في ذلك لا يخلو من حكمة يقررها السياق، ويمكن إثبات هذه الفكرة فيما يلي:

1 السابق والصفحة نفسها.

أولاً: حرف "ياء" المد.

إن الكلمات الخاتمة للتذييلات التي يكون فيها حرف ياء المد سابقا لحرفها الأخير-غالبا-، تصب في معان طيبة، ينشرح لها صدر المؤمن، حتى يمكن الادّعاء أن ذلك قاعدة عامة، وما خالفها يحتاج إلى معرفة سبب المخالفة.

فمثلا الكلمات التي في سورة عافر هي: إليه المصير، الحكيم، الفوز العظيم، ينبس، البصير "مكرر"، رب العلمين "مكرر"، والكلمة المستثناة هي: "الكافرين".

ولربما جاءت كذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ (غافر: ٧٤)، لأن الله سبحانه وتعالى نسب الإضلال إليه تعالى، ومعنى الإضلال الذي نسبه إلى ذاته تعالى هو اتخاذهم أولياء من دون الله، فإذا كان المعنى يتطلب تغييرا في حركة المد حتى يختلف باختلاف الموضوع، فإن استمراره يحرك النفس، إذ يفترض أن النبوة الواحدة لموضوع واحد، وكأن الإضلال يمشى في المسار نفسه، فإذا تبين أنه مختلف كان التعريض والتنكيل بالكافرين هو سبب الاختلاف.

وفي سورة فصلت نجد الكلمات التالية: العليم، القدير، بصير، شهيد، محيط، رب العلمين، فهي كلمات تدل على جانب وصف الله سبحانه وتعالى، وهي الصفات التي يحب المؤمن سماعها وترديدها، وقد جاءت كلمة "أليم" مما قد يُظن مخالفتها للقاعدة، ولكننا نجد أن هذه الكلمة جاءت في سياق وصف الله تعالى، بأنه ذو عقاب أليم، وجاءت كلمة "عبيد" أيضا، وهي كلمة تدل على سوء من يتصف بها، وهي عكس كلمة "عباد"، والسبب، أن الكلمة جاءت في سياق نفي الظلم عن الله سبحانه وتعالى، فهذا الظلم يتصف به أولئك العبيد، فإذا نفي الظلم عن الله سبحانه كان ذلك في سياق تزيه الله سبحانه.

وقد جاءت كلمة "الخاسرين" في سياق التنكيل بالكافرين، إذ كانوا يظنون بالله ظن السوء، ويفترض الإنسان أن يكون ظنه قريبا من الصواب، فإذا استمر الإيقاع الصوتي دون تغيير، فإنه يدعو إلى التعريض والتنكيل.

ومثال أخير عن سورة الشورى، ففيها: العظيم، الرحيم، قدير "مكرر ثلاث مرات"، البصير، عليم، نيب، وإليه المصير، العزيز، الفضل الكبير، بصير، حكيم، مستقيم، الحميد، فهذه كلمات ينشرح لها صدر المؤمن، إذ إن أغلبها جاء في وصف الله سبحانه وتعالى. وأما الكلمات التي يُرى فيها منحى آخر فهي: لهم عذاب شديد "مكرر"، وفيه زيادة التثكيل، لا سيما إذا لاحظنا حرف "اللام" في "لهم"، حيث يفترض أن الأمر لصالحهم وليس عليهم وضدهم، وهكذا في "عذاب مقيم" لما في كلمة "مقيم" من معنى الإقامة والاستقرار، وأما: فماله من سبيل "أو" ولا نصير"، فإن الكلمتين بذاتهما تحملان معنيين طيبين. ولقد لاحظنا أن الكلمات - محل البحث - التي يُسبق حرفها الأخير بحرف "ياء" المد أكثر من الكلمات التي يُسبق حرفها الأخير بحرفي الواو أو الألف، وفي ذلك إشارة إلى أن طابع التذييلات يغلب فيها الترغيب وذكر الخير، وهذا مناسب لسبق رحمة الله سبحانه وتعالى لغضبه.

ثانيا: حرف "واو" المد.

تشير الكلمات التي ندرسها، إلى أن الصفة العامة في الكلمات التي يُسبق حرفها الأخير بحرف "واو" المد، تحمل معاني - غالبا - تُدخل الخوف والانزعاج إلى النفس، أو أن الكلام فيه يُقصد به المنحرفون.

فمثلا في سورة غافر نجد: لايشكرون، يمحذون، المبطلون "مكررة"، تنكرون، ما تتذكرون، الكافرون، وهذه هي كل الكلمات الموجودة في سورة غافر الخاصة بهذه النقطة، فلانجد فيها مايشير إلى المدح أو الثناء.

وفي سورة فصلت توجد كلمة واحدة وهي "لاينصرون".

وفي سورة الزحرف، فيها: يستهزئون، يخرصون، خير مما يجمعون، أفلا تبصرون، عما يصنعون، يؤفكون، تخرجون، خصمون. فهذه كلها كلمات فيها الذم والتهديد، ويستثنى من الكلمات التي جاءت في هذه النقطة كلمة واحدة وهي: "تعملون" فقد جاءت في سياق وراثة

الأرض، ويبدو أن من فوائد ذلك التحسير للكافرين، فمن يُحاط بالذم والتهديد، ثم يسمع عن الجنان والنعيم، سيتحسر على حاله.

ومثال سورة الدخان، ثلاث كلمات فقط مسبوق حرفها الأخير بواو المد، وهي: لا يعملون، ولاهم ينصرون، عائدون، فكلها كلمات تمثل معاني غير مرغوب فيها، فلا أحد يرغب أن يوصف بأنه لا يعلم، أو أن يوصف بأنه مخذول لا يُنصر، والكل يخاف أن يعود إلى عذاب قد أصابه شيء منه، أو أن يوصف برجوعه إلى الانحراف بعد ما أصابه شيء من عقابه.

ثالثا: حرف "ألف" المد.

الكلمات التي يسبق حرفها الأخير حرف "ألف" المد قليلة مقارنة مع الكلمات الأخرى التي مرت علينا.

والكلمات هنا تتصف بالتهديد والإخافة والوصف بالانحراف، وقد جاءت هذه الكلمات في سورة غافر فحسب، وهذه الكلمات هي: عقاب "مكررة"، نار، قهّار، حساب، ولا شفيع يُطاع، ضلال، كذاب، ظلما للعباد، فماله من هاد، مرتاب، متكبر جبار، تباب، بصير بالعباد، قد حكم بين العباد.

ووسط هذه الكلمات نلاحظ كلمة "العباد" في تذييلين، وهي كلمة تعني بالمؤمنين الخيرين عكس كلمة "عبيد"، ويبدو أن السبب في التذييل الأول وهو : قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ (غافر: ٣١).

يُعزى إلى أنه جاء في سياق الدمار الذي نزل بالأقوام الظالمة السابقة، فالتذييل فيه إشارة إلى أن أولئك ظلموا أنفسهم، فـ "ظلما للعباد" جاءت في سياق التخويف أيضا.

والتذييل الثاني وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٤)، لأن التذييل وما قبله في الآية ((متاركة لقومه، وتنهية لخطابه إياهم، ولعله استشعر من ملامحهم أو من مقاطعتهم

كلامه بعبارات الإنكار، ما أياسه من تأثرهم بكلامه)^١، مما يعنى أن الآية فى سياق الكلمات الدالة على انحرافهم.

وعلى كل حال، فإن مقدار التغير فى حركة حرف المد يعطى تنوعا فى الإيقاع يؤثر فى نفس المرتل والسامع له^٢، وكأنهما يمدان فكرهما وإحساسهما مع الحرف الممدود، مما يدعوها إلى التفكير والخشوع من خلال استراحة النفس المنقطع بعد المد.

1 التحرير والتنوير، المجلد الحادى عشر، ج ٢٤، ص ١٥٦.
2 الترتيل هو الطريقة المثلى المأمور بها، فقد قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل: ٤).

خاتمة

بفضل الله تعالى بلغت خاتمة هذا البحث القرآني البلاغي، وفيه بذلت قصارى جهدى ، مبتغيا فى ذلك مرضاة الله سبحانه وتعالى، وراجيا أن أكون قد وفقت لتقديم شيء جديد يستفاد منه، وفى هذه الخاتمة أمران:

الأول: النتائج، والثانى: اقتراحات لدراسات أخرى تكمل هذه الدراسة.

الأول: أما من نتائج البحث التى توصلت إليها:

- ١- مر التذييل بمراحل مع مصطلحات بلاغية أخرى إلى أن استقل.
- ٢- اختلاف تعريف التذييل بين البلاغيين لا يعنى تناقضها ولكنها كانت تحتاج إلى ما يجمعها ووجدت ذلك فى تعريف الزركشي.
- ٣- إن التذييل يكون فى المقطع، وفى الحشو .
- ٤- هناك ندرة فى وظيفة التذييل المتعلقة بمنطوق ما قبله.
- ٥- إن التذييل فيه مادة خصبة للنكات البلاغية المختلفة فى النظم والصورة والتحسين.
- ٦- بين التذييلات المتطابقة أو المتشابهة لفظاً، دقائق لا يُلاحظ الفرق فيها إلا بالرجوع إلى التفاسير والتدبر.
- ٧- الإيقاع القرآني فى التذييلات جليّ للقارئ والسامع ومؤثر على النفس عندما تستمع ويُفكر فيها.

الثانى: وأما الاقتراحات التى تساعد على إكمال هذا الجانب البلاغي:

- ١- عمل إحصاء شامل للتذييلات فى القرآن الكريم لعمل الدراسات عليها.
- ٢- التوسع فى هذه الدراسات من خلال علوم البلاغة المختلفة لتشمل تذييلات القرآن جميعها.
- ٣- المقارنة الشاملة بين جميع تذييلات القرآن المتطابقة أو المتشابهة لفظاً.

- ٤ - فتح مجال الدراسة على أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وخطبه الشريفة.
- ٥ - دراسة النثر بأنواعه من خطب ورسائل، وعهود....
- ٦ - الوقوف على مقامات التذيل المختلفة من خلال دراسة التذييلات المختلفة في القرآن، وكذلك في الشعر وأنواع النثر المختلفة.
- وبعد ما وفقني الله جل شأنه إلى إتمام هذا البحث البلاغي، وبعدما شرفني بكونه بحثاً في كلامه تعالى، فإنني أرجو منه قبول هذا القليل، وأن أحظى بالأجر والثواب.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة على محمد وآله الطاهرين، وأصحابه المنتجبين.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. دار المعرفة. بيروت - لبنان. ب.ت.
٣. الأساس في التفسير. سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٤. أسرار العربية، تأليف الإمام أبو البركات الأنباري. تحقيق د. فخر صالح قدارة - دار الجليل - بيروت الطبعة الأولى. ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٥. أسلوب التعقيب في القرآن الكريم. د. محمد كريم الكواز. منشورات جامعة السابع من أبريل، بنغازي. الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
٦. إعجاز القرآن. أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني. تحقيق السيد أحمد صقر. القاهرة - دار المعارف. ب.ت.
٧. إعراب القرآن الكريم. المجلد الثالث. تأليف: أحمد عبيد الدغاس، أحمد محمد حميدان، إسماعيل محمود القاسم. دار النمر - دمشق، دار الفارابي للمعارف - سوريا - دمشق - حلبوني. الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٨. إعراب القرآن وبيانه. تأليف الأستاذ محيى الدين الدرويش. دار اليمامة. دمشق - بيروت. دار ابن كثير. دمشق - بيروت. دار الإرشاد للشؤون الجامعية. حمص - سورية. الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٩. الإيضاح في علوم البلاغة. للخطيب القزويني. شرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي. دار الجليل. بيروت، ط ٣. ب.ت.

١٠. البديع في نقد الشعر. أسامة بن منقذ. تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي، والدكتور حامد عبد المجيد. القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
١١. بديع القرآن. ابن أبي الإصبع المصري. تقديم وتحقيق د. حفي محمد شرف. دار فحضة مصر للطباعة - القاهرة - ط ٢. ب. ت.
١٢. البرهان في علوم القرآن. تأليف الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، منقحة محررة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة. ب. ت.
١٣. البرهان في غريب القرآن. جامعه ومؤلفه: حسن بن صالح بن عمر الحبشي. الناشر: مكتبة وهبة. ط ١، القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٤. بلاغة التذيل في سورتي البقرة وآل عمران. رسالة مقدمة إلى قسم اللغة العربية بكلية التربية للبنات بجدة ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، تخصص (بلاغة). إعداد الطالبة نجلاء بنت عبد اللطيف بسن كامل كرى. إشراف الأستاذ الدكتور عبد الفتاح محمد سلامة أستاذ البلاغة بقسم اللغة العربية كلية التربية للبنات بجدة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٥. بلاغة القرآن الكريم في سور حم. رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. كلية اللغة العربية بالرياض، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي. إعداد الطالب عبد العزيز بن صالح بن عبد الله الدعيلج. إشراف الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الشعلان، الأستاذ المشارك في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي. العام الجامعي ١٤٢٣ - ١٤٢٤هـ.
١٦. التبيان في البيان. للعالم العلامة الحبر الفهامة الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، دار البلاغة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٧. التحرير في علم التفسير. للسيوطي. حققه وقدم له ووضع فهارسه الدكتور فتحى عبد القادر فريد - دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٨. تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. لابن أبي الإصبع المصري. تقديم وتحقيق الدكتور حفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة ١٣٨٣هـ.
١٩. التذييل ومواقعه في القرآن الكريم. رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير. جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالقاهرة، قسم البلاغة والنقد. إعداد على محمد أحمد العطار، عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
٢٠. تفسير البحر المحيط. لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي. الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢١. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي. دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان. ب.ت.
٢٢. تفسير التحرير والتنوير. تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس. الطباعة: دار مصر للطباعة، ١٩٩٧م.
٢٣. تفسير الفخر الرازيّ المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب. للإمام محمد الرازيّ فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الريّ. الناشر دار الكتب العلمية، طهران.. الطبعة الثانية. ب.ت.
٢٤. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل. تأليف محمد جمال الدين القاسمي. وقف على طبعه وتصحيحه، ورقمه وخرّج آياته وأحاديثه، وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢٥. جامع البيان في تفسير القرآن. الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٦. جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد. تأليف إمام المفسرين الفضل بن الحسن الطبرسي. دار الأضواء، بيروت - لبنان. الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٧. جواهر الكثر " تلخيص كثر البراعة في أدوات ذوى البراعة ". لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي. تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية جلال حذى وشركاه. ب.ت.
٢٨. حاشية الدسوقي فى شرح تلخيص المفتاح. محمد بن محمد الدسوقي. ضمن شروح التلخيص. دار السرور، بيروت - لبنان. ب.ت.
٢٩. خزانة الأدب وغاية الإرب. الشيخ تقى الدين أبى بكر على المعروف بابن حجة الحموى، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر. سوريا. ١٣٨٠هـ.
٣٠. الخصائص. ابو الفتح عثمان بن جنى. تحقيق محمد رشيد رضا. القاهرة، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
٣١. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تأليف محمد عبدالحلق عزيمة. دار الحديث - القاهرة. ب.ت.
٣٢. دلائل الإعجاز. تأليف الإمام عبد القاهر الجرجاني. شرحه وعلق عليه ووضع فهرسه د. محمد التُّنجي. دار الكتاب العربى. بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٣٣. روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى. للعلامة أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى، مفتى بغداد ومرجع أهل العراق. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٣٤. سر الفصاحة. للأمير أبى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الحلبي. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى. ١٩٨٢م، ١٤٠٢هـ.
٣٥. سوانح الأفكار. جواد شير. دار المرتضى، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٣٦. شرح ديوان المتنبى. وضعه عبد الرحمن البرقوقي. الناشر: دار الكتاب العربى. بيروت - لبنان. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٣٧. شرح الكافية البديعية. صفى الدين الحلى. تحقيق الدكتور نسيب نشاوى. دمشق ١٤٠٣هـ.

٣٨. صحيح مسلم بشرح النووي.. دار الفكر. بيروت - لبنان. الطبعة الثالثة.

١٣٨٩ هجرية - ١٩٧٨ م

٣٩. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، ضمن شروح

التلخيص، دار السرور، بيروت - لبنان. ب.ت.

٤٠. عقود الجمان في المعاني والبيان، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

بشرح العلامة عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمرى المعروف بالمرشدى مفتى

الحرم المكي، وبالهامش شرح عقود الجمان: لجلال الدين السيوطي، شركة مكتبة

ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الثانية ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

٤١. علوم القرآن والتفسير. د. عبدالله شحاته. دار الاعتصام، القاهرة. ب.ت.

٤٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ابن رشيد القيرواني. تحقيق محمد محيى

الدين عبد الحميد. دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة - بيروت - لبنان.. الطبعة

الرابعة ١٦٧٢ هـ.

٤٣. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تأليف نظام الدين الحسن بن محمد بن

الحسين القمي النيسابوري ت ٧٢٨ هـ. شركة مكتبة ومطابع مصطفى البابي وأولاده

بمصر. الجزء الحادى عشر، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، والجزء الرابع

والعشرون، والخامس والعشرون، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

٤٤. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. تأليف محمد بن

على بن محمد الشوكاني، راجعه وعلّق عليه الشيخ هشام البخاري والشيخ خضر

عكاري. طبعة جديدة ومنقحة، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، شركة أبناء

شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع. المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا

- بيروت. الدار النموذجية. المطبعة العصرية بيروت - صيدا.

٤٥. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي. تحقيق ودراسة الدكتور

بكرى شيخ أمين. دار العلم للملايين، بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٨٥ م.

٤٦. الفوائد المشوّق إلى القرآن وعلم البيان. شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعى المعروف بابن القيم إمام الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٤٧. في ظلال القرآن. سيد قطب.. دار الشروق بيروت ، الطبعة الشرعية السادسة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٤٨. قانون البلاغة. أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي، مطبوع في رسائل البلغاء لمحمد كرد علي، الطبعة الرابعة، القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
٤٩. كتاب جمهرة الأمثال، تأليف الشيخ الأديب أبي هلال العسكري. حققه، وعلّق حواشيه، ووضع فهارسه: محمد أبو الفضل إبراهيم. عبد المجيد قطامش، الجزء الأول دار الجيل. بيروت - لبنان. الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٥٠. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. تصنيف أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري. تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر. الطبعة الأولى ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
٥١. كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. تأليف السيد الإمام إمام الأئمة الكرام أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني. أشرف على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٥٢. كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي. للباحث العلامة محمد التهانوي. تقديم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم. تحقيق د. علي دحروج. نقل النص الفارسي إلى العربية د. عبدالله الخالدي. الترجمة الأجنبية د. جورج زيناتي. مكتبة لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٥٣. الكشف عن حقائق غوامض الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.
للعلامة جابر الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة للطباعة والنشر.
بيروت - لبنان. ب. ت.

٥٤. لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري.

٥٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصللي. القاهرة ١٣٥٨هـ -
١٩٣٩م. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي
الحلبي وأولاده بمصر.

٥٦. المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم. تأليف العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق الدكتور عبد الحميد هندأوى. منشورات محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
الطبعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن. للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق على محمد اليحاوى. القسم الأول: ملتزم الطبع والنشر دار الفكر
العربي، بيروت. ب. ت.

٥٨. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. الدكتور أحمد مطلوب. مكتبة لبنان.
بيروت - لبنان. إعادة طبع ٢٠٠٠م.

٥٩. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تأليف الإمام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن هشام الأنصاري. قدم له ووضع حواشيه وفهارسه حسن حمد. أشرف عليه وراجعته د. أميل بديع يعقوب. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب
العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٦٠. من بلاغة القرآن. الدكتور أحمد بدوى. فخصة مصر للطباعة والنشر
والتوزيع، ٢٠٠٤م.

٦١. المترع البديع في تجنيس أساليب البديع. أبي القاسم الأنصاري السجلماسي.
من نقاد القرن الثامن الهجري بالمغرب. تقديم وتحقيق علال الغازي، أستاذ الأدب
والنقد بكلية الآداب جامعة محمد الخامس الرباط. مكتبة المعارف، الرباط - المغرب،
١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.

٦٢. مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، ضمن شروح
التلخيص. دار السرور، بيروت - لبنان. ب.ت.

٦٣. الميزان في تفسير القرآن. تأليف العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي.
صححه وأشرف على طباعته فضيلة الشيخ حسين الأعلمي. منشورات مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان. الطبعة الأولى المحققة. ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٦٤. نفحات الأزهار على نسيمات الأسحار في مدح النبي المختار. عبدالغني
النايلسي. الطبعة الثالثة، بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٦٥. النكت في إعجاز القرآن. لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، ضمن ثلاث
رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني. حققها وعلق عليها:
محمد خلف الله عميد معهد الدراسات العربية سابقاً، والدكتور محمد زغلول سلام
أستاذ اللغة العربية وآدابها بجامعة الإسكندرية، الطبعة الرابعة، دار المعارف،
القاهرة. ب.ت.

٦٦. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز. فخر الدين الرازي. تحقيق ودراسة الدكتور
بكرى شيخ أمين: دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

الوافي في العروض والقوافي. الخطيب التبريزي. تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، وعمر يحيى،
الطبعة الثانية. دمشق ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

فهرس الموضوعات

١	بسم الله الرحمن الرحيم
٢	شكر وتقدير
٣	مقدمة
٧	تمهيد: التذييل فى الدراسات الحديثة
٢١	الفصل الأول : تحديد المصطلح
٢٢	المبحث الأول: مفهوم التذييل وتطوره
٢٣	أولا : تداخل المصطلحات البلاغية مع التذييل حتى استقلاله
٢٣	١- ارتباط الاعتراض والالتفات
٢٤	٢- ارتباط الالتفات والتذييل
٢٥	٣- ارتباط الاعتراض والتذييل
٢٩	ثانيا: تعريف التذييل بعد استقلاله
٣٥	المبحث الثانى : علاقة التذييل بالإطناب وعلاقته بالإيجاز
٣٦	أولا: علاقة التذييل بالإطناب
٣٧	ثانيا: الفرق بين التذييل وبين الإيغال والتكميل والتمكين
٣٨	أ- الإيغال
٣٩	ب- التكميل
٤٠	ج- التمكين

٤٥	المبحث الثالث: مقامات التذييل
٧١	الفصل الثاني: نوعا التذييل ووظيفته
٧٢	المبحث الأول: نوعا التذييل
٨٥	المبحث الثاني : وظيفة التذييل
٩٠	الفصل الثالث: الدراسة البلاغية لجملة التذييل في سور الحواميم
٩١	أولا : تعريف بالحواميم
٩٣	ثانيا: إحصاء مدونة التذييل في سور الحواميم
٩٦	أ - إحصاء التذييل في سورة غافر
١٠٦	ب - إحصاء التذييل في سورة فصلت
١١١	ج - إحصاء التذييل في سورة الشورى
١٢٠	د - إحصاء التذييل في سورة الزخرف
١٢٤	هـ - إحصاء التذييل في سورة الدخان
١٢٦	و - إحصاء التذييل في سورة الجاثية
١٢٨	ز - إحصاء التذييل في سورة الأحقاف
١٤٩	المبحث الأول: النظم
١٥١	أولا: الجملة الخبرية والجملة الإنشائية
١٥١	١ - الجملة الخبرية
١٥١	أ- الإثبات
١٥٨	ب- التوكيد

١٨٠	٢- الجملة الإنشائية
١٨٠	أ- الاستفهام
١٨٤	ب- الأمر
١٨٦	ثانيا: وضع الظهر وضع المضمر
١٩١	ثالثا: الحذف
١٩٧	رابعا: التنكير والتعريف
١٩٧	١- التنكير
١٩٩	٢- التعريف
٢٠٦	المبحث الثاني: الصورة
٢٠٨	١/ التشبيه
٢١٦	٢/ الحقيقة والمجاز
٢١٦	أ- الحقيقة
٢٢١	ب- المجاز
٢٢٢	أولا : المجاز العقلي
٢٢٣	ثانيا: المجاز المرسل
٢٢٦	٣- الاستعارة
٢٢٦	أ- الاستعارة التصريحية
٢٢٨	ب- الاستعارة المكنية
٢٢٩	ج- الاستعارة التمثيلية

٢٣٠	د- الاستعارة التمليلية
٢٣١	٤- الكناية
٢٣٤	المبحث الثالث: التحسين
٢٣٥	١- المطابقة
٢٣٧	٢- المقابلة
٢٣٩	٣- جناس الاشتقاق
٢٤٢	٤- الإحصاء والتسليم
٢٤٢	٥- الفاصلة
٢٤٩	خاتمة
٢٥٢	المصادر والمراجع
٢٦٠	فهرس الموضوعات